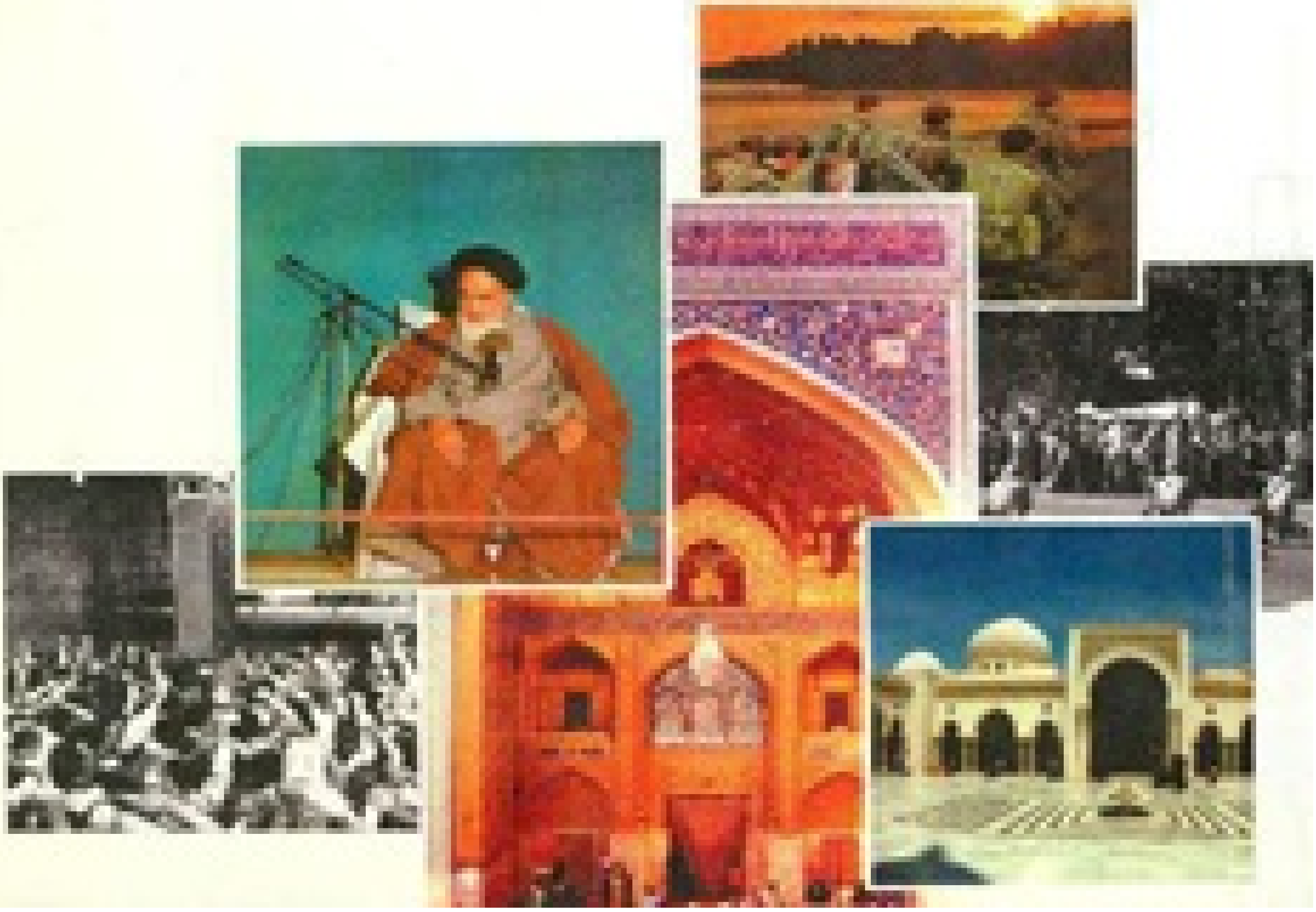
الشيعة في الإسلام

العلامة الطباطبائي



بسم الله الرحمن الرحیم

الشیعه فی الاسلام

کاتب:

محمد حسین طباطبایی

نشرت فی الطباعهٔ:

بیت الکاتب

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الشیعه فی الاسلام

اشاره

سرشناسه : طباطبائی، محمدحسین، ۱۳۶۰ - ۱۲۸۱

عنوان و نام پدیدآور : الشیعه فی الاسلام/ محمدحسین الطباطبائی

مشخصات نشر : بیت الکاتب.بیروت.

مشخصات ظاهری : ص ۳۰۴

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۱۳۰۴

اشاره

ص :۱

محتويات الكتاب

الشيعه فى الإسلام العلامه الطباطبائى مركز بقيه الله الاعظم(ع) للدراسات و النشر

ص :٣

ص: ۷

معرفه المعاد:

معرفه الامام:

مقدمه المترجم

تعريف بالكتاب

قد يتساءل البعض،من هم الشيعه؟و ما هو التشيّع؟متى وجد؟ و كيف نشأ؟.

فقال البعض،إنهم فرقه استحدثت و تشعبت من الإسلام،و قال آخرون،إنهم غلاه ليسوا بمسلمين،و ذهب جماعه إلى أنهم فرقه ضاله مضلّه،لا يربطهم بالإسلام رابط،و ما إلى ذلك من الأقوال...

كتاب«الشّيعه فى الإسلام»تحقيق جادّ فى تعريف الشيعه من جميع جوانبهم،لمن لم يتعرف على الفكر الشيعى،فهو يجيب على جميع تلك التساؤلات،و يردّ على الشبهات التى طالما تمسك بها الأعداء،فجعلوها ذريعه،للحطّ من شأن الشيعه و مقامهم.

لقد عالج المؤلف هذا الهدف دون تعرّض لأهل السنّه،فى حين يقف مدافعا عن أصاله الشيعه،و يبيّن علل نشوئهم،و قد حاول المؤلف أن يعرض التشيّع،و هو جانب من الإسلام الأصيل،بعيدا عن التفرقه و الانشقاق فى صفوف المسلمين.

جاء الكتاب مبسطا و بلغه يفهمها الجميع،لا يستغنى عنه الشيعه ذاتهم و خاصه الشباب.

لقد قسّم المؤلف-قدّس سره-بحثه القيّم هذا إلى ثلاثه فصول،استعرض خلالها تاريخ الشيعه و معتقداتهم و علومهم.

فبحث فی الفصل الأوّل،كيفيه نشوء الشيعه و انقساماتها، و موجزا عن تاريخ الشيعه الاثنی عشريه.و استعرض فی الفصل الثانی،الفكر الشيعی،و الطرق التی ينتهجها فی الاحتجاج،من ظواهر دينيه أو بحوث عقليه و تناول فی الفصل الثالث،أصول الدين و فروعه من وجهه نظر الشيعه،فی الله سبحانه و صفاته، و فی معرفه النبی(ص)و الوحی،فی المعاد،و فی الإمامه،و الفرق بين النبی و الإمام.و موجز عن تاريخ الأئمه الاثنی عشر،و مبحث فی ظهور المهدی-عليه السّلام-.

تعريف بالكاتب

اشاره

ولد المؤلف العلاّمه السيد محمد حسين الطباطبائی فی بيت علم و فضل،فی بيت له تاريخ طويل فی خدمه شريعه الإسلام، و منهج الرسول و أهل بيته،إذ أن أربعه عشر من أجداد المؤلف كانوا من العلماء البارزين فی مدينه تبريز الإيرانيه.

ولد سنه ۱۳۲۱ للهجره،فتابع دراسته الأوليّه هناك،ثم رحل إلى النجف الأشرف سنه ۱۳۴۴ ه،و مكث هناك،مده لا تقل عن عشر سنوات،اكتسب خلالها مختلف العلوم الإسلاميه،فدرس الفقه و الأصول،و الفلسفه و الرياضيات و الأخلاق،ثم رجع إلى موطنه سنه ۱۳۵۴ ه.

لم يكتف بدراسه الفقه و الأصول بشكلها المبسّط،و إنما تعمّق

فی دراسه هـذین العلمین،و تنـاول دراسه علم النحو و الصـرف أیضا،و دراسه الأدب العربی،و تطرّق إلی دراسه علم الریاضـیات القدیم ک«أصول»أقلیدس و«المجسطی»لبطلیموس،و الفلسفه و علم الکلام و العرفان و التفسیر أیضا.

ذاعت شـهرته فی إیران،بعد أن هاجر من مسـقط رأسه إلی مدینه قم،إثر الحوادث السیاسـیه للحرب العالمیه الثانیه،فأقام فیها سـنه ۱۳۶۵ ه،و شـرع بتـدریس التفسـیر و الحکمه و المعارف الإسـلامیه،و لم یتوان فی البحث مع المخالفین،فأرشـد العدید منهم إلی طریق الحقّ و الصواب.

کان لمحاضـراته فی الحوزه العلمیه،أثر بلیغ فی طلابها،بل شـملت المثقفین أیضا.فکانت لقاءاته مع الأسـتاذ«هنری کربن» مستمره فی کل خریف،یحضرها جمع من الفضلاء و العلماء، تطرح فیها المسائل الدینیه و الفلسفیه،فکانت لها نتائجها المثمره.

و من الجدیر بالذکر أنّ تلک اللقاءات و المباحثات لم یکن لها نظیر فی العالم الإسـلامی،منذ القرون الوسـطی حین کان التلاقح الفکری بین المسلمین و المسیحیین.

أحیی العلاّمه الطباطبائی،العلوم العقلیه و تفسیر القرآن، فاهتمّ بتدریس الحکمه،و شرع بتدریس کتاب«الشفاء»و «الأسفار».

کان یمتاز بـدماثه الخلق،فکان عاملا رئیسـیا فی جـذب الطلاب إلی محاضـراته القیّمه،إذ کان یحضـرها المئات،فنال الکثیر منهم درجه الاجتهاد فی الحکمه،و أصبحوا أساتذه قادرین علی تدریسها.

کان العلاّمه یحرص علی الأخلاق و تزکیه النفس فضلا عن اهتمامه بالحکمه و العرفان، و یمکن القول بأنه أسّس مدرسه جدیده فی التربیه و علم الأخلاق،فقدم للمجتمع نماذج تتصف بأخلاق إسلامیه عالیه،و کان یؤکد کثیرا علی ضروره تلازم التعالیم الإسلامیه مع التربیه المدرسیه،و یعتبرها من المسائل الأساسیه فی المعارف الإسلامیه،إلا أنه من المؤسف لم یراع هذا الأمر فی المدارس الحدیثه ببلاد المسلمین.

مؤلفاته:

(۱)تفسیر المیزان فی(۲۰)جزءا باللغه العربیه،و ترجم إلی الفارسیه و الإنکلیزیه.

(۲)مبادی الفلسفه و طریقه المثالیه،مع شرح و هوامش للعلامه الفیلسوف الشهید مرتضی مطهری.

(۳)شرح الأسفار لصدر الدین الشیرازی،فی سته مجلدات.

(۴)حوار مع الأستاذ«هنری کربن»فی مجلدین.

(۵)رساله فی الحکومه الإسلامیه،طبعت بالعربیه و الفارسیه و الألمانیه.

(۶)حاشیه الکفایه.

(۷)رساله فی القوه و الفعل.

(۸)رساله فی إثبات الذات.

(۹)رساله فی الصفات.

(۱۰)رساله فی الأفعال.

(۱۱)رساله فی الوسائط.

(۱۲)الإنسان قبل الدنیا.

(۱۳)الإنسان فی الدنیا.

(۱۴)الإنسان بعد الدنیا.

(۱۵)رساله فی النبوه.

(۱۶)رساله فی الولایه.

(۱۷)رساله فی المشتقات.

(۱۸)رساله فی البرهان.

(۱۹)رساله فی المغالطه.

(۲۰)رساله فی التحلیل.

(۲۱)رساله فی الترکیب.

(۲۲)رساله فی الاعتبارات.

(۲۳)رساله فی النبوه و المنامات.

(۲۴)منظومه فی رسم خط النستعلیق.

(۲۵)علی و الفلسفه الإلهیه.

(۲۶)القرآن فی الإسلام.

(۲۷)الشیعه فی الإسلام.(هذا الکتاب).

هذا فضلا عن المقالات المتعدده التی کانت تنشر فی المجلات العلمیه آنذاک.

لعلّ من أهم آثار العلّامه و مؤلفاته کتابه«المیزان فی تفسیر القرآن»و یعتبر من التفاسیر القیّمه لهذا العصر،فقد خدم هذا التفسیر المجتمع الإسلامی،کما خدمت التفاسیر القیّمه

القديمه المسلمين،بتناسبها و تلازمها مع العلوم و الفلسفه حينئذ، لفهم معانى القرآن فى العصور السالفه.

لقد اتخذ العلاّمه نهجا خاصا فى تفسيره هذا،إذ يبتنى على نصّ الحديث،و هو تفسير القرآن بالقرآن.

لقد قضى العلاّمه عمرا فى خدمه الدين الحنيف،و المجتمع الإسلامى،فكان-و لا يزال-منارا لروّاد الفضيله و العلم،فقد أنار الطريق للعديد ممن قرءوا مصنفاته،و حضروا مجلسه،فمنحهم روحا علميّه خالصه و اتجاها فكريا سليما،قدس الله سره الشريف و حشره مع آبائه و أجداده محمد و آله و نفع المسلمين بآثاره و علومه.

جعفر بهاء الدين

ص:١۴

مقدمه المؤلف

الكتاب الذی بین أیدینا«الشّیعه فی الإسلام»یتحدث عن حقیقه مذهب التشیّع و ماهیته،و هو أحد المذهبین الرئیسیین الإسلامیین«الشیعی و السنی».

یستعرض الکتاب،کیفیه نشوء المذهب الشیعی،و أسلوب التفکیر الدینی لدی الشیعه،و المعارف الإسلامیه من وجهه نظرهم.

الدّین:لا شک فی أن أیّ إنسان یمیل فی حیاته إلی أبناء جنسه،و لا تخلوا أعماله التی یقوم بها فی بیئته،من صله بعضها بالبعض الآخر،کالأکل و الشرب،و السکون و الحرکه،و النوم و الیقظه...فی الوقت الذی تنفصل کل من هذه الأفعال و الحرکات عن الأخری،تکون مرتبطه بعضها بالبعض ارتباطا وثیقا.

علی هذا الأساس،فإن الأعمال التی یقوم بها الإنسان فی حیاته،تتحقق فی حدود نظام لا یتعداه،و تنبع من نظره معیّنه،ألا و هی أن الإنسان یرید أن یحیا حیاه سعیده،یظفر بآماله و أمنیاته.

و بعباره أخری،یطمح الإنسان قدر استطاعته إلی تحقیق متطلباته بصوره أکمل،و ما ذلک إلاّ للحفاظ علی وجوده و بقائه.

و انطلاقا من هذه النظره،بات الإنسان ینظم أعماله وفق قوانین و أحکام وضعها بمیله،أو اقتبسها من آخرین.و بالتالی نجده یتخذ أسلوبا خاصا فی حیاته.

ص: ۱۵

فهو يكدّ و يسعى من أجل تأمين متطلبات حياته،لأنه يعتبرها من الأسس و المقوّمات لها.

فهو يبادر إلى تناول الماء و الطعام،ليسدّ بهما عطشه و جوعه، لأن الأكل و الشرب،حاجتان ضروريّتان لاستمرار الحياه.

إن هذه القوانين التى تحكم حياه الإنسان،تبتنى على اعتقاد أساسى،و الإنسان يعتمد عليها فى بناء علاقاته،و هو تصوره عن الحياه و الكون،و الذى هو جزء منه،و تأملاته عن حقيقتها،و يتضح هذا الموضوع بالتأمل فى الآراء المختلفه التى يرتئيها الناس فى حقيقه العالم.

فالذين يحصرون الوجود فى هذا العالم المادّى المحسوس، و يعدّون الإنسان كائنا ماديا محضا(يحيا بتدفق الحياه فى جسمه،و يفنى بالموت)فإن نظرتهم هذه إلى الحياه نظره ماديه بحته،فهم يسعون إلى تحقيق متطلباتهم الماديّه،و يبذلون فى هذا السبيل قصارى جهودهم لتذليل الظروف و العوامل الطبيعيه لأغراضهم و مصالحهم الخاصه.

و أما الذين يعتقدون بأن عالم الطبيعه من صنع خالق أعلى شأنا من الطبيعه،مثل عبده الأوثان،فإنهم يذهبون إلى أن العالم مخلوق،و خاصه الإنسان،و قد أسبغ الخالق نعمه عليه،كى ينعم بخيراتها،فهم ينسقون برامج حياتهم وفقا لرضى الخالق، مبتعدين عن سخطه و غضبه،فإذا ما استطاعوا جلب رضاه، فنعمه موفوره،مغدقه عليهم،و إذا زالت النعم فدليل سخطه عليهم.

ص :۱۶

و هناک من یعتقد بالله سبحانه وحده،و یری بأن حیاه الإنسان خالده،و هو مسئول عن أعماله خیرها و شرها،و یقرّ بیوم الجزاء (القیامه)کالیهود و النصاری و المسلمین،فهم یسلکون طریقا فی حیاتهم،مراعین فیه هذا الأصل الاعتقادی،کی یحصلوا علی سعاده الدارین،الدنیا و الآخره.

إن مجموع هذه المعتقدات و الأسس(الاعتقاد بحقیقه الإنسان و الکون)و ما یلازمها من أحکام،و أنظمه متناسقه،و التی تدخل فی نطاق عملهم فی الحیاه تسمی ب«المذهب»مثل مذهب التسنن و التشیع فی الإسلام،أو مذهب الملکانی و النسطوری فی المسیحیه.

و بناء علی ما تقدم،یستحیل علی الإنسان-و إن کان منکرا لوجود الله تعالی-أن یکون فی غنی عن الدین(دستور الحیاه الذی بنی علی أصل اعتقادی).فالدین إذن طریقه الحیاه التی لا تنفک عنها.

و القرآن الکریم،یشیر إلی أن الإنسان لا بدّ أن ینتهج الدین طریقا له و مسلکا،و هذا الطریق قد جعله الله تعالی لکافه البشر، و بانتهاجه یصل إلی الله جلّ و علا.

و لکن الأمر یختلف بالنسبه إلی الأفراد،فأما الذین سلکوا الدین الحقّ و هو الإسلام،فقد سلکوا طریق الصواب،و أما الذین مالوا عن هذا الطریق،فقد ضلوا ضلالا مبینا (۱).

ص: ۱۷

۱- ۱) «أَلاٰ لَعْنَهُ اللّٰهِ عَلَی الظّٰالِمِینَ اَلَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ وَ یَبْغُونَهٰا عِوَجاً» الآیه ۴۴، سوره الأعراف.

الإسلام:الإسلام لغه،هو الانقياد لأمر الآمر و نهيه بلا اعتراض،و قد أطلق القرآن الكريم،كلمه الإسلام على هذه الدعوه،و إطاره العام هو تسليم الإنسان أمام ربّ العالمين (۱).و ألا يعبد إلا الله الواحد الأحد،و ألّا يتبع إلّا أوامره.

و القرآن الكريم يخبرنا أن إبراهيم الخليل-عليه السلام-هو أوّل من سمّى هذا الدين بالإسلام،و متبعيه بالمسلمين (۲).

الشيعه:يراد بها الأتباع،و تطلق على الذين يرون أن الخلافه بعد النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم منحصره فى أهل بيته.و المراد منها فى المعارف الإسلاميه،التابعون لأهل البيت-عليهم السلام (۳)-.

ص:۱۸

۱- ۱) «وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّهَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً» الآيه ۱۲۵،سوره النساء. «قُلْ يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ تَعٰالَوْا إِلىٰ كَلِمَهٍ سَوٰاءٍ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّٰ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَ لاٰ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لاٰ يَتَّخِذَ بَعْضُنٰا بَعْضاً أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللّهِ،فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّٰا مُسْلِمُونَ» الآيه ۶۴،سوره آل عمران. يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّهً» الآيه ۲۰۸،سوره البقره.

۲- ۲) «رَبَّنٰا وَ اجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَكَ» الآيه ۱۲۸،سوره البقره. «مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ هُوَ سَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ» الآيه ۷۸،سوره الحج.

۳- ۳) تطلق كلمه الشيعه على طائفه من الزيديه،التى تقرّ بخلافه الخليفتين الأول و الثانى، قبل الإمام على عليه السّلام،و تتبع فقه أبى حنيفه فى الفروع،و السبب فى هذه التسميه،هو أنهم كانوا يسرون الخلافه لعلى عليه السّلام و أولاده،قبال خلافه بنى أميّه و بنى العباس.

الفصل الأول:

اشاره

كيفيه نشوء الشيعه و تطورهم

ص :١٩

بدایه نشوء الشیعه

یجب أن نعلم أن بـدایه نشوء الشـیعه،و التی سـمیت لأول مره بشـیعه علی«أول إمام من أئمه أهل البیت(علیهم السـلام)» و عرفت بهـذا الاسم،کان فی زمن النبیّ الأکرم صـلی اللّه علیه و آله و سـلم،فظهور الـدعوه الإسـلامیه و تقدمها و انتشارها خلال ثلاث و عشرین سنه، زمن البعثه النبویّه،أدت إلی ظهور مثل هذه الطائفه بین صحابه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۱):

أ- فی الأیام الأولی من بعثته صـلی اللّه علیه و آله و سـلم أمر الرسول بنص من القرآن الکریم، وَ أَنْـذِرْ عَشِـیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ (۲)،و صرّح فی جمعهم أن أوّل من یبایعنی علی هذا الأمر سـیکون خلیفتی و وصیی من بعدی، فکان علی علیه السّلام أول من تقدم،و قبل الإسلام،و النبی قبل إیمانه،

۱- ۱) أول اسم ظهر فی زمن النبی صـلی اللّه علیه و آله و سـلم،اسم الشـیعه،و اشـتهر کل من سـلمان و أبو ذر و المقداد و عمّار بهذا اللقب.حاضر العالم الإسلامی ۱:۱۸۸.

۲- ۲) سوره الشعراء الآیه ۲۱۴.

و تعهّد بكلّ ما وعده به (۱)،و يستحيل عاده على قائد نهضه،و فى أيامها الأولى أن يعيّن أحد أصحابه وزيرا و خليفه له على الآخرين،و لا يعرّفه للخلّص من أصحابه و أعوانه،أو أن يكتفى بهذا الامتياز ليعرفه و ليعرّفه،و لا يطلعه على مهمته طوال حياته و دعوته أو أن يجعله بعيدا عن مسئوليات الوزاره و الخلافه-بغضّ النظر عن مقام الخلافه-و ما يجب أن يبدى لها من احترام و تقدير،و لا يفرّق بينه و بين الآخرين.

ب- إن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم وفقا للروايات المستفيضه و المتواتره عن طريق أهل السنه و الشيعه،و التى يصرّح فيها أن عليا عليه السلام مصون من الخطأ و المعصيه فى أقواله و أفعاله (۲)،و كل ما يقوم به فهو مطابق للدعوه و للرساله،و هو أعلم الناس بالعلوم الإسلاميه و شريعه السماء (۳).

۱- ۱) جاء فى الحديث عن على عليه السّلام:و قلت:و لأنى لأحدثهم سنا،أنا يا نبى الله،أكون وزيرك عليه،فأخذ برقبتى،ثم قال:إن هذا أخى و وصيّ و خليفتى فيكم،فاسمعوا له و أطيعوا،قال فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب:قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع.تاريخ اليعقوبى ج ۲:۶۳-تاريخ أبى الفداء ج ۱:۱۶۶-البدايه و النهايه ج ۳: ۳۹-غايه المرام ۳۲۰.

۲- ۲) عن أم سلمه قالت:لقد سمعت رسول الله(ص)يقول:علىّ مع الحق و القرآن،و الحق و القرآن مع علىّ،و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض.و نقل هذا الحديث،عن ۱۵ طريقا من العامه و ۱۱ طريقا من الخاصه و رواته أم سلمه،و ابن عباس،و أبو بكر، و عائشه،و علىّ،و أبو سعيد الخدرى،و أبو ليلى،و أبو أيوب الأنصارى.غايه المرام ۵۳۹ -۵۴۰.قال رسول الله(ص):رحم الله عليا دار الحق معه حيث دار.البدايه و النهايه ج ۷:۳۶۰.

۳- ۳) عن علقمه قال:كنت عند رسول الله(ص)،فسئل عن علىّ فقال:قسمت الجنه عشره أجزاء،أعطى علىّ تسعه و الناس جزءا واحدا.

ج- قام الإمام على عليه السّلام بخدمات جمه للرساله و تضحيات مدهشه (۱)،كمنامه فى فراش النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم ليله الهجره.فلو لم يكن الإمام على عليه السّلام مشاركا فى إحدى غزوات بدر و أحد و الخندق و خيبر،لما حقق الإسلام و لا المسلمون انتصاراتهم المظفره.و لكان القتل و الفشل حليفهم (۲).

د- موضوع غدير خم،و الذى أعلن فيه النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم الولايه العامه لعلى عليه السّلام فجعل لعلى على المسلمين ما كان له صلى اللّه عليه و آله و سلم عليهم (۳).

من الطبيعى،أن هذه الخصائص و الفضائل التى انفرد بها الإمام على عليه السّلام،و التى هى مورد اتفاق الجميع (۴).و المودّه الخاصه (۵)،التى كان يبديها النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم.جعلت له مؤيدين و محبّين مخلصين،من صحابه النبى و أنصاره،كما أثارت لدى البعض الآخر الحقد و الحسد.

۱- ۱) عند ما قرر كفار مكه قتل محمد(ص)و حاصروا بيته،صمّم النبى(ص)أن يهاجر إلى المدينه،فقال لعلى:هل أنت مستعد أن تبيت فى فراشى حتى يظنوا بأننى نائم، فأكن فى مأمن منهم،وافق على(ع)على الاقتراح بكل سرور.

۲- ۲) راجع كتب التاريخ و الحديث.

۳- ۳) حديث الغدير من الأحاديث المتفق عليه سنه و شيعه،و قد نقل هذا الحديث أكثر من مائه صحابى بأسانيد و عبارات مختلفه،و هى مدونه فى كتب العامه و الخاصه،لمزيد من التفصيل يراجع كتاب غايه المرام صفحه ۷۹ و كتاب العبقات مجلد الغدير.و كذا كتاب الغدير.

۴- ۴) تاريخ اليعقوبى طبع النجف الأشرف،المجلد الثانى صفحه ۱۳۷-/۱۴۰تاريخ أبى الفداء المجلد الأول ص /۱۵۶صحيح البخارى ج ۱۰۷/:۴مروج المذهب ج ۲:۴۳۷ ابن أبى الحديد ج ۱:۱۲۷ و ۱۶۱.

۵- ۵) صحيح مسلم ج ۱۷۶/:۵صحيح البخارى ج ۲۰۷/:۴مروج الذهب ج ۴۳۷/:۲تاريخ أبى الفداء ج ۱:۱۲۷ و ۱۸۱.

و فضلا عن هذا كلّه،فإن كلمه«شيعه على»و«شيعه أهل البيت»قد جاءت فى كثير من أقوال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم (۱).

سبب انفصال الأقليّه الشيعيه عن أكثريه السّنه،و ظهور الاختلافات

كان شيعه على عليه السّلام و أصحابه يعتقدون اعتقادا راسخا أن الخلافه ستكون لعلى عليه السّلام بعد وفاه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و ذلك لما كان يتسم به عليه السّلام من مقام و منزله لدى الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و الصحابه و المسلمين، و ظواهر الأمور و الحوادث تؤيد ذلك،باستثناء ما حدث فى أيام مرضه الأخير صلى اللّه عليه و آله و سلم (۲).

ص: ۲۴

۱- ۱) عن جابر بن عبد الله قال،كنا عند النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،فأقبل على بن أبى طالب،فقال النبى قد أتاكم أخى،ثم التفت إلى الكعبه فضربها بيده ثم قال و الذى نفسى بيده،إن هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامه. عن ابن عباس،قال:لما نزلت هذه الآيه «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ» قال النبى:هم أنت و شيعتك تأتى أنت و شيعتك يوم القيامه راضين مرضيين.و قد ورد هذان الحديثان و أحاديث أخرى فى كتاب الدرّ المنثور ج ۱:۳۷۹ و غايه المرام صفحه ۳۲۶.

۲- ۲) لما مرض رسول الله(ص؛مرض الموت،دعا أسامه بن زيد بن حارثه،فقال:سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل،فقد وليتك على هذا الجيش و إن ظفرك الله بالعدوّ، فاقلل اللبث،و بثّ العيون و قدم الطلائع،فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين و الأنصار إلاّ كان فى ذلك الجيش،منهم أبو بكر و عمر،فتكلم قوم و قالوا:يستعمل هذا الغلام على جلّه المهاجرين و الأنصار،فغضب رسول الله(ص)لما سمع ذلك و خرج عاصبا رأسه، فصعد المنبر و عليه قطيفه،فقال:أيها الناس ما مقاله بلغتنى عن بعضكم فى تأمير أسامه،لئن طعنتم فى تأميرى أسامه،فقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله،و ايم الله إن كان لخليفا بالإماره،و ابنه من بعده لخليق بها و إنهما لمن أحبّ الناس إلىّ، فاستوصوا خيرا...شرح ابن أبى الحديد ج ۱:۱۵۹. قال رسول الله(ص)لما حضرته الوفاه:«ائتونى باللوح و الدواه،أو بالكتف و الدواه، أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده»فقالوا:«إن رسول الله ليهجر».-

و لکن الذی حدث هو غیر ما کانوا یتوقعونه،ففی الوقت الذی التحق النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بالرفیق الأعلی،و لم یغسل جسده الطاهر،و لم یدفن بعد،و حینما کان أهل البیت و عدد من الصحابه منصرفین إلی العزاء،و إجراء المقدمات اللازمه له،إذ وصلهم نبأ انصراف جماعه قلیله لتعیین الخلیفه بعد الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم،و هذه القله التی غلبت الکثره،قد بادرت بهذا الأمر عجاله،دون استشاره أهل البیت،و أقرباء النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و عشیرته و صحابته الذین وجدوا أنفسهم أمام أمر واقع (۱)،و بعد أن فرغ الإمام علی علیه السّلام،و من معه من الصحابه(کابن عباس و الزبیر و سلمان و أبی ذر و المقداد و عمّار)من دفن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم أعلموا بالذی حدث،فرفعوا علم المعارضه،و انتقدوا القائمین بهذا الأمر،و أبدوا اعتراضهم للخلافه الانتخابیه،بإقامتهم جلسات متعدده،و الجواب الذی سمعوه هو أن صلاح المسلمین کان فی الذی حدث (۲).

فهذا الانتقاد و الاعتراض أدّی إلی انفصال الأقلیه عن الأکثریّه، و اشتهر أصحاب الإمام علی علیه السّلام باسم«شیعه علی»!فالقائمون

(۲)

-تاریخ الطبری ج ۲:۴۳۶/صحیح البخاری ج ۳/صحیح مسلم ج ۵. البدایه و النهایه ج ۵:۲۲۷/ابن أبی الحدید ج ۱:۱۳۳. و قد تکررت مثل هذه الحادثه فی مرض موت الخلیفه الأول،و قد أوصی بخلافه عمر، و أغمی علیه فی أثناء وصیته،فلم یعترض عمر علی الأمر،و ثم ینسب إلیه الهذیان، فی حین أنه أغمی علیه فی أثناء الوصیه،علما بأن النبی(ص)معصوم،و لم یفقد و عیه حتی آخر لحظه من لحظات حیاته.روضه الصفا ج ۲:۲۶۰.

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ج ۱:۵۸ و ۱۲۳-۱۳۵-تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۰۲-تاریخ الطبری ج ۲:۴۴۵-۴۶۰.

۲- ۲) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۰-۱۰۶/تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۵۶ و ۱۶۶. مروج الذهب ج ۲:۳۰۷ و ۳۵۲/ابن أبی الحدید ج ۱:۱۷ و ۱۳۴.

بأمور الخلافه،كانوا يسعون-وفقا للسياسه آنذاك-ألّا يشتهر هؤلاء الأقليه بهذا الاسم،و ألّا ينقسم المجتمع إلى أقليه و أكثريه، فكانوا يعتبرون الخلافه إجماعا،و يطلق على المعارض لها،متخلفا عن البيعه،و متخلفا عن جماعه المسلمين،و أحيانا كان يوصف بصفات بذيئه أخرى (۱).

و فی الحقیقه،أن الشیعه قد حکم علیها بالتخلف عن الجماعه منذ الأیام الأولی،و لم تستطع أن تکسب شیئا منذ أن أبدت معارضتها،و الإمام علی علیه السّلام لم یعلنها ثوره و حربا،رعایه لمصلحه الإسلام و المسلمین،و لفقدانه للأنصار بالقدر المطلوب،إلا أن هؤلاء المعارضین لم یستسلموا للأکثریه من حیث العقیده،و کانوا یرون أن الخلافه و المرجعیه العلمیه هی حق مطلق للإمام علی علیه السّلام (۲)فکان رجوعهم فی القضایا العلمیه و المعنویه إلیه وحده، و کانوا یدعون إلی هذا الأمر (۳).

۱- ۱) قال عمر بن حریث لسعد بن زید...قال:فخالف علیه أحد؟قال:لا،إلاّ مرتد أو من قد کاد أن یرتدّ.تاریخ الطبری ج ۲:۴۴۷.

۲- ۲) قال رسول الله صلی اللّه علیه و آله و سلم:إنی قد ترکت فیکم الثقلین ما إن تمسکتم بهما لن تضلّوا بعدی، أحدهما أکبر من الآخر،کتاب الله حبل ممدود من السماء إلی الأرض،و عترتی أهل بیتی،إلا أنهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض.و قد روی هذا الحدیث أکثر من ۱۰۰ طریق عن ۳۵ شخصا من صحابه الرسول الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم.یراجع العبقات مجلد الثقلین-غایه المرام صفحه ۲۱۱. قال رسول الله صلی اللّه علیه و آله و سلم:أنا مدینه العلم و علیّ بابها،فمن أراد العلم فلیأتها من قبل بابها. البدایه و النهایه ج ۷:۳۵۹.

۳- ۳) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۰۵-۱۵۰.

موضوعا الخلافه و المرجعيّه العلميّه

كـان الشيعه يعتقـدون أن مـا يهمّ المجتمع أولاـ و قبل كل شـيء هو تبيان و توضـيح التعاليم الإسـلاميه [(١)](#).و من ثم نشـرها فى المجتمـع، و بعبـاره أخرى هى نظره المجتمـع إلى العـالم و الإنسـان نظره واقعيـه، و الوقـوف على الواجبـات و الوظـائف الإنسانيه(بالشكل الذى يكون فيه الصلاح الحقيقى)و القيام بها،و إن كانت مخالفه لإهوائهم و ميولهم.

هـذا من جهه و من جهه أخرى فـإن قيـام حكومه دينيه ليس إلا لتنفيـذ الأحكام الإسـلاميه فى المجتمع،و الحفاظ عليها،بحيث لا يعبـد النـاس إلاـ الله جـلّ و علاـو أن يحظوا بحرّيه تامه و عـداله فرديه و اجتماعيه،و هاتان المهمتان يجب أن تناطا إلى شـخص يتسم بالعصـمه و الرعايه الإلهيه،إذ من المحتمل أن يتعهد هذه المسئوليه أناس لم يسلموا من الانحراف الفكرى و العقائدى،و لم ينزّهوا من الخيانه.و تتحول العـداله التى تمنح الحريه الإسـلاميه إلى ملوكيه موروثه مسـتبده،كملوكيه كسـرى و قيصـر،و تتعرض التعاليم الإسلاميه المنزهه إلى تحريف،كتعاليم الأديان السماويه الأخرى،و لا تكون بمأمن من العلماء الذين قد ركبوا أهواءهم.

فالشخص الوحيد الذى قد نهج نهج الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم فى أعماله

ص: ٢٧

١- ١) كتاب الله و السـنه النبويه و أئمه أهل البيت-عليهم السـلام-خير دليل على تحريضهم لاكتساب العلم و قول النبى(ص)خير شاهد إذ يقول:«طلب العلم فريضه على كل مسلم)البحار ج ١:٥٥.

و أفعاله،و كان سديدا فى سيرته،متبعا لكتاب الله تعالى و سنه نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلم اتباعا كاملا هو الإمام على عليه السّلام (۱).

و إذا كانوا يحتجون بأن قريشا كانت تعارض حكومه على عليه السّلام الحقه و خلافته،كان لزاما عليهم أن يوجّهوا المخالفين التوجيه الحسن،و أن يرشدوهم إلى طريق الحقّ و الصواب،كما فعلوا مع ممتنعى الزكاه،فحاربوهم،و لم يتوانوا عن أخذ الزكاه منهم،لا أن يدحضوا الحقّ خوفا من مخالفه قريش.

نعم،ان السبب الذى دفع الشيعه لمعارضه الخلافه الانتخابيه، هو الخوف من عواقبها الوخيمه ألا و هى فساد و سقم الطريقه التى ستتخذها الحكومه الإسلاميه،و ما يلازمها من انهدام الأسس العاليه للدين.و قد أوضحت الحوادث المتتاليه صحه هذه العقيده بمرور الزمان و الأيام،أكثر فأكثر،مما أدّى بالشيعه إلى أن تكون ثابته فى عقيدتها،مؤمنه بأهدافها.علما بأنها كانت أقليه.إلا أن هذه الأقليه قد ذابت فى الأكثريه ظاهرا،و لكنها بقيت تستلهم التعاليم الإسلاميه من أهل البيت باطنا،و كانت متفانيه فى نهجها و طريقها.و فى الوقت ذاته كانت تسعى فى التقدم و الرقىّ،و الحفاظ على قدره الإسلام و عظمته،فلم تبد مخالفتها علنا و جهارا.و كانت الشيعه تذهب إلى الجهاد سيرا مع الأكثريه،و لا تتدخل فى الأمور العامه،و كان الإمام على عليه السّلام يرشد الأكثريه لما فيه نفع الإسلام (۲)،و مصلحه المسلمين.

۱- ۱) البدايه و النهايه ج ۷:۳۶۰.

۲- ۲) تاريخ اليعقوبى صفحه ۱۱۱ و ۱۲۶ و ۱۲۹.

الطريقه السياسيه للخلافه الانتخابيه،و مخالفتها للفكر الشيعی

كان الشيعه يعتقدون أن شريعه الإسلام السماويه التی تعيّنت مضامينها فی كتاب الله و سنه نبيه صلی اللّه عليه و آله و سلم ستبقی خالده إلی يوم القيامه دون أن يصيبها تغيير أو تحريف (١).

و الحكومه الإسلاميه لا يحقّ لها بأیّ عذر أن تتهاون فی إجراء الأحكام إجراء كاملا.فواجب الحكومه الإسلاميه هو أن تتخذ الشوری فی نطاق الشريعه و وفقا للمصلحه،و لكن ما حدث من واقعه البيعه السياسيه،و كذا حادثه الدواه و القرطاس،و الذی حدث فی أخريات أيام مرض النبی الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلم لدليل واضح علی أن المدافعين عن الخلافه الانتخابيه كانوا يعتقدون أن كتاب الله وحده يجب أن يحفظ و يحتفظ به كقانون.أما السنه و أقوال النبی الكريم صلی اللّه عليه و آله و سلم فليس لها ذلك الاعتبار،و هم علی اعتقاد أن الحكومه الإسلاميه تستطيع أن تضع السنه جانبا إذا اقتضت المصلحه ذلك.

و هذه العقيده تؤيدها روايات نقلت فی خصوص الصحابه تقول بأن(الصحابه ذوو اجتهاد،فإذا ما أصابوا فی اجتهادهم فإنهم مأجورون و إذا ما أخطئوا فهم معذورون)،و خير دليل علی ذلك، ما حدث لخالد بن الوليد،و هو أحد القاده عند الخليفه،إذ دخل

١- ١) قوله تعالی فی كتابه العزيز: «وَ إِنَّهُ لَكِتٰابٌ عَزِيزٌ لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ» ،(سوره فصلت الآيه ۴١،۴٢). و يقول فی سوره يوسف «إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ» أی أن الشريعه هی شريعه الله و التی تصل إلی الناس عن طريق النبوه،إذ يقول «وَ لٰكِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَ خٰاتَمَ النَّبِيِّينَ» الأحزاب الآيه ۴٠.و هو القائل أيضا «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكٰافِرُونَ» سوره المائده الآيه ۴۴.

ضیفا علی أحد مشاهیر المسلمین(مالک بن نویره)لیلا.و تربّص له فقتله،و وضع رأسه فی التنور و أحرقه،و فی اللیله ذاتها واقع زوجه مالک،و بعد هذه الجنایه التی ینـدی لها الجبین،لم یجر الخلیفه الحدّ علیه،متذرعا بعذر:ألا و هو أن حکومته بحاجه إلیه (۱).

و کذا الامتناع من إعطاء الخمس لأهل البیت و أقرباء النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۲)و منع کتابه أحادیث النبی الکریم منعا باتا،و إذا ما عثر علی حدیث مکتوب عند شخص کان یحرق (۳)و کانت هذه السنه قائمه طوال خلافه الخلفاء الراشدین،و حتی زمن خلافه عمر بن عبد العزیز (۴)الخلیفه الأموی(۹۹-۱۰۲)و قد تجلت هذه السیاسه فی خلافه الخلیفه الثانی(۱۳-۲۵)للهجره.

إذ ألغی بعض أحکام الشریعه مثل:حج التمتع و نکاح المتعه،

۱- ۱) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۱۰-تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۵۸.

۲- ۲) الدرّ المنثور ج ۳:۱۸۶/تاریخ الیعقوبی ج ۳:۴۸ و فضلا عن هذا کله فإن وجوب الخمس صریح فی القرآن الکریم «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی» سوره الأنفال،الآیه ۴۱.

۳- ۳) جمع أبو بکر فی زمن خلافته خمسمائه حدیثا،تقول عائشه وجدت أبی مضطربا ذات لیله حتی الصباح فقال لی فی الصباح آتینی الأحادیث،فأحرقها جمیعا. کنز العمال ج ۵:۲۳۷ کتب عمر إلی البلدان. کنز العمال ج ۵:۲۳۷.یقول محمد بن أبی بکر:إن الأحادیث کثرت علی عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن یأتوه بها فلما أتوه بها أمر بحرقها.طبقات ابن سعد ج ۵: ۱۴۰.

۴- ۴) تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۵۱ و غیره.

و ذکر(حیّ علی خیر العمـل) (۱)فی الأذان،و جعل الطلاق ثلاثا نافذ الحکم،و غیرها (۲)، و فی زمن خلافته کـان بیت المال یوزع بین الناس مع تباین (۳)و الذی أدّی إلی ظهور طبقات مختلفه بین المسلمین، تثیر الدهشه و القلق،و کان من نتائجها وقوع حوادث دامیه مفزعه، و فی زمنه کـان معاویه فی الشام یتمتع بسلطان لا یختلف عن سلطنه کسری و قیصر،و قد سماه الخلیفه بکسری العرب،و لم یتعرض له بقول،و لم یردعه عن أعماله.

و بعد أن قتل الخلیفه الثانی علی ید غلام فارسی،و وفقا لأکثریه آراء الشوری البالغ عددهم سته أعضاء و الذی تم تشکیله بأمر من الخلیفه عیّن الخلیفه الثالث،فعیّن أقرباءه الأمویین ولاه و أمراء،فجعل منهم الولاه فی کلّ من الحجاز و العراق و مصر و سائر البلدان الإسلامیه،فکانوا جائرین فی حکمهم،عرفوا بشقاوتهم و ظلمهم و فسقهم و فجورهم،نقضوا القوانین الإسلامیه الجاریه.فالشکاوی کانت تنهال علی دار الخلافه،و لکن الخلیفه

۱- ۱) شرع النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی حجه الوداع فعمل الحج للحجاج القادمین من مکان بعید وفقا للآیه «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ...» بشکل خاص،فمنع ذلک عمر فی زمن خلافته،و کذلک المتعه کانت قائمه فی زمن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،فمنعها عمر فی أیام خلافته،و أمر بإقامه الحدّ علی المخالفین،و أما ذکر(حیّ علی خیر العمل)فکان یذکر فی عهد الرسول العظیم، فی أذان الصلاه،و لکن عمر فی خلافته قال إن هذه العباره تقعد الناس عن الجهاد، فأبدلها بأخری،و کذا موضوع الطلاق فما کان علی عهد الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم أن الطلاق إذا تعدد فی مجلس واحد،فلیس له اعتبار،و یعد طلاقا واحدا.و لکن عمر أجاز الطلاق الثلاث فی مجلس واحد.فالمسائل هذه و نظائرها قد وردت فی کتب الحدیث و الفقه و الکلام لدی الفریقین السنه و الشیعه.

۲- ۲) تاریخ الیعقوبی ج ۱۳۱/:۲تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۶۰.

۳- ۳) أسد الغابه ج ۳۸۶/:۴الإصابه،المجلد الثالث.-

الثالث كان متأثرا لما تربطه بهم من صله القربی،و خاصه مروان بن الحکم (۱)و لم یهتم بشکاوی الناس،و کان أحیانا یعاقب الشکاه (۲)فثار الناس علیه سنه ۳۵ للهجره،و بعد محاصره منزله،و صراع شدید قتلوه.

کان الخلیفه الثالث یؤید و إلیه علی الشام تأییدا مطلقا و هو أحد أقاربه الأمویین(معاویه)و کان یدعم موقفه بتأییده المستمر

۱- ۳) تاریخ الیعقوبی ج ۲:/۱۵۰تاریخ الطبری ج ۳:/۱۹۷تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۶۸.

۲- ۴) ثار جماعه من أهل مصر علی عثمان،فأحس عثمان بالخطر،فندم،و طلب من علی بن أبی طالب العون و المساعده.فقال علیّ:لأهل مصر أن معارضتکم هذه لم تکن إلا لإحیاء الحق،و قد ندم عثمان و تاب و هو القائل إننی تائب مما مضی،و سأنجز لهم ما طلبوه خلال مده أقصاها ثلاثه أیام،من عزل الولاه الجائرین،فکتب الإمام علی علیه السّلام معاهده من جانب عثمان،فعاد الجمع إلی بلادهم.و فی أثناء الطریق،شاهدوا غلام عثمان،و هو راکب جمل عثمان متجها إلی مصر فأساءوا الظنّ به،ففتشوه،فوجدوا لدیه رساله من عثمان لوالیه علی مصر،و قد حررت فیها ما مضمونه:عند وصول عبد الرحمن بن عدیس إلیک.و هو أحد المعارضین لعثمان-اجلده مائه جلده،و احلق شعر رأسه و لحیته،و احکم علیه بالسجن لمده مدیده،و اعمل مثل هذا مع کل من عمرو بن حمق و سودان بن حمران و عروه بن نباع. أخذوا الرساله من الغلام،و عادوا إلی عثمان ساخطین،فقالوا له:أنت أبطنت لنا الخیانه،فعرضت علیه الرساله،فأنکرها عثمان،قالوا له:إن غلامک کان یحملها، أجاب،قد قام بهذا العمل دون إذن منی،قالوا له:کان راکبا جملک،قال عثمان:قد سرق جملی.قالوا له:الرساله بخط کاتبک،أجاب،کتبت دون علمی،قالوا،فعلی أیه حال،الخلافه لا تلیق بک:و یجب أن تستقیل من مقامک،لأن الأمر هذا لو کان علی علم منک،فإنک خائن،و إن لم یکن علی علم منک،فلست جدیرا بالخلافه و بهذا یثبت عدم صلاحیتک لهذه المهمه،فإما أن تتخلی عن الخلافه و تستقیل،و إما أن تعزل الولاه الظالمین،فأجاب عثمان:لو أردتم أن أکون کما تریدون،إذن فمن الخلیفه و صاحب الأمر؟!أنا أم أنتم؟!فنهضوا من مجلسه ساخطین علیه. جاءت هذه الواقعه فی کتاب تاریخ الطبری المجلد الثالث فی صفحه ۴۰۲ و حتی ۴۰۹، و وردت ملخصه هنا من قبل المؤلف.کلمه المترجم.

له.و فى الحقيقه كان ثقل الخلافه فى الشام،و لم تكن المدينه (مركز الخلافه)إلا شكلا ظاهرا (۱).

فخلافه الخليفه الأول قد استقرت بعد بيعه أكثريه الصحابه له،و الخليفه الثانى عيّن من قبل الخليفه الأول،و الخليفه الثالث انتخب من الأعضاء السته للشورى الذين عيّنهم الخليفه الثانى.

فكانت سياسه هؤلاء الخلفاء الثلاثه فى الأمور و شئون الناس أن ينفذوا القوانين الإسلاميه فى المجتمع وفقا للاجتهاد و المصلحه آنذاك،و وفقا لما يرتئيه مقام الخلافه،فالقرآن يقرأ دون تفسير أو تدبّر و أقوال الرسول الأكرم العظيم صلى اللّه عليه و آله و سلم(الحديث) تروى دون أن تكتب على قرطاس،و لا تتجاوز حدّ الأذن و اللسان فكانت الكتابه مختصه بالقرآن الكريم،و الحديث لا يكتب على الإطلاق (۲).

و بعد معركه اليمامه و التى انتهت فى سنه ۱۲ للهجره بمقتل جمع من الصحابه كانوا من حفظه القرآن،اقترح عمر بن الخطاب على الخليفه الأول أن يجمع القرآن فى مصحف،و يبين الهدف و الغرض من اقتراحه بقوله:إذا ما حدثت معركه أخرى، و اشترك فيها بقيه حمله القرآن و حفظته،فسوف يذهب القرآن من بين أظهرنا،إذن ينبغى جمع آيات القرآن فى مصحف،تكتب آياته (۳)،فنفذوا هذا الاقتراح بالنسبه للقرآن الكريم.

۱- ۱) تاريخ الطبرى ج ۳:۳۷۷.

۲- ۲) صحيح البخارى ج ۶:۹۸/تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۱۳.

۳- ۳) تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۱۱/الطبرى ج ۳:۱۲۹-۱۳۲.

و مع أن الأحاديث النبويه هى التاليه للقرآن،و كانت تواجه نفس الخطر،و لم تكن بمأمن من خطر نقل معنى الحديث،دون الالتفات إلى النص،و كذا الزياده و النقصان،و التحريف و النسيان، و ما إلى ذلك من الأخطار التى كان يواجهها الحديث،فلم توجه عنايه أو رعايه لحفظه و صيانته،بل كانت كتابه الحديث ممنوعه، و إذا ما حصلوا على شيء منه فكان يلقى فى النار.

و لم تمض فتره من الزمن حتى ظهر الاختلاف فى المسائل الإسلاميه الضروريه كالصلاه،و لم يطرأ تقدم فى بقيه الفروع العلميه فى هذه الفتره،فى حين نرى القرآن الكريم يشجع المشتغلين بالعلم،و أحاديث النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم تؤيد ذلك،فلم ير لتلك الآيات و الأحاديث مصداقا فى الخارج،و انصرف أكثر الناس إلى الفتوحات المتعاقبه،و فرحوا بالغنائم المتزايده،و التى كانت تتدفق إلى الجزيره العربيه من كل حدب و صوب،و لم يكن هناك اهتمام بعلوم سلاله الرساله و معدن الوحى،و فى مقدمتهم على عليه السلام.و النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم كان قد صرح معلنا أن عليا أعرف الناس بالعلوم الإسلاميه،و المفاهيم القرآنيه،و لم يسمحوا له بالمشاركه فى جمع القرآن(و هم على علم من أن عليا بعد وفاه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم كان جليس داره يجمع القرآن)و لم يذكر اسمه فى أنديتهم و اجتماعاتهم (۱).

۱- ۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲:ابن أبى الحديد ج ۱:۹. و قد ورد فى روايات كثيره أنه أرسل على علىّ عليه السّلام بعد انعقاد البيعه لأبى بكر،و طلب منه البيعه،فأجابه بأننى عاهدت نفسى ألا أخرج من دارى سوى وقت الصلاه حتى أكمل جمع القرآن،و يروى أيضا،أن عليا بايع أبا بكر بعد سته أشهر،و هذا دليل على-

إن هذه الأمور و نظائرها،أدّت بشيعه عليّ إلى أن يقفوا موقفا أكثر وعيا و أرسخ عقيده،و أشد نشاطا،و لما كان على عليه السّلام بعيدا عن ذلك المقام الذى يجعله مشرفا على التربيه العامه للناس، انصرف إلى تربيه الخاصه من شيعته و أنصاره.

انتهاء الخلافه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و سيرته

بدأت خلافه على عليه السّلام فى أواخر سنه خمس و ثلاثين للهجره، و استمرت حوالى أربع سنوات و تسعه أشهر،و كان فى سيرته مماثلا لسيره النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم (۱)،أعاد معظم المسائل التى حدثت فى زمن الخلفاء السابقين إلى حالتها الأولى،و عزل الولاه غير الكفوءين (۲).و فى الحقيقه،أحدث انتفاضه ثوريه،كانت تنطوى على مشاكل متعدده.

و الإمام على عليه السّلام فى الأيام الأولى من خلافته وقف مخاطبا الناس قائلا:«ألا و إنّ بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلم و الذى بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبله،و لتغربلنّ غربله و لتساطنّ سوط القدر،حتى يعود أسفلكم أعلاكم،و ليسبقنّ سابقون كانوا قصروا،و ليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا» (۳).

(۱)

-جمعه للقرآن،و يروى أيضا أن عليا بعد انتهائه من جمع القرآن،حمل القرآن على ناقه و جاء به إلى الناس و يروى أيضا،أن معركه اليمامه كانت فى السنه الثانيه من خلافه أبى بكر،و بعد انتهاء المعركه جمع القرآن،كل هذه تشير إليها كتب التاريخ و الحديث التى تعرضت لموضوع جمع القرآن.

۱- ۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۵۴.

۲- ۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲:/۱۵۵مروج الذهب ج ۲:۳۶۴.

۳- ۳) نهج البلاغه خطبه رقم ۱۵.

استمر الإمام على عليه السّلام فى حكومته الثوريه،فرفعت أعلام المعارضه من قبل المخالفين،كما هى طبيعه الحال فى كل ثوره،إذ لا بدّ من مناوئين،يرون مصالحهم فى خطر،فأحدثوا حربا داخليه داميه،بحجه الأخذ بثأر دم عثمان و التى استمرت طوال خلافه الإمام على عليه السّلام تقريبا.و يعتقد الشيعه أن المسببين لهذه الحروب لم يريدوا سوى منافعهم الخاصه،و لم يكن الثأر بدم عثمان إلا ذريعه يتمسكون بها،ليحرّضوا عوام الناس للمعارضه و النهوض ضد إمام الأمه و خليفتها،إذ أن هذه المعارضه لم تحدث عن سوء تفاهم (۱).

و ما الأسباب و الدوافع التى خلقت معركه الجمل إلّا غائله الاختلاف الطبقى،و التى وجدت فى زمن الخليفه الثانى أثر توزيع الأموال من بيت المال بطرق متباينه،و بعد خلافه على عليه السّلام كانت

---

۱ - ۱) بعد وفاه الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم امتنع جمع قليل من شيعه على من البيعه و كان فى مقدمتهم من الصحابه سلمان و أبو ذر و المقداد و عمار،و فى أوائل خلافه على عليه السّلام امتنع من البيعه جماعه،مثل سعيد بن العاص و الوليد بن عقبه و مروان بن الحكم و عمرو بن العاص و بسر بن أرطاه و سمره بن جندب و المغيره بن شعبه و غيرهم. و عند دراسه حياه هذين الفريقين،و التأمل فى أعمالهم طوال حياتهم،و ما احتفظ به التاريخ من قصص،يتضح جليا كنه شخصيتهم و أهدافهم،فالفريق الأول كان من أصحاب النبى الأكرم المقربين،و اشتهروا بزهدهم و عبادتهم و تضحيتهم للإسلام، قال رسول الله(ص):إن الله أمرنى بحبّ أربعه و أخبرنى أنه يحبّهم،قيل يا رسول الله من هم،قال:علىّ منهم(قال ذلک ثلاثا)و أبو ذر و سلمان و المقداد. سنن ابن ماجه ج ۱:۵۳. عن عائشه قالت:قال رسول الله(ص):ما عرض على عمار أمران إلا اختار الأرشد منهما.سنن ابن ماجه ج ۱:۵۲.

الأموال توزع بين الناس بالسويّه (۱)،كما كان يفعل النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی حیاته،و الطریقه هذه أثارت غضب«الزبیر»و«طلحه»فتمردا، و خرجا من المدینه إلی مکه بحجّه الحجّ،فاتفقا مع أمّ المؤمنین (عائشه)التی کانت فی مکه،و لم یکن بینها و بین علیّ صفاء و موده،أن یطالبوا بدم عثمان،فأضرموا نار الحرب (۲).

علما بأن«طلحه»و«الزبیر»کانا فی المدینه عند ما حوصرت دار الخلیفه الثالث،فلم یدافعا عنه،و لم ینصراه (۳)،و بعد مقتله،کانا من الأوائل الذین بایعوا علیا أصاله عن أنفسهم و نیابه عن المهاجرین (۴).

و أما أمّ المؤمنین«عائشه»فقد کانت ممن حرّضوا الناس علی قتل الخلیفه الثالث (۵)،و عند ما سمعت نبأ مقتله لأول مره،قالت:

بعدا و سحقا،و فی الحقیقه أن المسببین الأصلیین لمقتل الخلیفه کانوا من الصحابه،و ذلک بإرسال الرسائل إلی البلدان لغرض إثاره الناس علی الخلیفه.

و أما السبب الذی أحدث حرب صفین،و التی استمرت سنه و نصف السنه،فهو طمع معاویه فی الخلافه،فأجّج نارها متذرعا بدم عثمان،فأریقت الدماء،و قتل ما یقارب من مائه ألف،و کان موقف معاویه من هذه الحرب موقف المهاجم،و لیس موقف المدافع،لأن الثأر لا یکون دفاعا.

۱- ۱) مروج الذهب ج ۲:۳۶۲/نهج البلاغه،خطبه رقم ۱۲۲/الیعقوبی ۲:۱۶۰.ابن أبی الحدید ج ۱:۱۸۰.

۲- ۲) الیعقوبی ج ۲/أبی الفداء ج ۱:۱۷۲/مروج الذهب ج ۲:۳۶۶.

۳- ۳) الیعقوبی ج ۲:۱۵۲.

۴- ۴) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۵۴/تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۷۱.

۵- ۵) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۵۲.

و كان شعار هذه الحرب،المطالبه بدم عثمان،علما بأن الخليفه الثالث قد طلب المساعده و العون من معاويه لردّ الهجوم،و تحرك جيش معاويه من الشام متجها إلى المدينه،و لكنه تباطأ فى سيره حتى قتل عثمان،و عندئذ رجع إلى الشام يطالب بدم عثمان (۱).

و بعد أن استشهد الإمام على عليه السّلام،تناسى معاويه قتله الخليفه؛و لم يعاقبهم.و بعد حرب«صفين»اندلعت نار حرب «النهروان»فثار جمع من الناس و فيهم بعض الصحابه بإيعاز من معاويه فثاروا على علىّ عليه السّلام،فرحلوا إلى البلدان الإسلاميه، و قتلوا كل من كان يدافع عن على عليه السّلام ففتكوا بالنساء الحوامل، مثلوا بهنّ و بأجنتهن (۲).

و الإمام على عليه السّلام قد أخمد هذه الغائله،و لكن بعد فتره استشهد فى مسجد الكوفه أثناء الصلاه،على يد الخوارج.

ما حصل عليه الشيعه طوال خلافه الإمام علىّ عليه السّلام

الإمام على عليه السّلام طوال خلافته لأربع سنوات و تسعه أشهر،و إن

۱- ۱) ...فكتب إلى معاويه يسأل تعجيل القدوم عليه،فتوجه إليه فى اثنى عشر ألفا،ثم قال: كونوا بمكانكم فى أوائل الشام،حتى آتى أمير المؤمنين لأعرف صحه أمره،فآتى عثمان، فسأله عن المده فقال:قد قدمت لأعرف رأيك و أعود إليهم فأجيئك بهم.و قال:لا و الله،و لكنك أردت أن أقتل فتقول:أنا ولىّ الثأر،ارجع،فجئنى بالناس!فرجع،فلم يعد إليه حتى قتل.تاريخ اليعقوبى ج ۱۵۲/۲:مروج الذهب ج ۲۵/۳:الطبرى ص ۴۰۲.

۲- ۲) مروج الذهب ج ۲:۴۱۵.

لم یوفق لإعاده الأوضاع المضطربه إلی حالتها الطبیعیه،إلا أنه قد وفق فی ثلاث مسائل أساسیه:

أ- استطاع أن یظهر شخصیه النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم المضیئه بسیرته العادله للناس،و خاصه الشباب،فقد کان یواسی أفقر الناس فی عیشه،أمام تلک الأبهه التی کان یتصف بها معاویه،إذ کان لا یقل عن کسری و قیصر،فالإمام علی علیه السّلام لم یقدّم أحدا من أصدقائه و أقربائه و عشیرته علی الآخرین،و لم یرجع الغنی علی الفقیر،و لا القوی علی الضعیف.

ب- مع کثره المشاکل المنهکه للقوی،فقد استطاع أن یضع فی متناول أیدی المسلمین الذخائر القیّمه من المعارف الإلهیه و العلوم الإسلامیه الحقّه.

و أما ما یقوله المخالفون لعلی علیه السّلام:إنه کان رجلا شجاعا، و لکن لیس له علم بالسیاسه،إذ کان یستطیع فی بدایه خلافته أن یرضی مخالفیه مؤقتا عن طریق المداهنه،و بعد أن یستتب له الأمر کان باستطاعته أن یحاربهم و یقضی علیهم:

فهؤلاء قد غفلوا عن ملاحظه هامه و هی أن خلافه علیّ کانت نهضه ثوریه،و جدیر بالنهضات،الثوریه،أن تکون بعیده کل البعد عن المداهنه و الریاء،و قد حدث مثیلها فی زمن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی أوائل بعثته،فطلب الکفار و المشرکون منه الصلح عده مرات و طلبوا منه ألا یتعرض لآلهتهم،و هم ملزمون بعدم التعرض لدعوته أیضا،و لکن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم رفض هذا الاقتراح،فی حین أنه کان یستطیع أن یقیم معهم الصلح،و یحکم موقفه،ثم ینهض بوجه

أعدائه،و فی الحقیقه أن الدعوه الإسلامیه لن تسمح بإضاعه حق لإقامه حق آخر،أو أن تزیل باطلا بباطل آخر.و فی القرآن آیات کثیره فی هذا الخصوص (۱).

علما بأن أعداء علی علیه السّلام و مخالفیه،لم یرتدعوا عن القیام بأیّ جرم و جنایه و نقض للقوانین الإسلامیه الصریحه(دون استثناء)بغیه الوصول إلی أهدافهم،فکانوا یبررون مواقفهم و أعمالهم بأنهم من صحابه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و من مجتهدی الأمه،و لکن الإمام علی علیه السّلام کان ملتزما بالأحکام الإسلامیه.

و یروی عن علیّ علیه السّلام ما یقارب من إحدی عشره ألف کلمه قصیره فی المسائل العقلیه و الاجتماعیه و الدینیه (۲)و خطبه و کلماته البلیغه (۳)ملیئه بالمعارف الإسلامیه (۴)،و هو الذی أسس قواعد اللغه العربیه،و وضع الأسس و المقومات للأدب العربی،و هو أول من تبحّر فی الفلسفه الإلهیه (۵)،و تکلّم وفقا لطریقه الاستدلال الحرّ و البرهان المنطقی،و تعرّض لمسائل فلسفیه لم یتعرض لها فلاسفه

۱- ۱) شأن نزول الآیه «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلیٰ آلِهَتِکُمْ» سوره ص الآیه ۶. و الآیه «وَ لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلاً» سوره الإسراء الآیه ۷۴. و الآیه «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَیُدْهِنُونَ» سوره القلم الآیه التاسعه،و یراجع المباحث الروائیه فی التفاسیر.

۲- ۲) کتاب الغرر و الدرر للآمدی،و کتب الحدیث.

۳- ۳) مروج الذهب ج ۲:۴۳۱ ابن أبی الحدید ج ۱:۱۸۱.

۴- ۴) الأشباه و النظائر للسیوطی فی النحو ج ۲:ابن أبی الحدید ج ۱:۶.

۵- ۵) یراجع نهج البلاغه.

العالم حتی ذلک الوقت،فاهتم بهذا الشأن اهتماما بالغا،حتی فی أحرج ساعات الحرب (۱).

ج- هذّب و ربّی العدید من رجال الدین و علماء الإسلام (۲)و کان من بینهم جمع من الزهاد و أهل المعرفه مثل:«أویس القرنی»و «کمیل بن زیاد»و«میثم التمّار»و«رشید الهجری»و یعتبر بعض هؤلاء من المنابع الأصیله للعرفان من بین العرفاء الإسلامیین، و یعتبر البعض الآخر منهم من المصادر الرئیسیه و الأولیه لعلم الفقه و الکلام و التفسیر و قراءه القرآن و غیرها.

انتقال الخلافه إلی معاویه و تحولها إلی ملکیه موروثه

بعد استشهاد أمیر المؤمنین علی علیه السلام،تصدّی لمنصب الإمامه الحسن بن علی علیه السّلام و ذلک وفقا لوصیه الإمام علی علیه السّلام و مبایعه الناس له،و یعتبر الإمام الثانی للشیعه الاثنی عشریه،

۱- ۱) یروی أن أعرابیا قام یوم الجمل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال:یا أمیر المؤمنین!أ تقول أن الله واحد،فحمل الناس علیه و قالوا یا أعرابی أ ما تری ما فی أمیر المؤمنین من تقسّم القلب،فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام:دعوه فإن الذی یریده الأعرابی هو الذی نریده من القوم،ثم قال یا أعرابی إن القول فی أن الله واحد علی أربعه أقسام،فوجهان منها لا یجوزان علی الله عزّ و جل،و وجهان یثبتان فیه،فأما اللذان لا یجوزان علیه، فقول القائل واحد یقصد به باب الأعداد،فهذا لا یجوز لأن ما لا ثانی له لا یدخل فی باب الأعداد،أ ما تری أنه کفر من قال إنه ثالث ثلاثه،و قول القائل هو واحد من الناس یرید به النوع و الجنس فهذا ما لا یجوز،لأنه تشبیه و جلّ ربنا و تعالی عن ذلک، و أما الوجهان اللذان یثبتان فیه،فقول القائل هو واحد لیس له فی الأشیاء شبه کذلک ربنا،و قول القائل إنه عزّ و جل أحدیّ المعنی یعنی به أنه لا ینقسم فی وجود و لا عقل و لا وهم کذلک ربنا عزّ و جلّ. بحار الأنوار ۶۵:۲(کمبانی).

۲- ۲) ابن أبی الحدید ج ۶:۱-۹.

و لكن معاويه لم يستقر و يهدأ لهذا الأمر،فجهّز جيشه و اتّجه به إلى العراق مقرّ الخلافه،معلنا الحرب على الحسن بن على عليه السّلام.

أفسد معاويه رأى أصحاب الحسن عليه السّلام بمختلف الطرق و الدسائس،و منح الأموال الطائله لهم و أجبر الإمام الحسن عليه السّلام على الصلح معه،و صيّر الخلافه إليه،بشرط أن تكون للإمام الحسن عليه السّلام بعد وفاته،و ألاّ يتعرض إلى شيعته (۱).

استولى معاويه على الخلافه(سنه ۴۰ للهجره)،فاتجه إلى العراق،فخطب فيهم قائلا:«يا أهل الكوفه.أ ترونني قاتلتكم على الصلاه و الزكاه و الحج!.و قد علمت أنكم تصلون و تزكّون و تحجّون، و لكني قاتلتكم لأتأمّر عليكم و قد أتاني الله ذلك،و أنتم كارهون» (۲).

و قال أيضا:«ألا أنّ كلّ دم أصيب فى هذه مطلول،و كل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين» (۳).

و معاويه بكلماته هذه يشير إلى أنه يريد أن يفصل السياسه عن الدين،فهو لا يريد إلزام أحد بأحكام الدين،و إنما كان اهتمامه بالحكومه فحسب،و استحكام مقوماتها،و بديهى أن مثل هذه الحكومه ملكيه و ليست خلافه و استخلافا لمنصب الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم.و قد حضر البعض مجلسه،فسلموا عليه بسلام

۱- ۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۹۰ و سائر كتب التاريخ.
۲- ۲) ابن أبى الحديد ج ۴:/۱۶۰الطبرى ج ۴:/۱۲۴ابن الأثير.ج ۳:۲۰۳.
۳- ۳) المصادر السابقه.

الملوک (۱)،و کان یعبّر فی بعض مجالسه الخاصه،عن حکومته بالملکیه (۲)،علما بأنه کان یعرّف نفسه بالخلیفه فی خطبه.

و الملکیه التی تقام علی القوه تتبعها الوراثه،و فی النتیجه کان الأمر کما أراد و نوی،فاستخلف ابنه یزید،و جعله خلیفه له من بعده،و کان شابا لا یتّصف بشخصیه دینیه،إذ قام بأعمال و جرائم یندی لها الجبین (۳).

و معاویه لم یکن یرغب فی أن یصل الإمام الحسن علیه السّلام إلی الخلافه من بعده،فدسّ له السم (۴)و بهذا الأمر،مهّد السبیل إلی استخلاف ابنه یزید.و کان یهدف من إلغائه معاهده الصلح،إلی اضطهاد الشیعه،و عدم السماح لهم بالحیاه المطمئنه،أو أن یستمروا کما فی السابق فی نشاطهم الدینی،و لقد وفّق فی هذا المضمار أیضا (۵).

و صرح معاویه فی خصوص مناقب أهل البیت،بأن کل ناقل لحدیث فی هذا الشأن لن یکون بمأمن علی حیاته و ماله و عرضه (۶)،

۱- ۱) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۹۳.

۲- ۲) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۲۰۱.

۳- ۳) کان یزید صاحب طرب و جوار و کلاب و قرود و منادمه علی الشراب و کان له قرد یکنّی بأبی قیس یحضره مجلس منادمته و یطرح له متکأ،فجاء فی بعض الأیام مسابقا فتناول القصبه و دخل الحجره قبل الخیل و علی أبی قیس قباء من الحریر الأحمر... مروج الذهب ج ۳:۶۷.

۴- ۴) مروج الذهب ج ۳:۵/أبی الفداء ج ۱:۱۸۳.

۵- ۵) النصائح الکافیه ص ۷۲ نقلا عن کتاب الأحداث.

۶- ۶) روی أبو الحسن المدائنی فی کتاب الأحداث قال:کتب معاویه نسخه واحده إلی عماله بعد عام الجماعه جاء فیها:أنه برئت الذمه ممن روی شیئا فی فضل أبی تراب و أهل بیته.کتاب النصائح الکافیه تألیف محمد بن عقیل طبع النجف سنه ۱۳۸۶ ه.ص ۷۷،و أیضا النصائح الکافیه ص ۱۹۴.

و أمر أن تعطی الهدایا و الجوائز لکل من یأتی بحدیث فی مناقب سائر الصحابه و الخلفاء،و کانت النتیجه أن توضع أخبار کثیره فی مناقب الصحابه (۱)،و أمر أن یسبّ الإمام علی علیه السّلام فی جمیع الأقطار الإسلامیه من علی المنابر(و هذا الأمر کان ساریا حتی زمن عمر بن عبد العزیز الخلیفه الأموی سنه ۹۹-۱۱۰ ه).

و قتل جماعه من خاصه شیعه علی علیه السّلام بواسطه عماله،و کان بعضهم من الصحابه،و رفعت رءوسهم علی الرماح،تنقل من بلد لآخر،و أمر عامه الشیعه بسبّ علی علیه السّلام،و التبری منه،فکان القتل حلیف من خالف و أبی (۲).

الأیام العصیبه التی مرّت علی الشیعه

کان زمن حکومه معاویه بن أبی سفیان،من أشدّ الأیام التی مرت علی الشیعه و التی استمرت زهاء عشرین عاما،و لم یکن الشیعه فیها بمأمن،و کان أغلب رجال الشیعه یشار إلیهم بالبنان.

و لم تکن لدی الحسن و الحسین علیهما السلام،اللذان عاصرا معاویه،أدنی الوسائل تمکنهم من القیام،و إنهاء الأوضاع المؤلمه.

و الإمام الحسین علیه السّلام عند ما نهض فی الأشهر الأولی من حکومه یزید،استشهد هو و من کان معه من الأولاد و الأصحاب.

و بعض إخواننا أهل السنه یذهبون إلی التبریر و التأویل فی سفک هذه الدماء الطاهره،و ما شابهها من أعمال إجرامیه،

۱- ۱) النصائح الکافیه ص ۷۲-۷۳.

۲- ۲) النصائح الکافیه ص ۵۸،۶۴،۷۷،۷۸.

معللين ذلک،بأنهم من صحابه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم و وفقا للأحادیث المرویه عنه صلی اللّه علیه و آله و سلم،أن الصحابه مجتهدون و معذورون،و أن الله جلّ و علا راض عنهم،لکن الشیعه ترفض هذا بأدله:

أولا:یستحیل علی قائد کالنبی صلی اللّه علیه و آله و سلم الذی نهض لإحیاء الحقّ و الحریه و العداله الاجتماعیه،و اتّبعه جمع من الناس،فضحّوا بما لدیهم فی سبیل تحقیق هذه الأهداف،و عند تحققها،یترک لهم العنان،و تمنح لهم الحریه المطلقه،أمام الأحکام المقدسه،کی یقوموا بما شاءوا،و هذا یعنی أن ینهار البناء الشامخ الذی ساهمت فی إقامته و تشییده تلک الأیادی الطاهره.

ثانیا:إن الروایات التی تقدس الصحابه و تنزههم،و تبرر أعمالهم غیر المشروعه،و تعتبرهم من الذین قد کفّر الله عنهم سیئاتهم،و أنهم مصونون و ما إلی ذلک،هذه الروایات قد وضعت من قبل هؤلاء الصحابه أنفسهم،و التاریخ یشهد أن بعض الصحابه،لم یکن أحدهم لیحترم الآخر،و لم یکن الواحد منهم یغض النظر عن أعمال الآخرین القبیحه،و إنما کان یشهّر به و یعرّفه للملإ.فقد قام بعضهم بالقتل الجماعی و اللعن و السب و فضح الآخرین،و لم تکن هناک أیه مسامحه أو صفح فیما بینهم.

و وفقا لما ذکرنا فإن الصحابه یشهدون أن هذه الروایات غیر صحیحه،و إذا ما علم صحت البعض منها،فإن المراد منها معنی آخر،غیر التنزیه و التقدیس الشرعی للصحابه.

و لو قدر أن الله سبحانه و تعالی قد مدحهم و رفع شأنهم فی

بعض آياته (۱)،فإن هذا يدلّ على ما قدموه من خدمات فی سابق حياتهم،و تنفيذهم لأوامر الله تعالى،فطبيعی يرضی الله تعالى عنهم فی هذه الحال،و لكن لا يكون المراد من أنهم يستطيعون أن يقوموا بكل ما تراودهم أنفسهم فی المستقبل،و إن كان خلافا لأحكام الله تعالى.

استقرار ملوكيه بنی أميه

توفی معاويه(سنه ۶۰ للهجره)،و استولى على عرش الخلافه ابنه يزيد وفقا للبيعه التی أخذها أبوه من الناس،و أصبح زعيما للحكومه الإسلاميه.

و التأريخ يشهد بأن يزيد لم يكن يتصف بأيه شخصيه إسلاميه،فقد كان شابا لا يبالی بأحكام الإسلام حتى فی زمن أبيه،كان فاسقا فاجرا،لا يتناهى عن شرب الخمر،متّبعا لإهوائه و شهواته،قام بأعمال إجراميه طوال السنوات الثلاث التی حكم فيها،لم يسبق لها مثيل منذ ظهور الإسلام،مع ما انطوت عليه من أحداث و فتن.

ففی السنه الأولى ،قتل الحسين بن علی عليه السّلام سبط النبی المرسل صلى اللّه عليه و آله و سلم،و من كان معه من أولاده و أقربائه و أصحابه،بشكل مفجع،و طاف بالنساء و الأطفال من أهل بيت العصمه و الطهاره مع رءوس الشهداء فی البلدان (۲).

۱- ۱) سوره التوبه الآيه ۱۰۰.

۲- ۲) تاريخ اليعقوبی ج ۲:۲۱۶/أبی الفداء ج ۱:۱۹۰/مروج الذهب ج ۳:۶۴ و كتب التاريخ الأخرى.

و فی السنه الثانیه ،أمر جیشه بالإباده الجماعیه للناس فی مدینه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم،و أباح دماءهم و أموالهم و أعراضهم لثلاثه أیام (۱).

و فی السنه الثالثه ؛أمر بهدم الکعبه المقدّسه و إحراقها (۲)،و بعد وفاه یزید،تسلّط علی رقاب الناس،آل مروان من بنی أمیه، و هذا ما تناقلته کتب التاریخ،و کانت لحکومه هذه الزمره و التی شملت أحد عشر شخصا،و استمرت مده سبعین عاما،أیام عصیبه علی الإسلام و المسلمین،فلم تکن سوی أمبراطوریه عربیه مستبده فی مجتمع إسلامی،و کانت تدعی الخلافه الإسلامیه، حتی آل الأمر بالخلیفه آنذاک،و الذی یعتبر المدافع الوحید عن الدین،أن یقرر بناء غرفه علی الکعبه،کی یتسنّی له الجلوس فیها للتنزه،خاصه فی أیام الحجّ (۳).

و الخلیفه آنذاک قد رمی القرآن بالسهام،و قال فی شعر له مخاطبا القرآن:

أتوعد کل جبار عنید

فها أنا ذاک جبار عنید

إذا ما جئت ربک یوم حشر

فقل یا ربّ مزّقنی الولید (۴)

۱- ۱) الیعقوبی ج ۲:۲۴۳/أبی الفداء ج ۱:۱۹۲/مروج الذهب ج ۳:۷۸.

۲- ۲) الیعقوبی ج ۲:۲۲۴/أبی الفداء ج ۱:۱۹۲/مروج الذهب ج ۳:۸۱.

۳- ۳) الولید بن یزید،الیعقوبی ج ۳:۷۳.

۴- ۴) الولید بن یزید،مروج الذهب ج ۳:۲۲۸.

من الطبيعى أن الشيعه كانوا يختلفون اختلافا أساسيا مع أكثريه أهل السنه حول مسألتين،الخلافه الإسلاميه،و المرجعيّه الدينيه،و هم عانوا أياما قاسيه فى تلك المرحله المظلمه.فكان الظلم و الجور من قبل الحكام،و المظلوميه و التقوى و الورع الذى كان يتصف به أئمه أهل البيت عليه السّلام يجعلهم أكثر رسوخا فى عقائدهم،و خاصه بعد استشهاد الحسين عليه السّلام الإمام الثالث للشيعه،مما ساعد على انتشار الفكر الشيعى فى المناطق البعيده عن مركز الخلافه مثل العراق و اليمن و إيران.

و مما يشهد على صحه هذا الادعاء،ما حدث فى زمن الإمام الخامس للشيعه،و القرن الأول الهجرى لمّا يكتمل بعد،حيث توجّه الشيعه من جميع الأقطار الإسلاميه إلى الإمام الخامس و اهتموا بأخذ الحديث و المعارف الإسلاميه منه (۱).

و فى أواخر القرن الأول الهجرى،قام جماعه من الأمراء، بإنشاء مدينه قم فى إيران (۲)،و أسكنوا فيها الشيعه،و لكن الشيعه حسب أوامر أئمتهم لم يظهروا عقيدتهم،التزاما بمبدإ التقيّه، و لطالما نهض رجال من الساده العلويين إثر كثره الضغوط التى كانت تظهر من قبل الحكام الجائرين،و لكن قيامهم هذا كان عاقبته الفشل و القتل.و قدموا فى سبيل عقيدتهم و نهضتهم هذه المزيد من النفوس و لم تبال الحكومه بإبادتهم و القضاء عليهم.

۱- ۱) يراجع مبحث معرفه الإمام فى هذا الكتاب.

۲- ۲) معجم البلدان كلمه(قم).

فهم أخرجوا جثمان«زيد»زعيم الشيعه الزيديه من قبره، و صلبوه لمده ثلاث سنين،و من ثم أحرقوه،و ذرّوا رماده فى الهواء (۱)،حتى أن أكثريه الشيعه تعتقد أن مقتل الإمام الرابع و الخامس قد تمّ على أيدى بنى أميّه (۲)،و ذلك بدسّ السمّ إليهما، و كذا شهاده الإمام الثانى و الثالث كانت على أيديهم.

إن الفجائع التى ارتكبها الأمويون كانت إلى حد جعلت أكثريه أهل السنه-مع اعتقادها بالخلفاء عامه و أنهم مفروضو الطاعه- يقسموا الخلفاء إلى قسمين:الخلفاء الراشدين،و هم الخلفاء الأربعه الأوائل بعد وفاه الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و هم(أبو بكر و عمر و عثمان و على عليه السّلام و الخلفاء غير الراشدين أولهم معاويه.

و الأمويون طوال حكومتهم،و على أثر ظلمهم و جورهم،أثاروا سخط الأمه و غضبها إلى أبعد الحدود،و بعد سقوط دولتهم و مقتل آخر خليفه لهم،فرّ ولدا الخليفه مع جمع من العائله الأمويه من دار الخلافه و لم يجدوا فى أى مكان ملجأ يتجهون إليه،فتاهوا فى صحارى«النوبه»و«الحبشه»و«بجاوه»و مات الكثير منهم من جراء الظمأ و الجوع،توجهوا إلى جنوب(اليمن) فمكثوا هناك زمنا،كانوا يحصلون على المال من الناس عن طريق الاستجداء و الصدقه و العطف عليهم.و من ثم انتقلوا إلى مكه مرتدين زيّ الحمّالين و انصهروا فى ذلك المجتمع (۳).

۱- ۱) مروج الذهب ج ۳:۲۱۷-۲۱۹/اليعقوبى ج ۳:۶۶.

۲- ۲) كتاب البحار ج ۱۲ و سائر المصادر الشيعيه.

۳- ۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳:۸۴.

الشیعه فی القرن الثانی للهجره

ظهرت دعوه باسم أهل بیت النبوه فی خراسان،یتزعمها«أبو مسلم المروزی»و ذلک فی أواخر الثلث الأول من القرن الثانی للهجره،اثر النهضات و الحروب الدامیه التی ظهرت فی جمیع البلدان الإسلامیه،کرد فعل للظلم و الجور و المعامله السیئه التی کان یقوم بها بنو أمیه،و أبو مسلم هذا قائد فارسی،قام ضد الحکومه الأمویه،و حاز علی دعم حتی أطاح بالدوله الأمویه (۱).

هذه الثوره و إن کانت تستلهم من الدعایات الشیعیه،و کانت تتصف أیضا-إلی حد ما-بثار شهداء أهل البیت!إلاّ أنها لم تکن بإیعاز من أئمه الشیعه،و الدلیل علی ذلک أن أبا مسلم لما عرض البیعه للخلافه علی الإمام السادس فی المدینه،کان ردّ الإمام عنیفا إذ أحرق الکتاب المرسل إلیه،و قال للرسول«عرّف صاحبک بما رأیت» (۲).

و کانت النتیجه أن قبض«بنو العباس»علی الخلافه باسم أهل البیت (۳)،و فی البدایه أبدوا عنایتهم و رعایتهم للعلویین.و قضوا علی الأمویین و أبادوهم إباده کامله،و ذلک انتقاما لشهداء العلویین، و نبشوا قبور خلفاء بنی أمیه،و أخرجوا منها الأجساد،و أحرقوها

ص: ۵۰

۱- ۱) الیعقوبی ج ۷۹/۳:أبی الفداء ج ۱:۲۰۸ و کتب التاریخ الأخری.

۲- ۲) الیعقوبی ج ۸۶/۳:مروج الذهب ج ۳:۲۶۸.

۳- ۳) الیعقوبی ج ۸۶/۳:مروج الذهب ج ۳:۲۷۰.

بـالنيران (۱)،و لـم تمض فـتره حـتى اتخـذوا سـيره بنى أميـه نهجـا لهـم، فلـم يتوانـوا عـن القيـام بالأعمـال المشـينه و المنـافيه للشريعه،فظلموا و جاروا على الناس.

سجن«أبو حنيفه»و هو أحـد رؤساء المذاهب الأربعه،فى زمن المنصور (۲)،و لاقى أنواع التعذيب،و ضرب«ابن حنبل»أحد رؤساء المذاهب الأربعه،بالسياط (۳)،و قضـى على الإمام السادس للشيعه الإماميه بالسم (۴)،بعد الأذى و التعذيب.و كان يقدم العلويون جماعات لضرب أعناقهم،أو يدفنوا و هم أحياء،أو يوضعوا أحياء فى الجدران،و أسس الأبنيه الحكوميه.

و أمـا هـارون الرشـيد الخليفه العباسـى،فقـد توسـعت فى زمنه الإمبراطوريه الإسـلاميه،و كـان ينظر أحيانـا الشـمس مخاطبا إياها بقوله:أشرقى فى أىّ مكان شئت فإنك لن تشرقى خارج ملكى.

فمن جهه كان جيش الخليفه يحارب و يتقـدم فى أقصـى الشـرق و الغرب فى العالم،و من جهه أخرى يشاهد على جسـر بغداد و الـذى لا يبعـد عن قصـره سوى خطوات،الجباه يأخـذون من المارّه حق العبور دون علم الخليفه و إذنه،و يـذكر أن الخليفه نفسه، عند ما أراد عبور الجسر ذات يوم،طولب بحقّ العبور (۵).

۱- ۱) اليعقوبى ج ۳:۹۱-/۹۶أبى الفداء ج ۱:۲۱۲.

۲- ۲) تاريخ أبى الفداء ج ۲:۶.

۳- ۳) اليعقوبى ج ۳:/۱۹۸أبى الفداء ج ۲:۳۳.

۴- ۴) كتاب البحار ج ۲۱۲ حياه الإمام الصادق(ع).

۵- ۵) قصه جسر بغداد.

و مما یـذکر عن الأـمین الخلیفه العباسـی،أنه وهب إلی مطرب ثلاـثه ملاـیین درهم فضه إزاء مـا غناه لبیتین غزل،فرمی المطرب نفسه علی قـدمی الخلیفه قائلا:تمنحنی هـذه الأموال الطائله یا أمیر المؤمنین؟!فأجابه الخلیفه لیس الأمر بمهم نستعیضـها من ناحیه من نواحی البلاد (۱).

کانت الأموال الطائله تتدفق إلی بیت مال المسلمین من جمیع الأقطار الإسلامیه،و تصرف للهو الخلیفه و لعبه،و کانت الجواری و الفتیات الحسناوات و الغلمان فی بلاط الخلفاء تعد بالآلاف.

لم یتغیّر وضع الشیعه بعد زوال حکومه بنی أمیه،و مجیء دوله بنی العباس،سوی تغییر اسم الأعداء الظلمه و الجائرین.

الشیعه فی القرن الثالث للهجره

استطاع الشیعه أن یتنفسوا الصعداء،فی أوائل القرن الثالث الهجری،و السبب فی ذلک یعود إلی:

أولاـ:ترجمه الکثیر من الکتب الفلسـفیه و العلمیه من الیونانیه و السـریانیه و غیرهما إلی العربیه،فتسابق الناس علی تحصـیل العلوم العقلیه و الاسـتدلالیه،علما بأن المأمون الخلیفه العباسـی (۱۹۵-۲۱۸)المعتزلی کان یرغب فی الاسـتدلال العقلی،و یبـدی اهتمامه له،و کانت النتیجه أن انتشر البحث الاستدلالی فی الأدیان،و تعطی الحریه الکامله لأصحاب المذاهب،فانتهز علماء

۱- ۱) کتاب الأغانی لأبی الفرج الأصفهانی(قصه الأمین).

الشیعه و متکلموهم هذه الحریه الفکریه،فلم یتوانوا فی النشاط العلمی،و نشر مذهب أهل البیت علیهم السّلام.

ثانیا:منح المأمون الإمام الثامن ولایه عهده بمقتضی سیاسته، فأصبح الشیعه و محبو أهل البیت،بعیدین عن التعرض إلی حدّ ما من قبل الولاه-و أصحاب المناصب،و أصبحوا یتمتعون بشیء من الحریه،إلا أن الفتره هذه لم تدم کثیرا،فتعرّض الشیعه بعدها للملاحقه الشدیده،و القتل و التشرید،و عادت السنّه التی کانت سائده،و خاصه فی زمن المتوکّل العباسی(۲۳۲-۲۴۷ للهجره)،إذ کان یعادی علیا و شیعته عداء خاصا،و هو الذی أمر بهدم مرقد الإمام الحسین علیه السّلام ثالث أئمه الشیعه فی کربلاء (۱).

الشیعه فی القرن الرابع للهجره

ظهرت عوامل فی القرن الرابع الهجری،ساعدت علی انتشار مذهب التشیع و تقویته،منها ضعف الخلافه العباسیه،و ظهور ملوک آل بویه.

کان لملوک آل بویه،و هم شیعه،التأثیر البالغ فی مرکز الخلافه ببغداد،و کذا فی الخلیفه (۲)،و هذه القدره جعلت الشیعه یقفون أمام المخالفین،الذین طالما حاربوا الشیعه،و تمکن الشیعه أن ینشروا عقائدهم بکل حریه.

و المؤرخون متفقون علی أن الجزیره العربیه،أو معظمها،کانت

۱- ۱) تاریخ أبی الفداء،و کتب التاریخ الأخری.

۲- ۲) یراجع کتب التاریخ.

تعتنق مذهب الشيعه فى ذلك الوقت،سوى المدن الكبيره منها،علما بأن بعض المدن مثل،هجر و عمان و صعده،كانت شيعيه،و مدينه البصره كانت تعتبر مركزا لأهل السنه،و كانت فى صراع دينى مع الكوفه مركز التشيع و كان يسكن فيها بعض الشيعه،و كذا فى كل من مدينه طرابلس و نابلس و طبريه و حلب و هرات،كان فيها من الشيعه، و كذلك فى مدينه الأهواز و سواحل الخليج الفارسى من إيران (۱).

و فى أوائل هذا القرن،استولى ناصر الأطروش على شمال إيران،بعد كفاح دام سنوات،فاستقر فى ناحيه طبرستان و أسس دولته،و استمرت لأولاده من بعده،و كان الحسن بن زيد العلوى قد حكم هذه المنطقه قبل الأطروش (۲).

و فى هذا القرن استولى الفاطميون و هم من الفرقه الإسماعيليه على مصر،و أسسوا حكومتهم و استمرت أكثر من قرنين(۲۹۶-۵۲۷).

الشيعه فى القرن الخامس و حتى القرن التاسع الهجرى

توسعت الشيعه خلال القرن الخامس حتى أواخر القرن التاسع بتلك النسبه التى كانت عليها فى القرن الرابع و ظهر ملوك اعتنقوا مذهب التشيع،فصاروا يدعون له.

ترسخت الدعوه الإسماعيليه فى«قلاع الموت»،و استقلت فى

۱- ۱) الحضاره الإسلاميه ج ۱:۹۷.

۲- ۲) مروج الذهب ج ۳۷۳/:۴الملل و النحل ج ۱:۲۵۴.

دعوتها قرنا و نصف قرن وسط إيران (۱).و حكم الساده المرعشيون سنين متماديه فى مازندران (۲).

اختار الملك«خدا بنده»و هو أحد ملوك المغول مذهب الشيعه، و خلّفه فى الحكم ملوك من هذه الطائفه لأعوام متعاقبه، و ساهموا فى نشر و ترويج هذه العقيده،و كذا سلاطين« آق قويونلو» و« قره قوينلو»،إذ كانت مدينه تبريز (۳)مركز حكومتهم،و كانت تنبسط سيطرتهم حتى فارس و كرمان،و حكمت الدوله الفاطميه فى مصر لسنوات متعاقبه.

من الطبيعى أن القدره الدينيه لأهل السنه مع الملوك كانت متغيره و متفاوته،و بعد سقوط الدوله الفاطميه و مجىء دوله الأيوبيين،تغيرت الظروف،و فقد الشيعه فى مصر و الشام الحريه الفكريه على الإطلاق،و قتل الكثير منهم (۴).

من بينهم الشهيد الأول«محمد بن محمد المكى»أحد نوابغ الفقه الشيعى الذى قتل سنه ۷۸۶ للهجره فى دمشق بتهمه التشيّع (۵).

و قتل أيضا الشيخ«شهاب الدين السهروردى»فى حلب بتهمه الفلسفه (۶).

۱- ۱) يراجع كتاب الكامل و روضه الصفا و حبيب السير.

۲- ۲) الكامل و أبى الفداء ج ۳.

۳- ۳) تاريخ حبيب السير.

۴- ۴) تاريخ حبيب السير و أبى الفداء و غيرهما.

۵- ۵) روضات الجنات و رياض العلماء نقلا عن ريحانه الأدب ج ۲:۳۶۵.

۶- ۶) الروضات و كتاب المجالس و وفيات الأعيان.

فالشیعه خلال هـذه القرون الخمسه،کانوا فی ازدیاد من حیث النفوس و العدد،و کانت الزیاده تابعه لموافقه و مخالفه السـلاطین من حیث القدره و الحریه الفکریه.و لم یعلن فی هذه الفتره فی أیه دوله إسلامیه مذهب التشیّع،مذهبا رسمیا لها.

الشیعه فی القرن العاشر و الحادی عشر للهجره

نهض شاب فی سـنه ۹۰۶ للهجره،و هو فی الثالثه عشـره من عمره،من عائله«الشـیخ صـفی الدین الأردبیلی»المتوفی سـنه ۷۳۵ ه.و کـان من أحـد مشایـخ الطریقه فی الشـیعه،نهض مع ثلاثمـائه من الـدراویش الـذین کانوا من مریـدی آبائه،و ذلک لإیجاد دوله شیعیه مسـتقله و مقتدره،فسار من مدینه«أردبیل»و شرع بفتح البقاع و إزاله نظام ملوک الطوائف فی إیران،و بعد حروب دامیه مع الملوک المحلیّین و خاصه مع ملوک«آل عثمان»الـذین کانوا ینوبون عن الإمبراطوریه العثمانیه،اسـتطاع أن یجعل من إیران دوله موحّده بعد أن کانت ممزقه،یحکم کل بقعه منها فئه خاصه،و جعل المذهب الشیعی،مذهبا رسمیا لها (۱).

و بعد وفاه الملک«إسـماعیل الصـفوی»أعقبه ملوک آخرون من السلاله ذاتها،حتی منتصف القرن الثانی عشر الهجری،و کل من هؤلاء الملوک کان یؤید المذهب الشیعی،ففی زمن«الشاه عباس الکبیر»و الذی یعتبر ذروه القدره لهذه السلاله،استطاع أن یوسّع

۱- ۱) روضه الصفا و حبیب السیر و غیرهما.

بقعتهم،فازداد عدد السكان،فبلغ ضعف (۱)ما هو عليه الآن فی إيران(سنه ۱۳۸۴ ه).و الطائفه الشيعيه،فی القرنين و نصف القرن الأخير تقريبا،بقيت علی حالتها فی سائر البقاع الإسلاميه مع بقاء الازدياد الطبيعی لها.

الشيعه فی القرن الثانی عشر و حتی القرن الرابع عشر للهجره

إن التقدم فی المذهب الشيعی خلال القرون الثلاثه الأخيره كان بشكله الطبيعی كما فی السابق،و فی وقتنا الحاضر،يعتبر التشيع مذهبا رسميا فی إيران،و معظم شعوب اليمن و العراق من الشيعه، و تتواجد الشيعه فی كل الدول الإسلاميه فی العالم،قلت أم كثرت، و يعد الشيعه فی مختلف الأقطار فی العالم،بما يقارب المائه مليون.

انقسام بعض الفرق و انقراضها

اشاره

يشتمل كل مذهب علی مسائل و أمور تعتبر الأسس الأوليه لذلك المذهب،و هناك مسائل ثانويه.و أما اختلاف أهل المذاهب فی كيفيه المسائل الأصليه و نوعيتها مع الاحتفاظ بالأصول المشتركه بينها،يسمی انشعابا.

توجد الانشعابات فی جميع الأديان،و خاصه فی الأديان السماويه،اليهوديه و المسيحيه و الإسلام.أما المذهب الشيعی فلم يطرأ عليه،و لم يظهر فيه أیّ انشعاب فی زمن أئمته الثلاثه(الإمام

۱- ۱) روضه الصفا و حبيب السير.

على و الحسن و الحسين عليهم السّلام)،و لكن بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السّلام،اعترفت أكثريه الشيعه بإمامه علىّ بن الحسين السجاد عليه السّلام، و ذهب الأقليه منهم و الذين عرفوا بالكيسانيّه،إلى الاعتقاد بإمامه محمد بن الحنفيه إماما رابعا لهم،و هو المهدى الموعود عندهم،و أنه غاب فى جبل رضوى،و سيظهر يوما.

و بعد وفاه الإمام السجاد عليه السّلام اعتقد أكثريه الشيعه بإمامه ابنه محمد الباقر عليه السّلام،و ذهب الأقليه منهم إلى التمسك بمذهب زيد الشهيد و هو الولد الآخر للإمام السجاد عليه السّلام،و اشتهروا بالزيديه.

و بعد وفاه محمد الباقر عليه السّلام آمن شيعته بولده الإمام جعفر الصادق عليه السّلام و بعد وفاته،ذهب الأكثريه إلى أن الإمام السابع هو ولده الإمام موسى الكاظم عليه السّلام،و اعتقد فريق أن اسماعيل ابن الإمام الأكبر هو الإمام السابع،و الذى وافاه الأجل فى زمن أبيه الصادق،و انفصل هؤلاء عن الأكثريه الشيعيه،و عرفوا بالاسماعيليه،و ذهب البعض إلى إمامه عبد الله الأفطح ابنه الآخر،و ذهب آخرون إلى إمامه محمد و توقف بعض فى إمامته، و اعتبروه آخر الأئمه.

و بعد استشهاد الإمام موسى الكاظم عليه السّلام،ذهبت الأكثريه إلى إمامه ابنه الرضا عليه السّلام،إماما ثامنا،و توقف جماعه فى إمامه الإمام السابع،و اشتهروا ب(الواقفيه).

و لم يظهر انشعاب بعد الإمام الثامن و حتى الإمام الثانى عشر، و هو المهدى الموعود،و إذا ما كانت هناك حوادث أو وقائع فإنها لم تكن سوى أيام معدوده و لم يحدث انشعابا،و على فرض حدوث

انشعاب،لم یدم کثیرا،و انتهی إلی الانصهار،کما حدث بعد وفاه الإمام العاشر،إذا ادّعی ولده جعفر الإمامه و تبعه جمع،إلا أنهم تفرّقوا و تشتتوا بعد فتره قصیره،و لم یتابع جعفر دعوته هذه،و هناک بعض اختلاف فی الآراء بین رجال الشیعه فی المسائل العلمیه و الکلامیه و الفقهیه،إلا أن ذلک لا یعتبر انشعابا فی المذهب.

انقرضت الفرق المذکوره التی انشعبت أمام الأکثریه الشیعیه،فی زمن قصیر،عدا الفرقه«الزیدیه»و«الإسماعیلیه»اللتان استمرتا، و لا یزال معتنقو هذین المذهبین یعیشون فی مناطق مختلفه من العالم،کالیمن و الهند و لبنان و مناطق أخری،فعلی هذا نکتفی بذکر هاتین الطائفتین مع الأکثریه الشیعیه و هم الاثنا عشریه.

الزیدیّه

تعتبر«الزیدیه»من تابعی زید الشهید ابن الإمام السجاد علیه السّلام.

ثار زید سنه ۱۲۱ للهجره بوجه الخلیفه الأموی«هشام بن عبد الملک»و بایعه جماعه و قتل فی حرب وقعت فی مدینه الکوفه بینه و بین مؤیدی الخلیفه.

یعدّ زید لدی أصحابه،الإمام الخامس من أئمه أهل البیت علیه السّلام،و خلفه بعده ابنه«یحیی بن زید»الذی ثار علی الخلیفه الأموی«الولید بن یزید»و جاء بعده«محمد بن عبد الله»و «إبراهیم بن عبد الله»اللذان قاما و ثارا علی الخلیفه العباسی «منصور الدوانیقی»و قتلا،فهؤلاء هم من أئمه الزیدیّه.

و منذ ذلک الوقت،کانت أمور«الزیدیّه»غیر منتظمه،حتی ظهور

«ناصـر الأطـروش»و هو من نسـل أخي زيـد،في خراسان،و على أثر المطاردات التى قامت بها الـدوله آنـذاك،اضـطرّ أن يفرّ إلى مازندران،و لم يكن أهالى هذه المنطقه قد اعتنقوا الإسلام،و بعد دعوه دامت ثلاث عشره سنه،استطاع أن يدخل جمعا كثيرا فى الإسـلام،فاعتنقوا مذهب«الزيديّه»،و اسـتطاع بعدها و بمساعده هؤلاء أن يسـيطر على ناحيه طبرسـتان و صار فيهم إماما و قائدا، و استخلفه من بعده أولاده،يسوسون الناس فى تلك الديار.

و تعتقد«الزيديّه»أن كل فاطمى،و عالم،و زاهد،و شجاع، و سخيّ،يثور لإحقاق الحقّ يستطيع أن يكون إماما.

كانت الزيديّه فى الابتداء مثل زيد،تعتبر الخليفتين الأولين «أبو بكر و عمر»من الأئمه،و لكن بعدها أسقط جماعه منهم اسم هذين الخليفتين من أسماء أئمتهم،و ابتدءوا بالإمام عليّ عليه السّلام.

و حسب مـا يقال أن«الزيـديّه»تتبع المعتزله فى الأصول،و توافق فقه«أبى حنيفه»فى الفروع.و هناك اختلاف يسـير بينهم فى بعض المسائل.

الإسماعيليه و انشعاباتها

الباطنيه:كان للإمام جعفر الصادق عليه السـلام و هو الإمام السادس للشـيعه ولـد يـدعى«اسـماعيل»و هو أكبر ولده،توفى فى زمن أبيه،و شهد الأب وفاه ابنه،و طلب الشهاده من حاكم المدينه أيضا على وفاه ولده،إلا أن هناك فريق يعتقد بعدم وفاه اسماعيل، و أنه اختار الغيبه،و سوف يظهر ثانيه و هو المهدى الموعود،و يتضح

أن إشـهاد الإمام السادس على وفاه ولـده كان على علم و عمد،و ذلك خوفا من المنصور الخليفه العباسـى.و اعتقدت جماعه أن الإمامه الحقّه هى لاسـماعيل،و مع موته،انتقلت إلى محمد،و اعتقد آخرون أن إسـماعيل و إن أدركه الموت فى زمن أبيه،إلا أنه إمام،و محمد بن اسماعيل و من جاء بعده من هذه السلاله أئمه أيضا.

انقرضت الفرقتان الأولتان بعد زمن وجيز،و بقيت الفرقه الثالثه حتى وقتنا الحاضر،و قد تفرعت لفرق عديده.

لـدى«الإسـماعيليه»فلسـفه تشـبه فلسـفه عبـده النجوم،و فيهـا شـىء من التصوّف الهنـدى،و يـذهبون إلى أن المعـارف و الأحكام الإسـلاميه،لها ظاهر و باطن،فلكل ظاهر باطن و لكل تنزيل تأويل، و تعتقـد أن الأرض لا تخلو من حجه،و حجه الله عنـدهم على نوعين:ناطق و صامت فالناطق هو النبى الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سـلم.و الصامت هو الولى أو الإمام،و هو وصـىّ النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم.و على أيّه حال،فإن الحجّه هى المظهر الكامل للربوبيّه.

أساس الحجه عندهم يدور دائما على العدد(٧)،و بهذا الترتيب، أن كل نبى عند ما يبعث يختصّ بالنبوّه-أى الشريعه-و الولايه،و يأتى بعـده سـبعه أوصـياء،لكل منهم الوصايه،و كلهم يعتبرون فى نفس المنزله و الشأن،سوى الوصـى السابع الذى يختص بالنبوّه أيضا، و يتصف بثلاثه مناصب،النبوّه و الوصايه و الولايه،و بعده سبعه أوصياء،و للسابع منهم ثلاثه مناصب و هكذا.

فهم يقولون،أن آدم عليه السلام بعث بالنبوّه و الولايه،و كان له سبعه أوصياء،و سابعهم نوح النبى،و كان يختصّ بالنبوه الوصايه

و الولایه،و النبی إبراهیم هو الوصیّ السابع لنوح،و النبی موسی سابع الأوصیاء لإبراهیم،و النبی عیسی سابع الأوصیاء لموسی، و محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم سابع الأوصیاء لعیسی،و محمد بن اسماعیل الوصی السابع لمحمد صلی اللّه علیه و آله و سلم،بهذا الترتیب:محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم و علی و الحسین و علی بن الحسین و السجاد و محمد الباقر و جعفر الصادق و اسماعیل و محمد بن اسماعیل(الإمام الثانی الحسن بن علی لا یعدونه من الأئمه)،و بعد محمد بن اسماعیل سبعه من نسله و ولده،أسماؤهم مخفیّه مستوره و بعدهم سبعه من ملوک الفاطمیین لمصر،أولهم عبید الله المهدی مؤسس حکومه الفاطمیین بمصر.

تعتقد الإسماعیلیّه،بأن هناک اثنی عشر نقیبا موجودین دائما علی الأرض،فضلا عن وجود حجه الله،فهم حواریو الحجه و خاصته،و لکن البعض منهم و هی فرقه الدروز الباطنیه،تعتبر سته من الأئمه نقباء،و السته الآخرین من غیرهم.

و قد ظهر شخص مجهول الهویه سنه ۲۷۸ ه،فی مدینه الکوفه،(قبل ظهور عبید الله المهدی بسنوات)خوزستانی الأصل، و کان یقضی نهاره صائما،و لیله قائما عابدا،و یسدّ رمقه من کسبه و عمله،کان یدعو لمذهب«الإسماعیلیه».فاستطاع أن یکسب جماعه،لیکونوا له أنصارا و أعوانا،فانتخب منهم اثنی عشر شخصا،علی أنهم النقباء،ثم خرج من الکوفه متجها إلی الشام،و ما عرف عنه شیء بعدها.

استخلف هذا الرجل المجهول فی العراق،رجلا کان یدعی أحمد و یعرف ب«القرمط»،فبثّ تعالیم الباطنیّه،و کما یشیر

المؤرخون بأنه ابتدع صلاه جديده،بدلا من الصلوات الخمس فى الإسلام،و ألغى غسل الجنابه،و أباح شرب الخمر.و فى نفس العصر،ظهر زعماء آخرون يدعون إلى الباطنيه،جذبوا جماعه من الناس من حولهم.

كان هؤلاء يتعرضون لأنفس و أموال من لا يعتنق مذهب الباطنيه،و استمروا فى حركتهم هذه فى العراق و البحرين و اليمن و الشام،قتلوا الأبرياء،و نهبوا الأموال،و سلبوا قوافل الحجيج، سفكوا دماء الآلاف منهم،و نهبوا أمتعتهم و راحلتهم.

استولى«أبو طاهر القرمطى»أحد زعماء الباطنيه على البصره سنه ۳۳۱ ه فقتل الناس،و نهب الأموال،ثم اتجه إلى مكه مع جمع من الباطنيه سنه ۳۱۷ ه،و بعد صراع مع أفراد الشرطه، دخل مكه،فقتل أهلها،و الحجاج الواردين إليها،فسالت الدماء فى بيت الله الحرام و الكعبه،فقسّم ستار الكعبه بين أنصاره،و قلع باب الكعبه،و اقتلع الحجر الأسود من مكانه،ثم نقله إلى اليمن و بقى عندهم مده اثنين و عشرين عاما.

على أثر هذه الأعمال،أبدى عامه المسلمين تذمرهم و تنفرهم من«الباطنيه»،و اعتبروهم خارجين عن دين الإسلام،حتى أن «عبيد الله المهدى»و هو أحد ملوك الفاطميين،الذى ظهر فى إفريقيّه،و ادّعى لنفسه المهدويّه،و أنه المهدى الموعود،و إمام الإسماعيليه،قد تبرأ أيضا من القرامطه آنذاك.

و حسب ما يقرّه المؤرخون أن المعيار الدينى للباطنيه هو تأويل الأحكام الظاهره للإسلام إلى مراحل باطنيه صوفيه،و يعتبرون

ظاهر الشريعه خاصا للأميين من الناس،الذين لم يتدرجوا فی طريق الكمال،و مع هذا كله،فقد كانت تصدر قوانين و أحكام معيّنه من أئمتهم و زعمائهم بين حين و آخر.

النزاريه و المستعليه و الدروزيه و المقنعه

ظهر«عبيد الله المهدی»سنه ۲۹۶ للهجره فی إفريقيا،و ادّعی الإمامه علی طريقه الإسماعيليه،و أسس الدوله الفاطميه،و اختار خلفاؤه مصر دار خلافتهم،فحكم سبعه منهم علی التوالی طبق مذهب«الإسماعيليه»دون أن يحدث خلاف أو انقسام بينهم.

و بعد الخليفه السابع و هو(المستنصر بالله سعد بن علی)تنازع ولداه«نزار»و«المستعلی»علی الخلافه و الإمامه،و بعد صراع و حروب داميه،كانت الغلبه للمستعلی،فألقی القبض علی أخيه نزار،و سجنه و بقی فی السجن حتی توفی فيه.

و علی أثر هذه المنازعه،انقسم اتباع الفاطميين إلی قسمين:

نزاريه و مستعليه.

النزاريّه: هم من أتباع الحسن بن الصبّاح،و كان من المقربين للمستنصر،و بعد المستنصر،أخرج من مصر بأمر من المستعلی، بسبب دفاعه عن نزار،فجاء إلی إيران و بعد فتره ظهر فی قلعه الموت من نواحی قزوين.فاستولی علی هذه القلعه و قلاع أخری مجاوره،فصار سلطانا عليها،و دعا إلی نزار فی البدايه،و بعد وفاه«حسن»سنه ۵۱۸ ه.جاء«بزرک أميد رودباری»،و بعده ابنه «كيا محمد»حكما علی طريقه«الحسن الصبّاح»،و جاء بعده ابنه

«حسن على ذكره السلام»رابع ملوك قلعه الموت،فغيّر طريقه الحسن الصبّاح و كانت نزاريّه،و انتمى إلى الباطنيه.

فتح هولاكو خان بعد حملته على إيران قلاع الإسماعيليه و قتل جميع الإسماعيليين،و هدم قلاعهم،و بعد سنه ۱۲۵۵ ه.ثار آقا خان المحلاتى و كان من النزاريّه على محمد شاه القاجار، و فشل فى نهضته التى قام بها فى مدينه كرمان و هرب إلى بمبئى، فنشر الدعوه الباطنيه النزاريه بإمامته و زعامته هناك،و لا تزال دعوتهم باقيه حتى الآن،و تدعى النزاريه الآن بال(آقاخانيه).

المستعليه: استقرت الإمامه لأتباع المستعلى الفاطمى من خلفاء الفاطميين بمصر إلى أن انقرضت سنه ۵۵۷ ه.و ظهرت بعد فتره فرقه(البهره)فى الهند على الطريقه نفسها،و لا تزال موجوده.

الدروزيه: الطائفه الدروزيه التى تقطن الآن جبل الدروز فى الشام،كانت فى بدايه الأمر تابعه للخلفاء الفاطميين،حتى أيام الخليفه السادس الفاطمى،بدأت تدعو إلى«نشتجين الدروزى» و التحقت بالباطنيه.

تقف الدروزيه عند الخليفه«الحاكم بالله»و تدّعى أنه غاب عن الأنظار،و عرج إلى السماء،و سوف يعود ثانيه بين الناس.

المقنّعه: كانت من أتباع«عطاء المروى»المعروف بالمقنّع فى بادئ الأمر،و حسب ما يذكر المؤرخون أنه كان من أتباع أبى مسلم الخراسانى،و بعد وفاه أبى مسلم،ادّعى أن روح أبى مسلم قد حلّت فيه،و ادّعى النبوّه بعد ذلك،و بعدها ادّعى الألوهيه،و حوصر سنه ۱۶۲ فى قلعه كيش فى بلاد ما وراء النهر،و عند ما تيقّن أنه

مقتول لا محاله،أشعل نارا،و رمى بنفسه فيها مع عده من أصحابه و احترق،بعد فتره اختار أصحاب عطاء مذهب الإسماعيليه،و التحقوا بالفرقه الباطنيه.

الشيعه الاثنا عشريه و اختلافها مع الزيديه و الإسماعيليه

إن الأقليه الشيعيه التى مرّ ذكرها تنشعب عن الأكثريّه الشيعيه الإماميه،و تسمى بالاثنى عشريه أيضا،و كما ذكرنا آنفا،كان بدايه نشوئهم هو الاعتراض و الانتقاد لمسألتين أساسيتين من المسائل الإسلاميه،علما بأنهم لم يعارضوا القوانين التى كانت موجوده وفقا لتعاليم الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و منتشره بين المسلمين.

و المسألتان هما:«الحكومه الإسلاميه و المرجعيه العلميّه».و تعتقد الشيعه بأن تلك المسألتين من حق أهل البيت عليهم السّلام خاصه.

تؤمن الشيعه الاثنا عشريه،إن الخلافه الإسلاميه بما فيها من ولايه باطنيه و قياده معنويه-و هما جزءان لا ينفكان عنها-من حقّ علىّ و أولاده عليهم السلام،بموجب تصريح النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم و سائر أئمه أهل البيت عليهم السّلام،و هم اثنا عشر إماما،و تؤمن أيضا أن التعاليم الظاهريه للقرآن و التى تعتبر من أحكام الشريعه، تشتمل على الحياه المعنويه الكامله و لها أصالتها و اعتبارها،و لا يعتريها أىّ نسخ حتى قيام الساعه و يجب أن تؤخذ هذه الأحكام و القوانين عن طريق أهل البيت،لا غير،و من هنا يتضح:

إن الاختلاف الأصلى بين الشيعه الإماميه و الشيعه الزيديه،هو أن الشيعه الزيديه لا تحصر الإمامه فى أهل البيت عليهم السّلام،و لا

تقتصر فی عدد الأئمه علی الاثنی عشر،و لا تتبع فقه أهل البیت، علی خلاف الشیعه الإمامیه.و الفارق الأساسی بین الشیعه الإمامیه و الشیعه الإسماعیلیه هو أن الإسماعیلیه تعتقد بأن الإمامه تدور علی(سبع)و لم تختم النبوه بمحمد صلی اللّه علیه و آله و سلم،و لا مانع لدیهم من تبدیل أحکام الشریعه،و حتی ارتفاع أصل التکلیف عنهم،خاصه علی قول الباطنیه.علی خلاف مذهب الشیعه الإمامیّه الذی یعتقد بخاتمیه النبوه فی محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم و أنه خاتم الأنبیاء،و له اثنا عشر وصیا،و تعتبر ظاهر الشریعه غیر قابل للنسخ،و یثبتون للقرآن ظاهرا و باطنا.

أما طائفتا الشیخیه و الکریمخانیه،اللتان ظهرتا بین الشیعه الإمامیه فی القرنین الأخیرین،فلم نعدهما انشعابا،لأن اختلافهما معا یدور حول توجیه و تفسیر بعض المسائل النظریه، و لیس فی إثبات أو نفی أصل المسائل.

و کذا فرقه« علی اللهیّه»بالنسبه للشیعه الإمامیه،و یسمّون ب «الغلاه»أیضا،فهم یعتقدون بالباطن فقط مثل الباطنیه للشیعه الإسماعیلیه،و بما أنهم یفتقرون إلی منطق دقیق،فلم نحسبهم من عداد الشیعه.

موجز عن تاریخ الشیعه الاثنی عشریه

کما أشرنا فی الفصول المتقدمه،أن أکثریه الشیعه هم الاثنا عشریه،و هم أصحاب علی و أنصاره،الذین رفعوا رایه المعارضه و الانتقاد فی ما یخص الخلافه و المرجعیه العلمیه بعد وفاه

الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و ذلک لإحياء حقوق أهل البيت عليهم السّلام،و بهذا انفصلوا عن أكثريه الناس.

كانت الشيعه مضطهده فى زمن الخلفاء الراشدين(سنه ١١.

٣٥ ه)،و لم يكن عندهم احترام أو حمايه لأنفسهم و أموالهم طوال حكومه بنى أميه و خلافتهم(٤٠-١٣٢ ه)،و كلما كان يزداد عليهم الضغط و الاضطهاد،كانوا يشتدون عزما،و رسوخا فى عقيدتهم، و كانوا يستفيدون من مظلوميتهم فى سبيل المحافظه على عقيدتهم و تقدمها و نشرها.

و فى الفتره ما بين الدولتين الأمويه و العباسيه،حيث تسلّم خلفاء بنى العباس الحكم،و التى كانت فتره ضعف و انهيار، استطاع الشيعه أن يتنفسوا الصعداء،و ذلک فى أواسط القرن الثانى للهجره،و لكن سرعان ما عاد التضييق و الاضطهاد عليهم، و ازداد شيئا فشيئا حتى أواخر القرن الثالث الهجرى.

و فى أوائل القرن الرابع الهجرى،استعاد الشيعه قوّتهم بمجىء سلاطين آل بويه،و كانوا من الشيعه،فحصلوا على حريّه فكريّه، و شرعوا بنضالهم،و استمرت حتى نهايه القرن الخامس الهجرى، و فى أوائل القرن السادس الهجرى،الذى يقترن مع حمله المغول، و على أثر المشاكل العامه،و استمرار الحروب الصليبيه،رفعت الحكومات الإسلاميه الاضطهاد و الضغوط عن الشيعه،و خاصه بعد اعتناق بعض سلاطين المغول فى إيران دين الإسلام،و ساهمت حكومه سلاطين مرعش فى مازندران فى دعم الشيعه و تقويتهم، مما جعل عددهم يزداد فى كل بقعه من بقاع الممالک الإسلاميه

و خاصه فی إیران،حیث کان الشیعه بالملایین.و استمرت هذه الحاله حتی أواخر القرن التاسع الهجری،و فی بدایه القرن العاشر الهجری،إثر ظهور الدوله الصفویه فی إیران المتسعه الأرجاء آنذاک،اعترف رسمیا بمذهب الشیعه،و لا یزال حتی الآن،یعتبر مذهبا رسمیا للبلاد و فضلا عن هذا کله فإن عشرات الملایین من الشیعه تعیش حالیا فی جمیع بقاع العالم.

الفصل الثانی:

اشاره

الفکر الدینی لدی الشیعه

معنى الفكر الدينى

يطلق هذا الاصطلاح على التحقيق و البحث فى موضوع من المواضيع الدينيه للحصول على نتيجه معينه.

كما أن المراد من الفكر الرياضى مثلا،هو الفكر الذى يعطى النتيجه لنظريه رياضيه معينه،أو يحلّ مسأله رياضيه.

المصادر الرئيسيه للفكر الدينى فى الإسلام

من الطبيعى أن الفكر الدينى كسائر الأفكار،يعتمد على مصادر،كى يستلهم منها مواده و أسسه،كما هو الحال فى الفكر الرياضى لحل مسأله ما،فإنه لا بدّ من الاستعانه بمجموعه من النظريات و الفرضيات،و بالنتيجه ينتهى إلى المعلومات الخاصه به، و المصدر الوحيد الذى يعتمد عليه الإسلام،(من جهه ارتباطه بالوحى السماوى)هو القرآن الكريم،فهو المصدر الرئيسى للنبوه الشامله للنبى الأكرم،و ما يحتويه من الدعوه إلى الإسلام،

و القرآن لا ينفى المصادر الأخرى للفكر الصحيح و الحجج الواضحه كما سنبين.

الطرق التى يعرضها الإسلام للفكر الدينى

اشاره

يضع القرآن الكريم ثلاثه طرق أمام أتباعه للوصول إلى المفاهيم الدينيّه و المعارف الإسلاميه،و يوضّح لهم،أن الظواهر الدينيه و الحجج العقليه،و الإدراك المعنوى لا يتأتّى إلاّ من الخلوص فى العباده.

إن الله سبحانه يخاطب الناس عامه فى القرآن،و يعرض أمورا دون إقامه حجه أو دليل،انطلاقا من قدره هيمنته كخالق، و يطالب بقبول الأصول و الأسس الاعتقاديه،كالتوحيد و النبوه و المعاد،و الأحكام العمليه،كالصلاه و الصوم و غيرها،كما يأمر بالنهى و الامتناع أحيانا.و إذا لم تكن الآيات لتعطى الحجيّه،لم يكن ليطالب الناس بقبولها و اتّباعها،إذن لا بدّ من القول بأن هذه الآيات الواضحه الدلاله طريق لفهم المفاهيم الدينيه و المعارف الإسلاميه و إدراكها،و نسمى هذا البيان اللفظى بالظواهر الدينيه مثل«آمنوا بالله و رسوله»و«و أقيموا الصلاه»...

و نرى القرآن من جهه أخرى فى كثير من الآيات يدعو إلى الحجيّه العقليه،و ذلك بدعوه الناس إلى التفكر و التدبّر فى الآفاق و الأنفس،و هو يسلك الاستدلال العقلى فى بيان الحقائق.

و حقا أن القرآن هو الوحيد من بين الكتب السماويه الذى يعرّف للإنسان العلم و المعرفه بطريقه استدلاليه.و يعتبر أن الحجه العقليه

و الاستدلال المنطقی من الأمور المسلّمه.فهو يطالب أولا بتقبل المعارف الإسلاميه ثم الانتقال إلى الاحتجاج العقلی، و استنتاج المعارف الإسلاميه منها،انطلاقا من الاعتماد الكامل على واقعيته بل يقول،محصوا فی الاحتجاج العقلی،و استنبطوا منه صحه المعارف،و من ثم يكون القبول و الرضا.

و ما يسمع من كلام عن الدعوه الإسلاميه،يمكن التأمل فيه، و الاستفسار عنه،و الإصغاء إلى قول الخالق.و بالتالی،فإن التصديق و الإيمان يجب أن يحصل عليه الإنسان بدليل أو حجه، لا أن يكون الإيمان مسبقا،ثم إقامه الأدلّه وفقا له.فالفكر الفلسفی طريق يدعمه القرآن الكريم و يصادق عليه،و من جهه أخرى نرى القرآن الكريم و بأسلوبه الرائع،يوضّح لنا أن جميع المعارف الحقيقه تنبع من التوحيد و معرفه الله حقيقه،و ما كمال معرفه الله جلّ و علا،إلّا لأولئك الذين جعلهم الله من خيره عباده،و خصصهم لنفسه، و هم الذين قد قطعوا تعلقهم القلبی بهذه الدنيا،و إثر الإخلاص و العبوديّه،وجّهوا قواهم إلى العالم العلوی،و نوّروا قلوبهم بنور الله سبحانه،و نظروا ببصيرتهم إلى حقائق الأشياء،و ملكوت السماوات و الأرض،و هم قد وصلوا إلى مرحله اليقين،إثر إخلاصهم و عبوديتهم،و بوصولهم هذه المنزله (اليقين)انكشف لهم ملكوت السماوات و الأرض،و الحياه الخالده فی العالم الخالد.

ص :۷۴

و یتضح هذا الادعاء مع الالتفات إلی الآیات الکریمه التالیه:

قوله تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ نُوحِی إِلَیْهِ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدُونِ (۱).

و قوله تعالی: سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا یَصِفُونَ إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِینَ (۲).

و یقول الله تعالی: قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحیٰ إِلَیَّ أَنَّمٰا إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً (۳).

و یقول سبحانه: وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ (۴).

و قوله: وَ کَذٰلِکَ نُرِی إِبْرٰاهِیمَ مَلَکُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ (۵).

و قوله: کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ الْأَبْرٰارِ لَفِی عِلِّیِّینَ* وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا عِلِّیُّونَ * کِتٰابٌ مَرْقُومٌ یَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (۶).

۱- ۱) سوره الأنبیاء الآیه ۲۵.و یفهم من الآیه أن العباده فی الدین،فرح للتوحید،و علیه یبنی.

۲- ۲) سوره الصافات الآیتان(۱۵۹-۱۶۰)إن الوصف فرع من المعرفه و الإدراک،و یفهم من الآیه أن المخلصین فحسب یعرفون الله حق معرفته،و الله منزه عن وصف الآخرین له.

۳- ۳) سوره الکهف الآیه ۱۱۰.یستنبط من الآیه أن الطریق للقاء الله هو التوحید و العمل الصالح،و لا طریق سواه.

۴- ۴) سوره الحجر الآیه ۹۹.و یستفاد من الآیه أن عباده الله تؤدی إلی الیقین.

۵- ۵) سوره الأنعام الآیه ۷۵.یفهم من الآیه إن إحدی لوازم الیقین مشاهده ملکوت السماوات و الأرض.

۶ - ۶) سوره المطففین الآیات(۱۸-۲۱).یستفاد من الآیات أن عاقبه(الأبرار)فی کتاب یدعی(علّیین)المرتفع جدا،و یشاهده المقربون لله تعالی،علما أن لفظ(یشهده) صریح بأن المراد لیس الکتاب المخطوط،بل عالم تقرب و ارتقاء.

و قوله تعالى أيضا: كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (۱).

إذا إحدى طرق استيعاب المعارف الإلهيه و إدراكها هى تهذيب النفس و الإخلاص فى العبوديه.

الاختلاف بين هذه الطرق الثلاثه

اتّضح مما سبق،إن القرآن الكريم يعرض ثلاثه طرق لفهم المعارف الدينيّه:الظواهر الدينيه و العقل.و الإخلاص فى العبوديه، و الذى مؤدّاه انكشاف الحقائق.و المشاهده الباطنيه لها،و لكن يجب أن نعلم أن هذه الطرق الثلاثه،تتفاوت فيما بينها من جهات عده:

الأولى: إن الظواهر الدينيه بيانات لفظيه،تستفاد من أبسط الألفاظ،و هى فى متناول أيدى الناس،و كلّ يستفيد (۲)منها حسب قدرته و فهمه و استيعابه،على خلاف الطريقين الآخرين،إذ يختصان بجماعه خاصه،و لم يكونا لعامه الناس.

الثانيه: إن العقل هو الطريق الموصل إلى أصول المعارف الإسلاميه و فروعها،و منه يمكن الحصول على المسائل الاعتقاديه و الأخلاقيه،و كذا الكليّات للمسائل العمليه(فروع الدين)،و لكن جزئيات الأحكام و مصالحها الخاصه بها لم تكن فى متناول

۱- ۱) سوره التكاثر الآيتان(۵-۶)يستفاد من الآيه أن علم اليقين موروث لمشاهده عاقبه حاله الأشقياء و هو الجحيم(جهنم).

۲ - ۲) و من هنا يتضح لنا قول النبى الأكرم(ص)فى روايه ينقلها العامه و الخاصه:«إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم»البحار ج ۱:۳۶.

العقل،و خارجه عن نطاقه،و هكذا طريق تهذيب النفس،لأن نتيجتها انكشاف الحقائق،و هو علم لدنى(من قبل الله تعالى)، و لا يسعنا هنا أن نحدّد نتائجها و الحقائق التى تنكشف عن هذه الموهبه و العطيه الإلهيه،و هؤلاء لما انفصلوا عن كل شىء سوى الله تعالى و أعرضوا عنه،كانوا تحت رعايه الله بصوره مباشره، فانكشف لهم كل ما يريده الله تعالى لا كل ما يريدونه.

الطريق الأول:

اشاره

الظواهر الدينيه و أقسامها

و كما سبقت الإشاره،فإن القرآن الكريم و الذى يعتبر مصدرا أساسيا للفكر الدينى الإسلامى،قد أعطى للسامعين حجيه و اعتبار ظواهر الألفاظ،و هذه الظواهر للآيات قد جعلت أقوال النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى المرحله الثانيه بعد القرآن مباشره،و تعتبر حجه كالآيات القرآنيه،و يؤيده قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١).

و قوله جلّ شأنه: «هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ» (٢).

١- ١) سوره النحل،الآيه ۴۴.

٢- ٢) سوره الجمعه الآيه ٢.

و قوله تعالی أیضا: لَقَدْ کٰانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ کٰانَ یَرْجُوا اللّٰهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَکَرَ اللّٰهَ کَثِیراً (۱).

فإذا لم تکن أقوال النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و أفعاله و حتی صمته و إقراره،حجه کالقرآن الکریم،لم نجد مفهوما صحیحا للآیات المذکوره،لذا فإن أقواله صلی اللّه علیه و آله و سلم حجه لازمه الاتّباع،للذین قد سمعوه صلی اللّه علیه و آله و سلم،أو قد نقل إلیهم عن طریق رواه ثقات،و کذلک ینقل عنه صلی اللّه علیه و آله و سلم عن طرق متواتره قطعیه أن أقوال أهل بیته علیهم السّلام کأقواله،و بموجب هذا الحدیث و الأحادیث النبویه القطعیه الأخری،تصبح أقوال أهل البیت تالیه لأقوال النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم، و واجبه الاتّباع،و أن أهل البیت لهم المرجعیه العلمیه فی الإسلام و لم یخطئوا فی تبیان المعارف و الأحکام الإسلامیه فأقوالهم حجه یعتمد علیها سواء کان مشافهه أو نقلا.

یتضح من هذا التفصیل أن الظواهر الدینیّه و التی تعتبر مصدرا من مصادر الفکر الإسلامی علی قسمین:الکتاب و السنّه،و المراد بالکتاب،ظواهر الآیات القرآنیه الکریمه،و المقصود بالسنه، الأحادیث المرویّه عن النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و أهل البیت علیهم السّلام.

حدیث الصحابه

أما الأحادیث التی تنقل عن الصحابه،فإذا کانت متضمنه أقوال الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم أو أفعاله،و لم تخالف أحادیث أهل البیت،تؤخذ بنظر الاعتبار،و إذا کانت متضمنه لرأی الصحابی

۱- ۱) سوره الأحزاب الآیه ۲۱.

فحسب فلیست لها حجیّه،و یعتبر الصحابی کسائر المسلمین، علما بأن الصحابه أنفسهم کانوا یعتبرون الصحابی کبقیه المسلمین،و یعاملونه معاملتهم.

بحث آخر فی الکتاب و السنه

یعتبر کتاب الله(القرآن الکریم)هو المصدر الأساسی للفکر الإسلامی،و هو الذی یعطی الاعتبار و الحجیّه للمصادر الدینیه الأخری،لذا یجب أن یکون قابلا للفهم لعامه الناس.

و فضلا عن هذا فإن القرآن الکریم یعلن أنه نور موضّح لکل شیء،و فی مقام التحدی،یطالب بتدبّر آیاته،إذ لیس فیه أی اختلاف أو تناقض،و إذا کان بامکانهم معارضته،و الإتیان بمثله فلیفعلوا ذلک إن استطاعوا.

و من الواضح أن القرآن لو لم یکن مفهوما لدی العامه فإن مثل هذه الآیات لا اعتبار لها.

و لیس هناک مجال للظن فی أن هذا الموضوع(القرآن یفهمه عامه الناس)یتنافی مع الموضوع السابق(إن النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و أهل بیته،هم مراجع علمیه للمعارف الإسلامیه،و التی هی حقیقه یدل علیها القرآن الکریم).

یشیر القرآن الکریم إلی کلیات بعض المعارف الإسلامیه و هی الأحکام و القوانین التشریعیه،کالصلاه و الصوم و المعاملات و سائر العبادات،و یتوقّف تفصیلها بالرجوع إلی السنه(حدیث الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و أهل البیت علیهم السّلام).

ص:79

و البعض الآخر كالاعتقادات و الأخلاق،و إن كانت مضامينها و تفاصيلها يفهمها العامه،لكن إدراك و فهم معانيها،يستلزم اتخاذ نهج أهل البيت عليهم السّلام مع الاستعانه بالآيات،فإنها تفسّر بعضها بعضا،و لا يمكن الاستعانه برأى خاص،و الذى أصبح من العادات و التقاليد،و باتت النفس تستأنس به.

يقول الإمام على عليه السّلام:«كتاب الله تبصرون به،و تنطقون به، و تسمعون به و ينطق بعضه ببعضه،و يشهد بعضه على بعض» (۱).

يقول النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم:«القرآن يصدق بعضه بعضا» (۲)و كذا قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم«من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (۳).

هناك أمثله بسيطه لتفسير القرآن بعضه ببعض،و ذلك فى قوله تعالى فى قصه لوط «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» (۴).

و فى آيه أخرى جاءت كلمه«ساء»بكلمه«حجاره»كما فى الآيه الكريمه «...وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ» (۵).

يتّضح من الآيه الثانيه أن المراد من الآيه الأولى«فساء مطر» هو«حجاره سجّيل»،و الذى يتابع أحاديث أهل البيت بدقه و كذا الروايات المنقوله عن مفسّرى الصحابه و التابعين،لا يتردّد بأن طريقه تفسير القرآن بالقرآن تنحصر فى طريقه أئمه أهل البيت عليهم السّلام.

۱- ۱) نهج البلاغه خطبه رقم ۱۳۳.

۲- ۲) الدرّ المنثور:ج ۲:۶.

۳- ۳) تفسير الصافى ص ۸/البحار ج ۱۹:۲۸.

۴- ۴) سوره الشعراء الآيه ۱۷۳.

۵- ۵) سوره الحجر الآيه ۷۴.

ظاهر القرآن و باطنه

اتّضح أن القرآن الكريم بألفاظه و بيانه،يوضّح الأغراض الدينيه،و يعطى الأحكام اللازمه للناس فى الاعتقادات و العمل بها،و لكن لا تنحصر أغراض القرآن بهذه المرحله،فإن فى كنه هذه الألفاظ و هذه الأغراض،تستقرّ مرحله معنويه،و أغراض أكثر عمقا،و الذى يدركه الخواص بقلوبهم الطاهره المنزّهه.

فالنبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم،و هو المعلّم الإلهى للقرآن يقول:«ظاهره أنيق و باطنه عميق» (۱)و يقول أيضا«للقرآن بطن و ظهر و لبطنه بطن،إلى سبعه بطون» (۲)،و قد ورد الكثير عن باطن القرآن،فى أقوال أهل البيت عليهم السّلام (۳).

فالأصل فى هذه الروايات،هو التشبيه الذى قد ذكره الله تعالى فى سوره الرعد الآيه ۱۷.و الذى يشبّه فيه الإفاضات السماويه بالمطر الذى يهطل من السماء يقول سبحانه و تعالى:

أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَسٰالَتْ أَوْدِيَهٌ بِقَدَرِهٰا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رٰابِياً وَ مِمّٰا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النّٰارِ ابْتِغٰاءَ حِلْيَهٍ أَوْ مَتٰاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ*كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَ الْبٰاطِلَ*فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفٰاءً وَ أَمّٰا مٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثٰالَ

(۴)

.

۱- ۱) تفسير الصافى ص ۴.

۲- ۲) سفينه البحار/تفسير الصافى ص ۱۵/الكافى/تفسير العياشى/معانى الأخبار /و روايات أخرى.

۳- ۳) البحار ج ۱:۱۱۷.

۴- ۴) سوره الرعد الآيه ۱۷.

و تشير هذه الآيه إلى أن استيعاب الناس و قدرتهم على اكتساب المعارف السماويه و التى تنير النفوس،و تمنحها الحياه متفاوته.

فهناك من لا يعطى الأصاله لهذا العالم-الذى سرعان ما يزول-إلّا للماده و الحياه الماديّه،و لا يرجو سوى ما تشتهيه نفسه من الحياه الماديّه،و لا يخشى إلا الحرمان منها،و هؤلاء على اختلاف فى مراتبهم.

و الحد الأدنى الذى يمكن قبوله من المعارف السماويه،هو الاعتقاد بشكل مجمل و أداء أحكام الإسلام العلميه ظاهرا،و عباده الله جلّ شأنه أملا فى الثواب و خوفا من العقاب.

و هناك أناس اثر صفاء فطرتهم لا يرون السعاده بالركون إلى لذائذ هذه الحياه بأيامها القليله الزائله،و ما الفائده و الضرر، و البهجه و البؤس فى هذه الحياه إلّا ظن مغر،و ما أولئك الذين كانوا بالأمس سعداء،و أصبحوا اليوم قصصا تروى،سوى دروس و عبر لهم،تلقى فى أذهانهم باستمرار و على الدوام.

و هؤلاء بالطبع يتجهون بقلوبهم المنزهه إلى العالم الأبدى و ينظرون إلى هذا العالم بما فيه من مظاهر مختلفه،بأنها دلالات و إشارات لا غير،و ليست فيها أيه أصاله أو استقلال.

و عند ما تفتح لهم أبواب من المعرفه و الإدراك المعنوى للآيات و الظواهر الأرضيه و السماويه،و تشرق فى نفوسهم أنوار غير متناهيه من عظمه و جلال الخالق سبحانه،و تعجب نفوسهم و قلوبهم الطاهره برموز الخليقه إعجابا،فتعرج أرواحهم فى الفضاء غير المتناهى للعالم الأبدى بدلا من انغماسها فى مصالحها الماديه الخاصه.

و عنـد مـا يسـتمعون عن طريق الوحى الإلهى،أن الله تعالى قـد نهى عن عباده الأوثان،و ظاهر الآيه مثلا تجنب تقـديس الأصـنام، فـإنهم يـدركون أن العباده تختص بالله سـبحانه،و ليست لأحـد سواه،لأن حقيقه العباده هى العبوديه المطلقه،و أكثر من هـذا فهم يدركون أن الخوف و الرجاء لا يكون إلّا من الله و لله وحده،و يجب ألّا يستسلموا لأهواء النفس،و لا يجوز التوجه إلّا لله تعالى.

و عند ما يتلى عليهم حكم وجوب الصـلاه،و ظاهر الحكم إقامه هذه العباده الخاصه،لكن بحسب الباطن يدركون أن هذه الصلاه يجب أن تتحقق بقلوبهم و بكلّ وجودهم،و أكثر من هذا يجب عليهم أن ينسوا أنفسهم و يتفانوا فى عباده الله وحده،فهم لا شىء تجاه الخالق.

و كما هو واضـح أن المعنى الباطنى المسـتفاد من المثالين السابقين، لم يكن مـدلولا لفظيا للأمر أو النهى بـذاته بل-للـذى جعل مجال فكره متسعا-يرجّع النظر إلى العالم و الكون على النظر فى نفسه،و ما تنطوى عليه من أنانيه و حب للذات.

و مع هـذا البيان،يتبين معنى ظاهر القرآن و باطنه،و كـذلك يتضح أن باطن القرآن لا يلغى و لا يبطل ظاهره،بل إنه بمنزله الروح التى تمنح الجسم الحياه،و بما أن الإسـلام دين عام،شامل و أبدى،فهو يهتم أولا و قبل كل شـىء بإصـلاح المجتمع البشرى،و لا يتخلّى عن الأحكـام الظـاهريه و الـتى مؤدّاهـا إصـلاح المجتمع،و كـذا لا ـ يتخلّى عن الاعتقـادات البسـيطه و الـتى تعتـبر حارسـه للأحكام المشار إليها.

فكيف يمكن لمجتمع أن ينال السعاده بالاقتناع أن الإنسان يكفيه

أن یکون منزها،و لیس هناک ثمه اعتبار للعمل،فیعیش فی حیاه محاطه بعدم التنظیم و الاستقرار؟

و کیف یمکن لفکر سقیم و أقوال سقیمه أن تخلق قلوبا طاهره زکیه،أو أن یظهر من قلب زکی،أقوالا سقیمه؟

و یقول تعالی فی کتابه العزیز: اَلطَّیِّبٰاتُ لِلطَّیِّبِینَ وَ الطَّیِّبُونَ لِلطَّیِّبٰاتِ (۱).

و یقول أیضا: وَ الْبَلَدُ الطَّیِّبُ یَخْرُجُ نَبٰاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِی خَبُثَ لاٰ یَخْرُجُ إِلاّٰ نَکِداً... (۲).

و یستفاد مما ذکرنا أن للقرآن الکریم ظاهرا و باطنا،و باطنه أیضا ذو مراتب مختلفه،و أما الحدیث فهو المبین لمفاهیم القرآن الکریم.

تأویل القرآن

و مما کان مشهورا عند إخواننا أهل السنه فی صدر الإسلام، إمکان الرجوع عن ظاهر القرآن الکریم،إذا وجد دلیل،و أن تحمل الآیه علی خلاف الظاهر،هذا ما یسمّی ب«التأویل»فکلمه التأویل فی القرآن الکریم،کانت تفسّر بهذا المعنی.

و مما یشاهد فی کتب أهل السنه،أن المناظرات الدینیه المختلفه،کانت تؤیّد بإجماع علماء المذاهب،أو بدلیل آخر،فإذا ما خالفت-أدلتهم-ظاهر آیه من آیات القرآنیه،کانوا یلجئون إلی

۱- ۱) سوره النور،۲۶.

۲- ۲) سوره الأعراف الآیه ۵۸.

تأويـل الآـيه،حملاـ لخلاـف ظاهرها،و أحيانا كان يلجأ كل من الطرفين المتخاصـمين،إلى الآيات القرآنيه،و الاحتجاج بها،و كل منها كان يؤوّل آيه الطرف المتخاصم.

و قلما تسرّب هذا النوع من الاحتجاج إلى الشيعه،و قد ذكر فى بعض كتبهم فى علم الكلام...و مما يستفاد من الآيات القرآنيه و أحـاديث أهل البيت بعـد تـدبّرها أن القرآن الكريم مع صـراحته و وضوح بيانه،لا يريـد أن تكون الآيات مبهمه و تبقى لغزا دون حل، و كل ما جاء إلى الناس من أحكام و مسائل،فهى بألفاظ تناسب ذلك الموضوع.

و مـا يـذكره القرآن بكلمه«تأويـل»لم يكن مـدلولا للفـظ بـل حقـائق و واقعيـات أعلى شأنـا من فهم عـامه النـاس،و هى الأساس للمسائل الاعتقاديه و الأحكام العلميه للقرآن.

نعم أن لكـل آيـات القرآن تأويلاـو لاـ يـدرك تـأويله عن طريق التفكّر مباشـره،و لا يتّضـح ذلك من ألفاظه،و ينحصـر فهمه و إدراكه بالأنبياء و الصالحين من عباد الله،الذين نزّهوا أنفسهم من كل رجس،فإنهم يستطيعون إدراكه عن طريق المشاهده،نعم إن تأويل القرآن سوف ينكشف يوم تقوم الساعه.

نحن نعلم جيدا أن تلبيه حاجات المجتمع المادى،دفعت الإنسان إلى الكلام،و وضع الكلمات و كذا كيفيه الاستفاده من الألفاظ.

فالإنسان مضطر فى حياته الاجتماعيه لكى يفصح عما فى ضميره من مفاهيم إلى أبناء نوعه،أن يستمدّ العون عن طريق الصوت و الأذن،و قلما استفاد من الإشاره أو حركه العين،و من هنا نجد أنّ

التفاهم لا يحصل بين أفراد صمّ و عمى،لأن ما يقوله الأعمى لا يسمعه الأصم،و ما يقوم به الأصمّ من الإشارات لا يراها الأعمى.

فعلى هذا فإن وضع الكلمات،و تسميه الأشياء ما هو إلاّ لرفع الاحتياجات الماديه،و قد اصطنعت الكلمات للأشياء و الأوضاع و الأحوال الماديه التى تقع فى متناول الحسّ،أو على مقربه من المحسوس.

و كما نشاهد ففى بعض الموارد،التى يكون فيها المخاطب فاقدا لإحدى الحواسّ،و أردنا التكلّم معه عن طريق ذلك الحسّ المفقود، نلجأ إلى نوع من التمثيل و التشبيه،إذا أردنا أن نصف لشخص أعمى منذ الولاده،النور و الضياء،أو أن نصف لطفل لم يبلغ سن البلوغ،لذه العمل الجنسى،فإننا نقوم بنوع من المقارنه و التشبيه المناسب.

و عليه إذا افترضنا أن هناك فى الكون واقعيات ليست بماده (و واقع الأمر هكذا)،فهناك من البشر-لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد-فى كل عصر،من لهم القدره على إدراكها و مشاهدتها،و هذه الأمور لا يمكن توضيحها للآخرين عن طريق البيان اللفظى و الفكر الاعتيادى،و لا يسعنا الإشاره إليه إلا بالتمثيل و التشبيه.

فالله تعالى يقول فى كتابه العزيز إِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (1)أى لا يتوصل إليه الفهم الاعتيادى،و لا يبلغه.

١- ١) سوره الزخرف الآيه ٣-۴.

و يقول أيضا: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (۱).

و يقول أيضا فى شأن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السّلام: إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۲).

وفقا لـدلالات هـذه الآيات،فإن القرآن الكريم يصدر من ناحيه تعجز أفهام الناس عن الوصول إليها،و التوغّل فيها،فلا يدركها إلاّ من كان من المخلصـين و عباده المقربين،و أوليائه الصالحين، و أهل بيت النبى الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سـلم خير مصداق لذلك.

و يقول عزّ من قائـل: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِينَ (۳).أى ترى الأشياء بالعيان يوم القيامه.

و يقول أيضـا فى آيه أخرى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (۴).

تتمه البحث عن الحديث

إن اعتبار أصاله الحديث،و الذى يؤيده القرآن الكريم،تقرّه

ص: ۸۷

۱- ۱) سوره الواقعه الآيه ۷۷-۷۹.

۲- ۲) سوره الأحزاب الآيه ۳۳.

۳- ۳) سوره يونس الآيه ۳۹.

۴- ۴) سوره الأعراف الآيه ۵۳.

الشیعه و سائر المذاهب الإسلامیه،و لکن أثر التفریط فی حفظه و الذی حصل من قبل الولاه و الحکام فی صدر الإسلام و أثر الإفراط الذی حدث من الصحابه و التابعین فی نشر الأحادیث، کانت عاقبه الحدیث مؤسفه مؤلمه.

فمن جهه منع خلفاء ذلک الزمان من کتابه الحدیث و تدوینه، فکانوا یحرقون الأوراق التی دونت علیها الأحادیث،ما وسعهم ذلک،و أحیانا کانوا یمنعون من نقل الأحادیث،فأدی هذا إلی أن الکثیر من الأحادیث أصابها التغییر و التحریف و النسیان و نقلت الأحادیث بمضامینها.

و من جهه أخری،قام صحابه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم الذین حضروا مجلسه،و استمعوا إلی حدیثه،و کانوا مورد احترام هؤلاء الخلفاء و عامه المسلمین،بنشر الأحادیث حتی آل الأمر إلی أن یصبح الحدیث ذا أهمیه أکثر من القرآن،و أحیانا کان الحدیث ینسخ الآیه (۱).

و کان یتفق أن نقله الأحادیث،کانوا یتحمّلون مصاعب الطریق و السفر لاستماع حدیث واحد.

و قد تزیّا البعض من غیر المسلمین بزیّ الإسلام،و تلبّس به، و بدءوا بوضع الأحادیث و تغییرها،فأسقطوا الحدیث من الاعتبار، و من الوثوق به (۲).

۱- ۱) موضوع نسخ القرآن بالحدیث أحد مواضیع علم الأصول،و یؤیده جمع من علماء أهل السنه،و یتضح من قضیه(فدک)أن الخلیفه الأول یؤید ذلک أیضا.

۲- ۲) ما یؤید هذا القول مصنفات کثیره وضعها العلماء فی الأحادیث الموضوعه،و کذا فی کتب الرجال اشتهر جماعه من الرواه بأنهم کذابون وضاعون.

و لهذا السبب فكّر علماء الإسلام و مفكروه بوضع حلّ لهذه المعضله،فوضعوا علمين:علم الرجال و علم الدرايه،ليميّزوا الحديث الصحيح من السقيم.

و الشيعه فضلا عن أنهم يسعون لتنقيح سند الحديث،يرون وجوب مطابقه الحديث للقرآن الكريم فی صحه اعتباره.

و قد ورد فی أخبار كثيره (۱)و بأسانيد قطعيه عن طريق الشيعه عن النبی الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلم،و أئمه أهل البيت عليهم السّلام،إن الحديث الذی يخالف القرآن لا اعتبار له،و الحديث المعتبر هو ما وافق القرآن.

لذا،لا يعمل الشيعه بالأحاديث التی تخالف القرآن،أما الأخبار التی (۲)لا يعلم مدی مخالفتها أو موافقتها،فإنها توضع جانبا،دون ردّ أو قبول،و يعتبر مسكوتا عنه،و يستدل علی هذا الأمر بأحاديث أخری لأئمه أهل البيت عليهم السّلام،و لا يخفی أن هناک فئه من الشيعه،مثل ما هو موجود عند أهل السنه،يعملون بأیّ حديث يقع فی متناول أيديهم.

الشيعه و العمل بالحديث

الأحاديث التی سمعت من النبی الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلم أو أئمه أهل البيت عليهم السّلام دون واسطه،حكمها حكم القرآن الكريم،أما الأحاديث التی وصلت إلينا بواسطه،فإن الشيعه تعمل بها كالآتی:

فيما يتعلق بالمسائل الاعتقاديه،و الذی يصرّح به القرآن،

۱- ۱) البحار ج ۱:۱۳۹.

۲- ۲) البحار ج ۱:۱۷۱.

یستلزم العلم و القطع بالخبر المتواتر،أو الخبر الذی تتوفر فی صحته الشواهد القطعیه،فإنه یعمل به،وعدا هذین النوعین و الذی یسمی الخبر الواحد،فلا اعتبار له.

و لکن فی استنباط (۱)الأحکام الشرعیه،نظرا للأدله القائمه، فضلا عن الخبر المتواتر و الخبر القطعی،فإنه یعمل أیضا بالخبر الواحد الذی یکون موثّقا.

إذن فالخبر المتواتر و الخبر القطعی مطلقا عند الشیعه،یکون حجه و لازم الاتّباع،أما الخبر غیر القطعی کالخبر الواحد فإنه حجه بشرط أن یکون موثّقا فی نوعه،و ینحصر ذلک فی الأحکام الشرعیه.

التعلّم و التعلیم العام فی الإسلام

إن تحصیل العلم من الوظائف الدینیه فی الإسلام،و خیر دلیل علی ذلک،قول النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم:«طلب العلم فریضه علی کل مسلم و مسلمه»و وفقا للأخبار التی تؤیّد بالشواهد القطعیه، یکون المراد من العلم،هو معرفه أصول الدین الثلاثه:«التوحید، النبوّه-المعاد»مع ما یلازمها،من معرفه الأحکام و القوانین الإسلامیه بصوره مفصله،کل حسب احتیاجه.

و من الواضح أن تحصیل العلم فی أصول الدین،و إن کان مع دلیل مجمل،فهو میسور للجمیع،و لکن تحصیل العلم مع تفاصیل

۱- ۱) مبحث حجیه الخبر الواحد فی علم الأصول.

الأحكام و القوانين الدينيه،لا يتحقق إلّا بالاستنباط الفقهى من المصادر الأصليّه،و هى الكتاب و السنه(الفقه الاستدلالى)و هذا ما لا يتيسر للجميع.

و الإسلام لا يشرّع حكما فيه حرج،لذا فإن تحصيل العلم بالأحكام و الشرائع الدينيه عن طريق الدليل يعتبر واجبا كفائيا، يختص بالبعض الذى له الكفاءه و القدره،أمّا عامه الناس،فيجب عليهم الرجوع إلى هؤلاء البعض.وفقا للقاعده العامه،و هى وجوب رجوع الجاهل إلى العالم،(قاعده الرجوع إلى أهل الخبره)،و هو مراجعه من يسمّون ب«المجتهدين الفقهاء»و يطلق على هذه المراجعه كلمه(التقليد)و لكن هذا الرجوع و التقليد ليس فى أصول الدين (۱).

و مما تجدر الإشاره إليه،أن الشيعه،لا تجيز التقليد الابتدائى من المجتهد الميّت،و الشخص الذى لا يعلم مسأله ما عن طريق الاجتهاد،فإنه وفقا لوظيفته الدينيه يجب أن يقلّد المجتهد،و لا يستطيع الرجوع إلى فتوى المجتهد المتوفى،ما لم يكن قد قلّد فى هذه المسأله مجتهدا حيّا،و بعد وفاه المرجع و المقلّد بقى على تقليده، و هذه المسأله هى إحدى العوامل المهمه التى تجعل الفقه الإسلامى الشيعى يمتاز بالحيويه،لهذا السبب يسعى جماعه للحصول على درجه الاجتهاد،و التحقيق فى المسائل الفقهيّه.

و لكن إخواننا أهل السنه إثر الإجماع الذى حصل فى القرن

۱- ۱) يراجع فى هذا الموضوع مبحث الاجتهاد و التقليد من علم الأصول.

الخامس الهجری،الداعی بلزوم اتّباع مذهب من الفقهاء الأربعه و هم:أبو حنیفه و المالکی و الشافعی و أحمد بن حنبل،فهم لا یجیزون الاجتهاد الحرّ،و کذا التقلید من غیر هؤلاء الأربعه،و فی النتیجه بقی فقههم کما کان علیه قبل حوالی ألف و مائتی سنه، و أخیرا انعزل جماعه من المنفردین عن الإجماع المذکور،و اتجهوا نحو الاجتهاد الحرّ.

الشیعه و العلوم النقلیه

العلوم الإسلامیه التی دوّنها علماء الإسلام،تنقسم إلی قسمین:عقلیه و نقلیه،فالعلوم النقلیه،هی التی یعتمد علیها فی النقل،مثل اللغه و الحدیث و التأریخ و ما شابهها،و العلوم العقلیه مثل الفلسفه و الریاضیات.

و لا شک أن الدافع الأصلی لظهور العلوم النقلیه فی الإسلام، هو القرآن الکریم،عدا علمی التأریخ و الأنساب و علم العروض.

أما سائر العلوم فهی ولیده هذا الکتاب الإلهی.

دوّن المسلمون هذه العلوم بتتبعهم الدینی،و أهم ما فیها هو، الأدب العربی و علم النحو و الصرف،و علم البلاغه،و علم اللغه، و ما یتعلق بالظواهر الدینیه،مثل علم فن القراءه و التفسیر و الحدیث و الرجال و الدرایه و الأصول و الفقه.

و الشیعه لهم دورهم و مشارکتهم المهمه فی تأسیس و تنقیح هذه العلوم،و یمکن القول بأن المؤسس و المبتکر لکثیر منها،هم الشیعه.کما نجد ذلک فی علم النحو،فقد صنفه«أبو الأسود

الدؤلی»و هو أحد صحابه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و علی علیه السّلام بعد أن أملاه علیه الإمام علی علیه السّلام.و یعتبر الصاحب بن عباد الشیعی من کبار مؤسسی (۱)علم الفصاحه و البلاغه،و کان من وزراء آل بویه.و أوّل کتاب صنف فی علم اللغه هو«کتاب العین» (۲)،لمؤلفه العالم المعروف«الخلیل بن أحمد البصری الشیعی»،و هو واضع علم العروض،و أستاذ«سیبویه النحوی»فی علم النحو.

و تنتهی قراءه«عاصم»للقرآن إلی علیّ علیه السّلام بواسطه،و أما عبد الله بن عباس و الذی یعتبر من أفضل الصحابه فی التفسیر،فهو تلمیذ الإمام علیّ علیه السّلام،و لا ینکر أحد ما بذله أهل البیت علیهم السّلام و شیعتهم من جهد فی علم الحدیث و الفقه،کما أن اتصال الفقهاء الأربعه و غیرهم بالإمام الخامس و السادس(الباقر و الصادق علیهما السلام)للشیعه فمعروف،و ما حصل علیه الشیعه من تقدم فی أصول الفقه فی زمن«الوحید البهبهانی»(المتوفی سنه ۱۲۰۵ ه-ق)و بالأخص علی ید«الشیخ مرتضی الأنصاری»، (المتوفی سنه ۱۲۸۱ ه-ق.)یثیر الإعجاب.و لا یقارن بأصول الفقه لدی إخواننا أهل السنه.

۱- ۱) الوفیات لابن خلکان ص ۷۸-أعیان الشیعه ج ۱۱:۲۳۱.

۲- ۲) الوفیات ص ۱۹۰-و أعیان الشیعه و سائر الکتب و التراجم.

الطريق الثانی:

اشاره

المباحث العقلیه

التفکر العقلی و الفلسفی و الکلامی

قد أشرنا سابقا (۱)،أن القرآن الکریم یؤید التفکر العقلی، و یعتبره جزء من التفکّر الدینی.و التفکّر العقلی بعد أن یصادق علی صدق نبوّه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم،یجعل الظواهر القرآنیه بما فیها الوحی السماوی،و أقوال النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و أهل البیت علیهم السّلام من موارد الحجج العقلیه.و الحجج العقلیه التی یثبت بها الإنسان نظریاته،مع ما لدیه من فطره إلهیّه تنقسم إلی قسمین:البرهان و الجدل.

و البرهان: حجه،و مقدماته واقعیه،و إن لم تکن مشهوده أو مسلّمه،و بعباره أخری،هی أمور یدرکها الإنسان بداهه مع ما عنده من فطره إلهیه،و یصادق علیها،کما نعلم أن عدد الثلاثه أصغر من عدد الأربعه،فهذا النوع من التفکّر،یدعی التفکّر العقلی،و إذا تحقق هذا التفکر و حصل فی کلیات العالم و الکون، کالتفکر فی بدء الخلقه،و عاقبه العالم،فهو ما یسمی بالتفکر الفلسفی.

و الجدل: حجه،إذا حصلت مقدماته من المشهودات و المسلّمات،

۱- ۱) الفصل الأول من الکتاب.

كما هو متعارف بين معتنقى الأديان و المذاهب،فهم يثبتون آراء و نظريات مذهب ما مع الأصول المسلّمه لذلك المذهب.

و القرآن الكريم يستفيد من الطريقتين،و هناك آيات كثيره فى هذا الكتاب السماوى لكل من هاتين الطريقتين.

فهو أولا: يأمر بالتدبّر و التفكّر المطلق فى كليات عالم الطبيعه و فى النظام العام للعالم،و كذا فى النظام الخاص مثل،نظام السماء و النجوم و الليل و النهار و الأرض و النبات و الحيوان و الإنسان و غيرها،و يثنى على التتبعات العقليه الحرّه ثناء كثيرا.

و ثانيا: يأمر بالتفكر العقلى الجدلى،و يسمّى عاده بالمباحث الكلاميه،بشرط أن يتم ذلك بأحسن وجه ممكن«و ذلك لإظهار الحق بدون لجاجه و أن يكون مقرونا بالأخلاق الحسنه».كما فى قوله تعالى: اُدْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ (۱).

مدى تقدم الشيعه فى التفكر الفلسفى و الكلامى فى الإسلام

منذ اليوم الذى انفصلت فيه الأقليه الشيعيه عن الأكثريه السنيه،كانت الشيعه تقيم الاحتجاجات مع مخالفيها،فى النظريات و الخاصه بها التى كانت تتبناها.

صحيح أن الاحتجاج ذو طرفين،و أن المتخاصمين شريكان فى دعواهم،و لكن الشيعه كانت تقف موقف الهجوم،و الآخرون كانوا

۱- ۱) سوره النحل الآيه ۱۲۵.

فی موقف الدفاع،فالذی یقف موقف الهجوم یجب أن یکون قد هیّأ الوسائل الکافیه للمخاصمه،و من ثم الحمله و الهجوم.

و کذا فی التقدم الذی حظیت به المباحث الکلامیه بصوره تدریجیه،فی القرن الثانی و أوائل القرن الثالث،فقد وصل فی رقّیه إلی القمه مع انتشار مذهب الاعتزال،فعلماء الشیعه و محققوهم،و الذین هم تلامیذ مدرسه أهل البیت علیهم السّلام،کانوا فی مقدمه المتکلمین.

فضلا عن أن متکلمی أهل السنه (1)،من الأشاعره و المعتزله و غیرهم،یصلون فی تدرجهم هذا إلی الإمام الأول للشیعه،و هو الإمام علی علیه السّلام،و أما أولئک الذین عرفوا آثار الصحابه،و اطّلعوا علیها،یعلمون جیدا أن من بین جمیع هذه الآثار التی تنسب إلی الصحابه(و قد دوّنت أسماء اثنی عشر ألفا)لم نجد أثرا واحدا یشتمل علی التفکر الفلسفی.بل ینفرد الإمام علی علیه السّلام بخطابه و بیانه المبهر فی معرفه الله تعالی،بأنه یتّصف بالتفکیرات الفلسفیه الشدیده العمق.

لم تکن للصحابه و لا التابعین الذین جاءوا بعدهم،أو العرب بصوره عامه فی تلک الأیام أیّه معرفه بالتفکر الفلسفی الحرّ، و لم نجد فی أقوال العلماء فی القرنین الأولین للهجره،نماذج من التدقیق و التتبع،بینما نجد الأقوال الرصینه لأئمه الشیعه علیهم السّلام،و خاصه الإمام الأول(الإمام علی علیه السّلام)و الثامن

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید،أوائل المجلد الأول.

(الإمام على الرضا عليه السّلام)،تحتوى على كنوز من الأفكار الفلسفيه، و هم بدورهم ربوا تلاميذهم على هذا اللون من التفكير.

نعم كان العرب بعيـدين عن التفكّر الفلسـفى،حتى ظهرت نماذج من هـذا التفكير عبر ترجمه بعض الكتب الفلسـفيه اليونانيه،إلى اللغه العربيه فى أوائل القرن الثانى للهجره،و بعدها ترجمت كتب متعدده من اليونانيه و السريانيه و غيرها إلى اللغه العربيه،و حينها أصبحت طريقه التفكر الفلسفى فى متناول أيدى العموم،و مع هذا،فإن الكثير من الفقهاء و المتكلمين،لم يبدوا اهتماما بالفلسفه و سائر العلوم العقليه،التى وردت إليهم حديثا، رغم الاهتمام الخاص الذى كانت تبديه السلطه الحاكمه آنذاک لمثل هذه العلوم.

و لكن بعـد فـتره من الزمن تغيّرت الأوضـاع و الأـحوال،فمنعت دراسه هـذه العلوم،و ألقيت بعض الكتب الفلسـفيه فى البحر،و ما كتاب رسائل«إخوان الصـفا»و هو نتاج فكرى لعدد من المؤلفين،إلاّ مذكّر بتلك الفتره،فهو خير دليل على الأوضاع المضطربه فى ذلک الزمن. و بعد هذه الفتره،أى فى أوائل القرن الرابع الهجرى، ظهرت الفلسـفه و نمت،على يد«أبى نصر الفارابى».و فى أوائل القرن الخامس للهجره،و أثر مساعى الفيلسوف المشهور«أبى على سينا»اتّسعت الفلسفه اتساعا بالغا،و فى القرن السادس أيضا،نقّح الشـيخ«السـهروردى»فلسـفه الإشراق،و قد قتل بهذه التهمه،و بأمر من الحاكم«صلاح الدين الأيوبى»،و بعدها ضعفت الفلسفه عند الكثيرين،و لم ينبغ فيلسوف شهير،حتى جاء القرن

السابع الهجری،فظهر فی«الأندلس»«ابن رشد الأندلسی»و سعی فی تنقیح الفلسفه.

الشیعه یسعون دائما بحقل الفلسفه و سائر العلوم العقلیه

الشیعه-کما أشرنا-کانوا عاملا مؤثرا فی إیجاد الفکر الفلسفی،و هم یعتبرون عاملا مهما فی تقدیم هذا الفکر،و کانوا یسعون دوما فی نشر العلوم العقلیه،و مع وفاه«ابن رشد»ذهبت الفلسفه من بین الأکثریه من أهل السنه،و لکنها لم تذهب من بین الشیعه،فبعدها اشتهر فلاسفه کبار مثل«خواجه نصیر الدین الطوسی»و«میرداماد»و«صدر المتألهین»و سعی کل من هؤلاء، الواحد بعد الآخر فی تحصیل العلوم الفلسفیه و تدوینها.

و کذلک فی سائر العلوم العقلیه ظهر کل من«الخواجه الطوسی»و«البیرجندی»و غیرهم.کل هذه العلوم و خاصه الفلسفه الإلهیه،تقدمت تقدما باهرا اثر المساعی الدءوبه لعلماء الشیعه و مفکریهم،و یتّضح ذلک،بمقارنه آثار کل من«الخواجه الطوسی»و«شمس الدین ترکه»و«المیرداماد»و«صدر المتألهین» مع مؤلفات القدماء.

لما ذا استقرت الفلسفه عند الشیعه؟

فکما أن العامل المؤثر فی وجود و نشأه الفکر الفلسفی و العقلی بین الشیعه هو آثار أئمه الشیعه و علمائهم،فإن بقاء و استقرار هذا اللون من الفکر،یرجع إلی وجود تلک الذخائر العلمیه،التی

يهتم بها الشيعه و يبدون لها احتراما و تقديسا،و لكى يتضح الأمر، يكفينا مقارنه الذخائر العلميه لأهل البيت عليهم السّلام مع الكتب الفلسفيه التى صنّفت مع مرور الزمن،فإننا سنرى بوضوح،أن الفلسفه كانت تقترب من هذه الكنوز العلميه فى أكثر الموارد، و حتى بدايه القرن الحادى عشر،فإنها كانت متقاربه جدا،بل منطبقه،و لم يكن هناك من فارق سوى الاختلاف فى المصطلحات.

خمسه من نوابغ علماء الشيعه

١-ثقه الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى،المتوفى سنه ٣٢٩ للهجره.

هو أول عالم شيعى،استخرج و رتّب الموضوعات الفقهيه و الاعتقاديه من الروايات الشيعيه التى كانت مدونه فى الأصول، (الأصل هو ما جمعه المحدّث من روايات أهل البيت عليهم السّلام فى مصنّف خاص)فسمى كتابه ب«الكافى»و ينقسم إلى أقسام ثلاثه:

الأصول و الفروع و الروضه(المتفرقات)،و يشتمل على ١۶١٩٩ حديثا،و يعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب الحديث التى عرفت فى عالم التشيّع،و هناك ثلاثه كتب،تأتى بعد«الكافى»من حيث الأهميه و هى:

كتاب«من لا يحضره الفقيه»للشيخ«الصدوق محمد بن بابويه القمى»المتوفى سنه ٣٨١ للهجره.و كتاب«التهذيب»و كتاب «الاستبصار»لمؤلفهما«الشيخ الطوسى»المتوفى سنه ۴۶٠ للهجره.

۲-أبو القاسم جعفر بن حسن بن يحيى الحلّى المعروف بالمحقق المتوفى سنه ۶۷۶ للهجره.

يعتبر من نوابغ علم الفقه،و من أشهر مشاهير فقهاء الشيعه، و يعتبر كتاب«المختصر النافع»و كتاب«الشرائع»من أروع ما حرّره فى الفقه،و منذ ۷۰۰ سنه و حتى الآن لا يزال مورد إعجاب و تقدير الفقهاء.

و من الكتب التى تأتى بعد الكافى هو كتاب«اللمعه الدمشقيه» لمؤلفه المحقق الشهيد الأول«شمس الدين محمد بن مكى»استشهد فى دمشق سنه ۷۸۶ للهجره،بتهمه التشيع،و قد دوّن كتابه هذا بمستوى رفيع،فى السجن،خلال سبعه أيام.

و يعتبر كتاب«كشف الغطاء»للشيخ«جعفر كاشف الغطاء النجفى»من أجود مؤلفات هذا العالم.

۳-الشيخ مرتضى الأنصارى التسترى المتوفى سنه ۱۲۸۱ للهجره.

نقّح علم أصول الفقه،و حرّر طرق الأصول العلميّه،و التى تعتبر من أهم أقسام هذا الفن،و لا تزال مدرسته قائمه،و موضع تقدير العلماء منذ ۱۰۰ عام.

۴-الخواجه نصير الدين الطوسى،المتوفى سنه ۶۷۶ للهجره.

و هو أول من أظهر علم الكلام،بصيغته الفنيه الكامله،و من أشهر مؤلفاته و أجودها كتاب«تجريد الاعتقاد»و لا يزال و منذ أكثر من ۷۰۰ سنه،معتبرا و ذا قيمه بين روّاد هذا الفن،و قد طبع الكتاب مع شروح و حواش عديده من قبل العامه و الخاصه.

ص:۱۰۰

و هو فضلا عن نبوغه فی علم الکلام،یعتبر من نوابغ عصره فی علم الفلسفه و الریاضیات أیضا،و خیر شاهد علی ذلک،هو الکثیر من مؤلفاته المهمه فی مختلف العلوم العقلیه،و قد قام بإنشاء مرصد فلکی أیضا.

۵-صدر الدین محمد الشیرازی،المولود سنه ۹۷۹،و المتوفی سنه ۱۰۵۰ للهجره.

هو أول فیلسوف قام بتصنیف و ترتیب المسائل الفلسفیه کالمسائل الریاضیه(بعد سیرها قرونا متمادیه فی العصر الإسلامی)بعد أن کانت مبعثره،فحصلت النتائج التالیه:

أولا: فسح المجال للفلسفه بأن تطرح و یحل فیها مئات من المسائل الفلسفیه،و التی لم یکن لها المجال لأن تطرح فی السابق.

ثانیا: أتیح المجال لعرض مجموعه من المسائل العرفانیه، (و التی کانت حتی ذلک الوقت تعتبر مواضیع خارجه عن نطاق العقل،و فوق مستوی الفکر الإنسانی)و ثم بحثها و تمحیصها بأیسر السبل.

ثالثا: اتضحت کثیر من الظواهر الدینیه،و العبارات الفلسفیه العمیقه لأئمه أهل البیت علیهم السّلام،و التی بقیت لقرون متتالیه تتصف باللغز الذی لا یحلّ،و کانت تعتبر من المتشابهات غالبا، و بهذا اتصلت الظواهر الدینیه بالعرفان و الفلسفه فی أکثر الموارد، و سلکت سویا،طریقا واحدا.

و هناک من قام بهذه المهمه قبل«صدر المتألهین»أیضا،مثل الشیخ«السهروردی»مؤلف کتاب«حکمه الإشراق»و هو من

فلاسفه القرن السادس،و«شمس الدين محمد تركه»من فلاسفه القرن السادس الهجرى،حيث قاما بدراسات مثمره،إلا أنهما لم يوفقا توفيقا كاملا،كالذى حظى به«صدر المتألهين».

و قد وفّق صدر المتألهين اثر اتخاذ هذه الطريقه إلى إثبات نظريه الحركه الجوهريه،و اكتشف البعد الرابع و النظريه النسبيّه (خارج عن نطاق الذهن و الفكر)،و صنّف ما يزيد عن خمسين كتابا و رساله.و من أهم كتبه فى الفلسفه،كتاب(الأسفار)فى تسعه مجلدات.

الطريق الثالث:

اشاره

الكشف

الإنسان و إدراكه للعرفان

فى الوقت الذى تسعى الأكثريه من الناس فى أمور معاشهم، و رفع احتياجاتهم اليوميه للحياه،غير مبالين بالمعنويات،فإن هناك غريزه فى وجودهم،تدعى غريزه حبّ الذات،نراها تنمو عندهم،تجبرهم على إدراك مجموعه من القضايا المعنويه.

كل إنسان(على الرغم من أن السوفسطائيين و الشكاكين يسمّون كل حقيقه و واقعيه خرافه)يؤمن بواقعيات ثابته،و نراه، ينظر بفطرته و ضميره المنزّه إلى هذه الواقعيات الثابته فى الكون،هذا من جهه،و من جهه أخرى،يشعر الإنسان بفناء أجزاء هذا العالم،فيرى العالم و ظواهره كالمرآه التى تعكس الواقعيات

ص:١٠٢

الثابته الخلابه،و عند إحساس لذاتها،تصبح اللذائذ الأخرى حقيره فی نظره،و بالتالی تجعله ينصرف عن الحياه الفاتنه الفانيه.

هـذا هو مـدى جاذبيه العرفان،التی تسـلک بالمؤمن إلی العالم العلوی،و تقرّ فی قلبه عظمه الله و جلاله،فينسـی کل شـیء،و يغفل عن کل شیء،فتحرضه هذه الجاذبيه علی أن ينبذ کل ما يتمناه و يرجوه فی هذه الحياه،و تدعوه إلی عباده الله الذی لا يری،و هو أوضح من کل ما يری و يسمع.

و فی الحقيقه أن هذه الجاذبيه الباطنيه،هی التی قد أوجدت فی الإنسان،سـبل عباده الله تعالی.و العارف هو الذی يعبد الله سبحانه عن حبّ و إخلاـص،لاـ عن طلب للثواب و لاـ عن خـوف و رهبه من العـذاب.من هنـا يتضـح أن العرفـان ليس مـذهبا فی قبـال المذاهب الأخری،بل أن العرفان طريق من طرق العباده (عباده الحب و الإخلاص،لا للخوف و الرجاء)و هو طريق لإدراک و فهم حقائق الدين،فی قبال طريق الظواهر الدينيه و طريق التفکر العقلی.

ظهور العرفان فی الإسلام

من بين صحابه النبی الأکرم صلی اللّه عليه و آله و سلم (و قد جاء ذکر ما يقارب من اثنی عشر ألفا منهم فی کتب الرجال)ينفرد الإمام علی عليه السّـلام ببيانه البليغ عن حقائق العرفان،و مراحل الحياه المعنويه،إذ يحتوی علی الذخائر الجمّه،ما لم نجد مثليه فی الآثار التی بين

أيدينا عند بقيه الصحابه،و أشهر أصحاب الإمام على عليه السّلام و تلاميذه«سلمان الفارسى»و«أويس القرنى»و«كميل بن زياد»و«رشيد الهجرى»و«ميثم التمّار»و العرفاء عامه فى الإسلام يجعلون هؤلاء أئمه و هداه لهم.

و هناك طائفه أخرى تأتى فى الدرجه الثانيه،و هم«طاوس اليمانى»و«مالك بن دينار»و«إبراهيم الأدهم»و«شقيق البلخى» الذين ظهروا فى القرن الثانى الهجرى،و كانوا يعرفون بالزهاد و أولياء الله الصالحين،دون أن يتظاهروا بالعرفان و التّصوف، و على أيه حال،فإنهم لم ينكروا ارتباطهم و مدى تأثرهم بالطائفه الأولى.

و هناك طائفه ثالثه ظهرت فى أواخر القرن الثانى و أوائل القرن الثالث للهجره مثل«أبا يزيد البسطامى»و«المعروف الكرخى»و«جنيد البغدادى»و غيرهم،من الذين سلكوا طريق العرفان،و تظاهروا بالعرفان و التصوف،و لهم أقوال تدل على مدى المكاشفه و المشاهده لديهم،و لما كانت هذه الأقوال تتصف بظاهرها اللاذع،فإنها قد أثارت عليهم الفقهاء و المتكلمين فى ذلك العصر،و سببت المشاكل و الفتن فأدّت إلى أن يزجّ بعضهم فى السجون،و البعض الآخر يقدّم إلى أعواد المشانق.

و أمام هذا الوضع فقد أبدوا التعصب لطريقتهم مقابل المخالفين،و هكذا كانت طريقتهم تتسع و تنتشر يوما بعد يوم، و نجدها قد وصلت إلى ذروتها فى القدره و الانتشار،فى القرنين السابع و الثامن الهجريين،حيث كانت تتسم بالرفعه و العلوّ تاره،

و السقوط و الانحطاط تاره أخرى،و لا تزال تمارس حياتها حتى اليوم (١).

و الظاهر أن أكثر مشايخ العرفان الذين جاء ذكرهم فى كتب العرفان،كانوا على مذهب أهل التسنن،و الطريقه التى نشاهدها اليوم(و التى تشتمل على مجموعه من عادات و تقاليد،لم نجد فى الكتاب و السنه أساسا لها)تذكّرنا بتلك الأيام،و إن كان البعض من تلك العادات و التقاليد انتقلت إلى الشيعه.

و كما يقال،إن هؤلاء كانوا يعتقدون أن الإسلام يعوزه منهج للسير و السلوك،و المسلمون استطاعوا أن يصلوا إلى طريقه معرفه النفس،و هى مقبوله لدى البارى عزّ و جلّ،مثل ما فى الرهبانيه عند المسيحيين،إذ لم يوجد أساس له فى الدعوه المسيحيه،فأوجدها النصارى و حبّذها جمع فانتهجها (٢).

و يستنتج مما ذكر،أن كلا من مشايخ الطريقه،جعل ما رآه صلاحا من عادات و تقاليد،فى منهج سيره و سلوكه.و أمر متبعيه بذلك،و بمرور الزمن أصبح منهاجا و سعيا مستقلا،مثل مراسم الخضوع و الخشوع،و تلقين الذكر و الخرقه و الاستفاده من الموسيقى و الغناء عند إقامه مراسم الذكر،حتى آل الأمر فى بعض الفرق منها أن تجعل الشريعه فى جانب،و الطريقه فى جانب آخر،و التحق متبعو هذه الطريقه بنهج الباطنيه.أما معايير النظريه الشيعيه،

١- ١) يراجع كتب التراجم و تذكره الأولياء و الطرائق و غيرها.

٢- ٢) قوله تعالى فى سوره الحديد الآيه ٢٧: «وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّهِ....»

فاستنادا إلى المصادر الأساسيه للإسلام(الكتاب و السنه)تقرّ خلاف ذلك،و من المستحيل أن النصوص الدينيه قد تغافلت عن هذه الحقيقه أو أنها أهملت جانبا من جوانب هذا النهج و الطريق (معرفه النفس و السير و السلوك)،و يستحيل عليها أيضا أن تغض النظر عن شخص(أيّ كان)في الواجبات أو المحرمات.

إرشاد الكتاب و السنه إلى معرفه النفس،و مناهجها

إن الله تعالى جلّ شأنه،يأمر الناس في آيات متعدده في كتابه المجيد،أن يتدبّروا القرآن،و يعملوا به،و لا يقنعوا لأنفسهم بالفهم و الإدراك السطحي للقرآن،و بيّن في كثير من آياته أن في عالم الطبيعه آيات و دلالات له جلّ جلاله.

فلو تأملنا و تدبرنا معنى الآيه و الدلاله،يتضح أن الآيه و الدلاله هي التي تشير إلى شيء آخر لا إلى نفسها،فعلى سبيل المثال،إن الذي يرى الضوء الأحمر،المشعر بالخطر.

فإنه مع مشاهدته للضوء،يتبادر إلى ذهنه الخطر ذاته،و لا يلتفت إلى الضوء نفسه،و إذا ما فكر في الضوء نفسه،أو ماهيه الزجاج أو لونه،فذهنه يصوّر له الضوء أو الزجاج أو اللون،و لا يصور له مفهوم الخطر.

فإذا،كان العالم و ظواهره،آيات و دلالات لخالق العالم،فإن وجودهما ليس مستقلا،و لو شوهدت بأيّ شكل أو أيّه صوره، فإنما ترشد إلى وجوده سبحانه.

و الذي ينظر إلى العالم بهذا المنظار،و وفقا لتعاليم القرآن

الکریم و هـدایته،لاـ یری إلّا الله سـبحانه،و بـدلا من أن یری جمال العالم،فإنه یری جمالا أزلیا غیر متناه،و هـذا العالم تجلّ لهـذا الجمال الأزلی عندئذ یهب حیاته،و ینسی ذاته،و یفنی فی حبّ الله جلّ شأنه.

و هذا الإدراک-کما یتّضح-لا یحصل عن طریق الحواس، کالعین و الأذن،و لا عن طریق الخیال و العقل،لأن هذه لم تکن سوی آیات و دلالات،فهی فی غفله عن هذه الدلاله و الهدایه.

و هذا الطریق،الذی لا بدّ لسالکه أن ینسی کل شیء سوی الله تعالی،عند ما یستمع إلی قوله فی کتابه المجید: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُمْ إِلَی اللّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱).

سیعلم أن الطریق الرئیسـی الـذی ینتهی به إلی الهـدایه الواقعیه و الکـامله،هو طریق النفس الإنسانیه،و المرشـد الحقیقی له،هو الله تعـالی،فقـد کلّفه بمعرفه نفسه،و أن یسـیر فی هـذا السبیل، بترکه للسـبل الأخری لیری الله من هـذه الطریق،فإنه سـیدرک مطلوبه الحقیقی.

و النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم یقول:«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

و یقول أیضا:«اعرفکم بنفسه،أعرفکم بربه».

و أما طریقه السیر و السلوک،و هی طریقه الکثیر من الآیات القرآنیه التی تأمر بذکر الله تعالی،کقوله: فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ (۲)

۱- ۱) سوره المائده الآیه ۱۰۵.

۲- ۲) سوره البقره الآیه ۱۵۲.

و غیرها من الآیات فی الکتاب،و الأقوال فی السنه،فقد جاءت مفصّله،و یختتمها بقوله: لَقَدْ کٰانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ (1).

فهل یمکن أن یتصوّر،أن الإسلام،یعرّف لنا الطریق إلی الله تعالی،و لا یحثّ الناس علی تتبعه،أو یعرّفه و یغفل عن تبیان نهجه،فی حین نجده یقول عزّ من قائل: وَ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ الْکِتٰابَ تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً وَ بُشْریٰ لِلْمُسْلِمِینَ (2).

۱- ۱) سوره الأحزاب الآیه ۲۱.

۲- ۲) سوره النحل الآیه ۸۹.

الفصل الثالث:

اشاره

المعتقدات الإسلاميه من وجهه نظر الشيعه الإماميه

ص :۱۰۹

معرفه الله

ضروره وجود الله تعالی

النظر إلی الکون عن طریق المخلوقات و الواقعیات.

إن أول خطوه یخطوها الإدراک و الشعور لدی الإنسان-و اللذان وجدا منذ وجوده-تبین له حقیقه وجود الخالق و المخلوق،باستثناء أولئک الذین یشکّون فی وجودهم و فی کل شیء،و یعتبرون العالم ظنا و خیالا،إن الإنسان منذ وجوده یلازمه الإدراک و الشعور،یری نفسه و العالم أجمع،فلا یشک بوجوده و لا یشک بأشیاء أخری غیره و هذا الإدراک و الشعور یمکن فیه،و لیس هناک مجال للشک و التردد.

هذه الواقعیه و الوجود الذی یثبته الإنسان أمام السوفسطائیین و المشککین،أمر ثابت لا یعتریه البطلان،و فی الحقیقه أن کلام السوفسطائیین و المشککین الذی ینفی الواقعیه القائمه بحدّ ذاتها، هو کلام باطل،لا یحمل علی الصحه اطلاقا،بل إن العالم و الکون ینطوی علی واقعیه ثابته.

و لکن کل هذه الظواهر التی تنطوی علی واقعیه،و التی نشاهدها عیانا،تفقد واقعیتها و تصیر إلی الفناء،خلال أدوار حیاتها.

و من هنا یتّضح أن العالم المشهود و أجزاءه،لم تکن عین الواقعیه(و التی لا یمکن إنکارها)،بل تعتمد و تستند إلی واقعیه

ثابته،و بتلك الواقعيه،تتصف بالواقعيه،و تتصف بالوجود،و ما دامت مرتبطه و متصله بها،فهی موجوده و باقیه،و ما إن تنقطع عنها حتی تزول و تفنی (۱)،و نحن نسمّی هذه الواقعیه الثابته التی لا یعتریها البطلان ب(واجب الوجود)أو الله سبحانه.

.نظره أخرى عن طريق ارتباط الإنسان بالعالم.

إن الأسلوب الذی اتبع فی الفصل السابق،لإثبات وجود الله تعالی أسلوب بسیط،یستطیع الإنسان أن ینتهج هذا الأسلوب بفطرته التی أودعه الله إیاها،و لیس هناک أیّ رادع أو مانع یمنعه من ذلک،و لکن معظم الناس،نتیجه ارتباطهم المستمر بالمادیات، و تفانیهم فی اللذائذ المحسوسه،یصعب علیهم الرجوع إلی الفطره،و هی الفطره الإلهیه البیّنه.

فعلی هذا یعلن الإسلام أن شریعته عامه،و الکل سواسیه أمام الدین و مقاصده،فهو یثبت وجود الله تعالی لهؤلاء الناس من طریق و أسلوب آخر،و هو الفطره الواضحه،و التی غفل عنها البشر،فیخاطب البشر بها،و یعرّف الله جلّ شأنه عن طریقها.

فالقرآن الکریم،یتخذ طرقا لإیصال البشر کافه إلی معرفه الله،فهو یلفت الأنظار،و یوجه الأفکار غالبا إلی خلقه العالم، و النظام و التنسیق القائم فیه،و یدعو إلی ملاحظه و دراسه الآفاق و الأنفس،ذلک لأن الإنسان فی حیاته المحدوده،لا یتخلف و لا

---

۱ - ۱) و فی کتابه العزیز إشاره إلی هذا البرهان بقوله تعالی «قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِی اللّهِ شَکٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» سوره إبراهیم الآیه ۱۰.

يخرج عن الطبيعه و النظام الحاكم فيها مهما سلك من سبل،و لن يغض النظر-بما أوتى من شعور و إدراك-عن المشاهد الخلابه، سواء فى الأرض أو فى السماء.

إن عالم الوجود (۱)بما يتصف من سعه فإن كل جزء منه،بل و جميع أجزائه معرّضه للتغيير و التبديل المستمرين،و تظهر فى كل لحظه بشكل جديد غير سابقتها

و وفقا للقوانين التى لاـ تقبل الاستثناء،فإن هذا العالم بأسره، ينطوى على نظام واضح بيّن،يجرى وفقا لقوانين مدهشه و محيّره للعقول،تسيّر عمله من أدنى حاله إلى أكملها،كى توصله إلى الهدف الاسمى و هو الكمال.

و فوق الأنظمه الخاصه،توجد أنظمه أعمّ،و هى النظام العام للكون،الذى يربط أجزاءه العديده التى لا تحصى بعضها ببعض، و يوفق بين الأنظمه الجزئيه،و يربط بعضها بالبعض الآخر،فهى فى سيرها المستمر لن تتصف بالاستثناء أو الاختلال.

فنظام الخلقه مثلا عند ما أوجد الإنسان على سطح الأرض، فقد جعل خلقته تتناسب مع المحيط الذى يعيش فيه،و جعل المحيط بشكل يتناسب و ذلك المخلوق،كالمربّيه العطوف التى تربى النشأ بكل عطف و حنان،فالعالم بما فيه من شمس و قمر و نجوم و ماء و تراب و ليل و نهار،و الفصول السنويّه،و السحب و الرياح

---

۱ – ۱) يقول جلّ ثناؤه إِنَّ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ لَآيٰاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ* وَ فِى خَلْقِكُمْ وَ مٰا يَبُثُّ مِنْ دٰابَّهٍ آيٰاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَ اخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ،وَ مٰا أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيٰا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا وَ تَصْرِيفِ الرِّيٰاحِ آيٰاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* تِلْكَ آيٰاتُ اللّهِ نَتْلُوهٰا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّهِ وَ آيٰاتِهِ يُؤْمِنُونَ سوره الجاثيه الآيه(۳-۶).

و الأمطار،و الكنوز التی تحت الأرض و فوقها،و بالتالی کل ما تملک من قوه،سخّرت لراحه الإنسان و سعادته،و إننا نلاحظ هذا الارتباط و التعاون فی کل مظهر من مظاهر الطبیعه،و فی کل ما یجاورنا من قریب أو بعید،و حتی فی البیت الذی نعیش فیه.

و مثل هذا الاتصال و الارتباط قائم فی جمیع أجزاء الأجهزه الداخلیه لکل مظهر من مظاهر هذا العالم،فالطبیعه لمّا منحت الإنسان الخبز مثلا،منحته الرجلین للسعی إلیه،و الیدین لتناوله، و الفم لأکله،و الأسنان لمضغه،و ربطته بسلسله من الوسائل المرتبطه بعضها بالبعض الآخر کالسلاسل،و التی ترتبط بالهدف الغائی و هو البقاء و الکمال لهذا المخلوق.

و لم یشک أحد من علماء العالم أن الارتباطات اللامتناهیه، و التی توصلوا إلیها اثر الدراسات العلمیه لآلاف السنین،ما هی إلا طلیعه و بدایه مختصره لأسرار الخلقه،و کل کشف جدید، بمثابه إنذار للبشریه عن مجهولات لا حصر لها.

و هل یمکن القول بأن هذا الکون الرحب،مع استقلال أجزائه، یمتاز بوحده و اتصال و مع ما فیه من اتقان مدهش،لا یدلّ علی علم و قدره غیر متناهیه.و هل یمکن القول بأنه وجد دون خالق، و لم یکن هناک سبب أو هدف من إیجاده؟

و هل یمکن التصدیق بأن کل هذه الأنظمه سواء الجزئیه منها أو الکلیه،و کذا النظام العام القائم فی الکون،مع ما یتصف به من ارتباط محکم غیر متناه.

و الذی یسیر وفق نظام دقیق خاص،لا یقبل التغییر

و الاستثناء،كل هذا قد جاء دون حساب،و إنما مجرد المصادفه هى التى لعبت دورها فى خلقه و إيجاده؟أم أنّ كلا من هذه الظواهر سواء الصغيره منها أو الكبيره فى العالم،قد اتخذت لها نهجا قبل حدوثها و خلقتها،و بعد أن وجدت سلكت ذلك السبيل و النهج؟

أم أن هذا الكون مع وحدته الكامله الشامله،و الاتصال و الارتباط القائم فيما بينها،فهو لا يعدو مجموعه واحده متكامله، قد أنشئت و خلقت نتيجه لعوامل متعدده مختلفه،و يسير وفقا لقوانين متباينه؟

من الطبيعى أن الشخص الذى يرجع كل ظاهره لمسبب و كل معلول لعله،فإنه عند مشاهده عده أحجار بصوره منتظمه و منسقه،ينسبها مباشره إلى علم و قدره قامت بصنعها،و بذلك ينفى المصادفه مطلقا،و يحكم بوجود تخطيط هادف،و لا يدّعى أن المصادفه هى التى أوجدت هذا النظام و التنسيق.

لذا فإن الكون،بما فيه من أنظمه مهيمنه،مخلوقه لخالق عظيم،هو الذى أوجدها بعلمه و قدرته غير المتناهيه،و يسيّرها إلى الغايه.و ما العوامل البسيطه التى تنشئ الحوادث البسيطه، فى العالم إلاّ منتهيه إليه،فهى تحت قدرته و هيمنته و تسخيره، و كل ما فى الكون محتاج إليه،و هو غير محتاج لأحد أو لشىء،و لم يكن معلولا لعله،و لا سببا لمسبب.

وحدانيه الله تعالى

كل واقعيه من واقعيات العالم،تعتبر واقعيه محدوده،أى أنها تتمتع بالوجود على«فرض وجود السبب و الشرط»،و تعتبر أيضا وفقا لغرض عدم السبب و الشرط»عدما،و لحقيقه وجودها حدّ محدود،إذ لا توجد خارج ذلك الحدّ،فالله جلّ شأنه هو المنزّه عن الحدّ و المحدوديه لأن واقعيته مطلقه،فهو موجود بأىّ تقدير،و لم يكن محتاجا لأىّ سبب و شرط و لا مرتبطا بأيّه عله.

و لا يسعنا أن نفترض عددا لأمر غير محدود و غير متناه،فإذا ما افترض ثان،فإنه غير الأول،و فى النتيجه،الاثنان محدودان متناهيان.

و سيضع كل منهما حدا فاصلا للآخر،فلو افترضنا على سبيل المثال حجما غير محدود و غير متناه،لا يسعنا افتراض حجم آخر إزاءه،و لو قدّر أن افترضنا هذا فإن الثانى هو الأول،فعلى هذا، فإن الله تعالى أحد لا شريك له (١)...

ص: ۱۱۶

۱- ۱) يروى أن أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام،فقال:يا أمير المؤمنين أ تقول إن الله واحد،فحمل الناس عليه و قالوا:أ ما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب،فقال أمير المؤمنين عليه السلام:دعوه فإن الذى يريده الأعرابى هو الذى نريده من القوم،ثم قال:يا أعرابى إن القول فى أن الله واحد على أربعه أقسام،فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ و جل،و وجهان يثبتان فيه،فأما اللذان لا يجوزان عليه،فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز،لأن ما لا ثانى له يدخل فى باب الأعداد،أ ما ترى أنه كفر من قال إنه ثالث ثلاثه،و قول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع و الجنس فهذا ما لا يجوز،-

الذات و الصفات

اشاره

لو نظرنا إلی الإنسان مثلا من زاویه العقل،سنری له ذاتا، و هذه الذّات هی عین إنسانیته الخاصه به،و یمتاز بصفات أیضا، و هذه الصفات التی تعرّف کنه ذاته،فمثلا أنه ابن لفلان،عالم قادر،طویل،جمیل،أو صفات أخری مغایره.

فبعض هذه الصفات،کالأولی،لا تنفصل عن الذّات،و بعضها الآخر،کالعلم مثلا،یمکن أن تنفصل عن الذّات أو تتغیر،و علی أیه حال،فإن کلا من هذه الصفات،لیست بالذّات،کما أن کلّ واحده منها غیر الأخری.

و هذا الموضوع(الذّات مغایره للصّفات،و الصّفات تختلف فیما بینها)خیر دلیل علی أن الذّات التی تتصف بصفه،و الصفه التی تعیّن و تعرّف الذّات،کلاهما محدودتان و متناهیتان،لأن الذّات إذا کانت غیر محدوده و غیر متناهیه،لکانت تشمل الصفات و کذا الصفات کانت کل واحده منها تشتمل علی الأخری،فتصبح فی النتیجه کلها شیئا واحدا،فمثلا لو کانت الذّات الإنسانیه هذه

(۱)

-لأنه تشبیه و جلّ ربنا تعالی عن ذلک.و أما الوجهان اللذان یثبتان فیه فقول القائل هو واحد لیس له فی الأشیاء شبه،کذلک ربنا،و قول القائل إنه عزّ و جلّ أحدیّ المعنی یعنی به أنه لا ینقسم فی وجود و لا عقل و لا و هم کذلک ربنا عزّ و جلّ.بحار الأنوار ج ۲:۶۵. و یقول الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:معرفته(الله)عین ذاته،أی أن إثبات وجود الله تعالی،و هو وجود غیر متناه و غیر محدود،کاف فی إثبات وحدانیه،لأن الثانی لا یتصور لغیر المتناهی.

تنحصر فی القدره،و کانت القدره و العلم و کذا طول القامه، و الجمال کل واحده منها عین الأخری،لکانت کل هذه المفاهیم لا تعدو المفهوم الواحد.

فیتّضح مما سبق بأنه لا یمکن إثبات صفه(بالمعنی السابق) لذات الله عز و جل،لأن الصفه لا تتحقق من غیر تحدید لها، و ذاته المقدسه منزّهه من أیّ تحدید(حتی من هذا التنزیه الذی یعتبر فی الحقیقه اثبات صفه له).

معانی صفات الله تعالی

نعلم أنّ فی العالم الکثیر من الکمالات التی تظهر بشکل صفات،فهذه الصفات المثبته متی ما ظهرت فی شیء،تسعی فی تکامل المتّصف،و تمنحه قیمه أکثر،کما یتّضح ذلک من مقارنه جسم حیّ کالإنسان مع جسم غیر حیّ کالحجر.

مما لا شک فیه أن هذه الکمالات قد منحها الله تعالی،و لو کان مفتقدا لها لما منحها لأن فاقد الشیء لا یعطیه،و لما جعلها تتدرج فی طریق الکمال،فعلی هذا یجب أن یقال،و وفقا لحکم العقل السلیم،أن الخالق،یتّصف بالعلم و القدره و کل کمال حقیقی.

و فضلا عن هذا،فإن آثار العلم و القدره و بالتالی آثار الحیاه واضحه فی نظام الخلقه.

و بما أن ذات الله غیر محدوده و غیر متناهیه،فالکمالات هذه أن اعتبرت صفات له،فإنها فی الحقیقه عین ذاته،و کذا کل

واحده منها هی عین الأخری (۱)،و أما الاختلاف الذی یشاهد بین الذّات و الصّفات،و بین الصّفات نفسها فتنحصر فی المفهوم،و فی الحقیقه لیس هناک سوی مبدأ واحد غیر قابل للانقسام.

فالإسلام یلزم متبعیه کی لا یقعوا فی مثل هذا الاشتباه (المحدودیه بالتوصیف،أو نفی أصل الکمال)و یضعهم بین النفی و الإثبات (۲)و یأمرهم بهذا الاعتقاد،فالله عالم لا کعلم غیره،و له القدره،و لیست کقدره الآخرین،فهو یسمع لا بإذن،و یری لا بعین، و هکذا...

مزید من التوضیح فی معانی الصفات

الصفات نوعان:صفات کمال و صفات نقص.فالصفات الکمالیه-کما أشرنا إلیها-معان إثباتیه،تمنح المتصف بها قیمه وجودیه أکثر،و آثارا وجودیّه أوسع،و یتّضح ذلک من مقارنه موجود حیّ عالم قادر،مع موجود آخر غیر حیّ،غیر عالم و غیر قادر، و أما صفات النّقص،فهی صفات تغایرها.

۱- ۱) عن الإمام الصادق علیه السّلام أنه قال:لم یزل الله جلّ و عزّ ربنا و العلم ذاته و لا معلوم و السمع ذاته و لا مسموع و البصر ذاته و لا مبصر و القدره ذاته و لا مقدور.البحار ج ۲: ۱۵۲.

۲- ۲) عن أبی جعفر و أبی عبد الله علیهما السلام:إن الله نور لا ظلمه فیه و علم لا جهل فیه،و حیاه لا موت فیه.البحار ج ۲:۱۲۹. و قد سئل الإمام الرضا علیه السلام عن التوحید فقال:...إن للناس فی التوحید ثلاثه مراتب،إثبات بتشبیه و مذهب النفی و مذهب إثبات بلا تشبیه،فمذهب الإثبات بتشبیه لا یجوز،و مذهب النفی.لا یجوز،و الطریق فی المذهب الثالث إثبات بلا تشبیه.البحار ج ۲:۹۴.

عنـد مـا نمعن النظر فی صـفات النقص،نجـدها بحسب المعنی منفیه.تفتقر إلی الکمـال،و إلی نوع من قیم الوجود،مثـل:الجهـل و العجز و القبح و السّقم و أمثالها.

و حسب ما تقدم أن نفی صفات النقص تعنی صفات الکمال، کما أن نفی الجهل یعنی العلم،و نفی العجز یعنی القدره،و من هنا نجد القرآن الکریم یثبت کل صفه کمالیه لله تعالی بشکل مباشر، و ینفی کل صفه نقص عنه،

کما فی قوله تعالی: وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْقَدِیرُ؛ و هُوَ الْحَیُّ؛ لاٰ تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لاٰ نَوْمٌ؛ وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللّٰهِ .

و ممـا تجـدر ملاـحظته أن الله تعـالی واقعیّه مطلقه،فلیس له حـدّ و نهـایه،فعلی هـذا (۱)فـإن أیّه صـفه کمـالیه تطلق علیه،لا تعنی المحدودیه،فإنه لیس بماده و جسم و لا یحدّد بزمان أو مکان، و منزه من کل صـفه حالیه حادثه،و کل صفه تثبت له حقیقه فهی بعیده عن المحدودیه و هو القائل: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ (۲).

صفات الفعل

فالصّفات(فضلا عما سبق)تنقسم انقساما آخر،و هی صفات الذّات و صفات الفعل.

۱- ۱) یقول الإمام جعفر الصادق علیه السّـلام:لا یوصل الله تعالی بزمان أو مکان و لا حرکه و لا انتقال و لا سـکون،بل هو خالق الزمان و المکان و الحرکه و السکون و الانتقال.البحار ج ۲:۹۶.

۲- ۲) سوره الشوری الآیه ۱۱.

فالصفه أحيانا تكون قائمه بالموصوف،مثل الحياه و العلم و القدره،فتتحقق هذه فی الإنسان الحیّ القادر،و نری تاره أنه لا يتحقق بالموصوف فحسب،فإذا أراد الموصوف أن يتصف بصفه لا بد من تحقق شیء آخر،مثل الكتابه،الخطابه،الطلب،و نظائرها، لأن الإنسان إنما يستطيع الكتابه عند ما يتوفر لديه القلم و الدواه و الورق مثلا،و يستطيع أن يكون خطيبا عند حضور المستمع، و يستطيع أن يكون طالبا عند ما يتوفر المطلوب،و لا يكفی أن نفترض للإنسان تحقق هذه الصفات.

من هنا يتضح أن الصفات الحقيقيه لله تعالی(كما سبقت الإشاره إليها عين الذات)هی من النوع الأول و أما النوع الثانی، و الذی يستلزم تحققه لشیء آخر،فإن كل شیء غيره مخلوق له، و يأتی بعده فی مرحله الوجود،و كل صفه يوجدها مع وجوده،لا يمكن أن تعتبر صفه لذاته أو عين ذاته تعالی.

فالصّفات التی يتصف بها تعالی عند تحقق الخلقه،هی الخالقيه،الربانيه،و الإحياء،و الإماته،و الرازقيه،و أمثالها،لم تكن عين ذاته،بل زائده علی الذات و صفات للفعل.

و المقصود من صفات الفعل هو أن تتخذ معنی الصفه من الفعل لا من الذات،مثل الخالقيه،أی يتصف بهذه الصفه بعد تحقق الخلقه للمخلوقات،فهو قائم منذ قيامها(أی موجود منذ وجودها)،و لا علاقه لها بذاته تعالی،كی تتغير من حال إلی حال عند تحقق الصفه.

تعتبر الشيعه صفتی الإراده و الكلام،(الإراده بمعنی الطلب،

و الکلام بمعنی الکشف اللفظی عن المعنی)من صفات الفعل (۱)و الغالبیه من أهل السنه یعتبرونها بمعنی العلم،و صفات لذاته تعالی.

القضاء و القدر

إن قانون العلیه سار فی الکون،و مهیمن،بحیث أنه لا یقبل الاستثناء،و وفقا لهذا القانون کل مظهر من مظاهر هذا العالم، یرتبط بعلل عند وجودها،و هی الأسباب و الشروط اللازمه لتحققها،و مع توفر کل تلک الشروط(و التی تدعی بالعله التامه) یتحتم وجود تلک الظاهره(المعلول المفروض).و لو فرضنا عدم تحقق تلک الأسباب کلها أو بعضها،فإنه یستحیل تحقق وجود تلک الظاهره.

عند الإمعان فی هذه النظریه،یتّضح لنا موضوعان:

الأول: لو قدّر أن نقارن بین ظاهره«المعلول»مع العله تامه بأجمعها،و کذلک مع الأجزاء لتلک العله التامه،تکون النسبه بینها و بین العله التامه،نسبه الضروره(الجبر)و لکانت النسبه بینها و بین کل من أجزاء العله التامه(و التی تعتبر علّه ناقصه)نسبه الإمکان،لأن جزء العله بالنسبه إلی المعلول یعطی إمکان التحقق و الوجود،و لا یعطی ضروره الوجود.

۱- ۱) قال أبو عبد الله علیه السّلام:لم یزل الله جل اسمه عالما بذاته و لا معلول و لم یزل قادرا بذاته و لا مقدور،قلت جعلت فداک،فلم یزل متکلما،قال الکلام محدث کان الله عزّ و جلّ و لیس بمتکلم ثم أحدث الکلام».البحار ج ۲:۱۴۷. قال الرضا علیه السّلام:«الإراده من المخلوق الضمیر و ما یبدو له بعد ذلک من الفعل و أما من الله عزّ و جلّ فإرادته أحداثه لا غیر ذلک لأنه لا یروی و لا یهمّ و لا یتفکر».البحار ج ۲:۱۴۴.

على هـذا فـالكون و جزء من أجزائه يسـتلزم عله تـامه فى تحقق وجوده،و الضـروره مهيمنه عليهـا بأسـرها،و قـد نظّم هيكلهـا من مجمـوعه حـوادث ضـروريه و قطعيه،فمـع هـذا الوضـع،فـإن صـفه الإمكـان فى أجزائهـا(الظواهر الـتى ترتبـط مع غير العله التـامه لها)محفوظه.

فـالقرآن الكريم فى بيـانه يسـمى هـذا الحكم الضـرورى بالقضاء الإلهى،لأن الضـروره هـذه تتبع من وجود الخالق،و لهـذا يكون حكما و قضاء عادلا حتميا غير قابل للتخلف،إذ لا يقبل الاستثناء أو التبعيض.

يقول جلّ شأنه: أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ (١).

و يقول سبحانه و تعالى: وَ إِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢).

و يقول سبحانه و تعالى: وَ اللّٰهُ يَحْكُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ (٣).

الثـانى: إن كلاـ من أجزاء العله،لهـا مقـدارها الخـاص تمنحه إلى المعلول،و تحقق المعلول و ظهوره يطابق مجموع المقادير التى تعيّنهـا العله التـامه،فمثلاـ العلـل التى تحقق التنفس للإنسـان،لاـ تحقق التنفس المطلق،بـل يتنفس الإنسان مقـدارا معينا من الهواء المجـاور لفمه و أنفه و فى زمـان و مكان معينين،و وفق طريقه معينه،و يتم ذلك عن طريق مجرى التنفس،حيث يصل الهواء إلى الرئتين،و هكذا

١- ١) سوره الأعراف الآيه ٥۴.

٢- ٢) سوره البقره الآيه ١١٧.

٣- ٣) سوره الرعد الآيه ۴١.

الرؤیه و الإبصار،فإن العلل الموجوده لها فی الإنسان(و الذی هو جزء منها)لم تحقق إبصارا من دون قید أو شرط،بل تحقق إبصارا معینا من کل جهه،بواسطه الوسائل اللازمه له،و هذه الحقیقه ساریه فی کل ظواهر الطبیعه،و الحوادث التی تتفق فیها لا تتخلف.

و القرآن الکریم یسمّی هذه الحقیقه ب«القدر»و ینسبها إلی خالق الکون و مصدر الوجود،بقوله تعالی: إِنّٰا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ (۱).

و یقول: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲).

و کما أن کل ظاهره و حادثه فی نظم الخلقه تعتبر ضروریه الوجود وفقا للقضاء الإلهی،و یتحتم وجودها،فکذلک وفقا للقدر فإن کل ظاهره أو حادثه عند تحققها لا تتخلف عن المقدار المعیّن لها من قبل الله تعالی.

الإنسان و الاختیار

کل ما یقوم به الإنسان من فعل،یعتبر ظاهره من ظواهر عالم الخلقه،و یرتبط تحققه کسائر الظواهر بالعله ارتباطا کاملا،و بما أن الإنسان هو جزء من عالم الخلقه،و یرتبط مع سائر الأجزاء الأخری من العالم،فإنها بدورها تؤثر فی أفعال الإنسان.

۱- ۱) سوره القمر الآیه ۴۹.

۲- ۲) سوره الحجر الآیه ۲۱،قال أبو عبد الله علیه السّلام:إن الله إذا أراد شیئا قدّره و إذا قضاه أمضاه.البحار ج ۳:۳۵.

و على سبيل المثال،فإن قطعه الخبز التى يريد الإنسان تناولها، فإنه يستلزم وجود الوسائل كاليد و الفم و العلم و القدره و الإراده، و أيضا وجود الخبز فى الخارج،و عدم وجود أى مانع يمنع من الوصول إليه،و شروط أخرى من زمان أو مكان.و مع فقدان إحداها يتعذّر تحقق الفعل،و مع تحقق كل تلك العوامل(تحقق العله التامه)فإن تحقّق الفعل ضرورى.

و كما أشرنا آنفا،فإن ضروره الفعل بالنسبه إلى مجموع أجزاء العله التامه تعتبر نسبه إمكان،و لا يتنافى مع نسبه الفعل إلى الإنسان الذى هو أحد أجزاء العله التامه.

إن الإنسان له اختيار الفعل،و ضروره نسبه الفعل إلى مجموع أجزاء العله،لا يستلزم الضروره بالنسبه إلى فعل بعض من أجزائها و هو الإنسان.

و الإدراك البسيط للإنسان يؤيد هذا القول،فإننا نراه يميّز بحكم الفطره الإلهيه المودّعه لديه،يميّز بين الأكل و الشرب، و الذهاب و الإياب،و بين الصحه و السقم،و الكبير و الصغير، و القسم الأول الذى يرتبط بإراده الإنسان ارتباطا مباشرا،يعتبر من إراده الشخص،فيحاسب فى مواضع الأمر و النهى و المدح و الذم،خلافا للقسم الثانى،الذى يترتب فيه تكليف على الإنسان.

و قد وجد فى صدر الإسلام،بين أهل السنه،مذهبان معروفان بالنسبه إلى أفعال الإنسان،ففريق كان يرى أن أفعال الإنسان متعلقه بإراده الله تعالى لا تخلّف فيها،فكان يدّعى أن الإنسان مجبور فى أفعاله،و لا أثر لما يمتاز به من اختيار و إراده،و الفريق

الآخر،کان یدّعی أن الإنسان مستقل فی أفعاله،و لیس له ارتباط بإراده الله سبحانه،و یعتبرونه خارجا عن حکم القدر.

و مما یروی عن أهل البیت علیهم السّلام،و هو مطابق مع ظاهر تعالیم القرآن،إن الإنسان مختار فی أفعاله،لیس بمستقل،إذ أن الله تعالی قد أراد الفعل عن طریق الاختیار،و هذا ما عبرنا عنه سابقا،بأن الله سبحانه،أراد الفعل عن طریق مجموع أجزاء العله التامه،و التی إحداها إراده الإنسان،و أصبحت ضروره،و فی النتیجه،أن مثل هذا الفعل الذی یرتبط بإراده الله تعالی ضروری، و الإنسان أیضا مختار فیه،أی أن الفعل یعتبر ضروریا بالنسبه إلی مجموع أجزاء علته،و لکنه اختیار و ممکن بالنسبه إلی أحد أجزائه و هو الإنسان.

و الإمام الصادق علیه السّلام یقول:«لا جبر و لا تفویض بل أمر بین أمرین» (1).

۱- ۱) عن أبی جعفر أبی عبد الله علیه السّلام:قال:إن الله عزّ و جلّ أرحم بخلقه من أن یجبر خلقه علی الذنوب ثم یعذّبهم علیها،و الله أعزّ من أن یرید أمرا فلا یکون.البحار ج ۳:۱۵. عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:الله أکرم من أن یکلّف الناس ما لا یطیقون و الله أعزّ من أن یکون فی سلطانه ما لا یرید.البحار ج ۳:۱۵.

نحو الهدف الهدایه العامه

تبدأ حبه الحنطه بالنمو عند توفر العوامل المساعده لها،فبعد أن توضع فی التربه،و بمرور الزمن تتحول من حاله إلی أخری، و فی کل لحظه تتخذ حاله و شکلا غیر ما کانت علیها قبل لحظات،و تسلک طریقا وفقا لنظام خاص،حتی تزداد نموا، فتصبح سنبله،و إذا ما سقطت حبه قمح علی الأرض،سلکت الطریق ذاته،و إذا ما سقطت بذره فاکهه علی الأرض،تبتدئ بالحرکه و النمو فیخترق الغشاء نتوء أخضر،و یسلک طریقا خاصا منتظما،حتی یزداد فی نموه و یصبح شجره مثمره.

و إذا ما استقرت نطفه حیوان فی بیضه أو فی رحم أمّ،تشرع بالنمو و التکامل،و تسلک سلوکا،تختصّ به تلک النطفه،حتی تصل إلی فرد کامل من ذلک النوع.

إنّ هذا السلوک الخاص و المنتظم یشاهد فی کل من أنواع الکائنات الحیّه فی العالم،و یعتبر من ممیزاتها و فطرتها الخاصه، و لن تجد فی الحیاه نقیضا لهذه السنّه،أی یستحیل أن تتبدل حبه قمح إلی حیوان،و نطفه حیوان إلی شجره.و إذا ما حدث تغییر فی تکوین حیوان أو نبات بأن نقص منها عضو أو جزء فإن السبب فی ذلک یعود إلی مرض أو ما شابه.

إن النظام القائم و المستمر فی الکون،و خلقه الأجسام المتنوعه،

و اختصـاص كـل نوع منهـا فى سـلوك خـاص،نحو التطور و التكامـل، يحتاج إلى نظام خاصّ به،لا ينكره أىّ محقق متتبع،و من هذه النظريه البيّنه نستنتج موضوعين:

١- أنه فى جميع المراحل التى يطويها نوع من أنواع الكائنات الحيه فى العالم،هناك اتصال و ارتباط قائم بينها،و كأنّ هناك قوه تسيّرها هذا المسير الخاص فى كل مراحلها التطوريه.

٢- إن هـذا الاتصال و الارتباط يهـدف فى مرحلته الأخيره إلى تكوين بنى نوعه،فكما أن البـذره عنـد ما توضع فى التربه تهدف فى طريقهـا منـذ مراحلها الأولى إلى أن تنشأ شـجره،و كـذا النطفه فى رحم الأمّ،تهـدف من مراحلها الأوليه إلى أن تكون حيوانا متكاملا، و للوصول إلى التكامل نراها تسلك نهجا خاصا فى حياتها.

و القرآن العظيم فى تعليماته يؤيـد هـذه الحركه و هـذا الانـدفاع، كما أن أنواع الكائنات الحيه فى العالم تهتدى بهدى الله تعالى فى طريق تكاملها و كمالها،و يستدل بآيات من الذكر الحكيم فى هذا الشأن كما فى قوله تعالى:

قَالَ رَبُّنَا الَّذِی أَعْطیٰ كُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ

(١)

.

و فى سوره الأعلى،الآيه ٢ و ٣ يقول جلّ ذكره: اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّیٰ* وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدیٰ .

و كذا يشير إلى النتائج التى ذكرت آنفا فى سوره البقره الآيه ١۴٨:يقول جلّ شأنه:

وَ لِكُلٍّ وِجْهَهٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا .

١- ١) سوره طه الآيه ۵٠.

و يقول جلّ من قائل فی سوره الدخان الآیه ٣٨ و ٣٩: وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ* مٰا خَلَقْنٰاهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ .

الهدایه الخاصه

بدیهی أن النوع الإنسانی لا یستثنی عن هذه الهدایه التکوینیه التی تهیمن علی جمیع الکائنات فی العالم،فهی تسیطر علی الإنسان أیضا،و بما أن کلّ کائن یطوی فی طریقه نحو التکامل بما لدیه من قدره و قابلیه،فکذلک الإنسان یساق نحو الکمال الواقعی بواسطه الهدایه التکوینیه.

قد یشترک الإنسان فی کثیر من صفاته و ممیزاته مع سائر أنواع الکائنات الحیّه من حیوان أو نبات،لکنه یتمیّز بخصائص خاصه به،تجعله یمتاز عن غیره،و أهمها العقل.

فالعقل یدعو الإنسان إلی التفکّر و التدبّر،و الانتفاع من کل وسیله ممکنه،لتحقیق أهدافه و أغراضه،فهو یعرج إلی السماء حینا،فیسیر فی الفضاء اللامتناهی،و یغوص فی أعماق البحار أحیانا،و یدأب فی الاستفاده من أنواع الحیوان و النبات و الجماد علی ظهر البسیطه،و قد یتجاوز هذا الحدّ بأن یتجه إلی استغلال بنی نوعه.

و الإنسان حسب طبعه الأولی،یری حریته المطلقه فی سعادته و کماله،و بما أن وجوده وجود اجتماعی،و متطلباته فی الحیاه متعدده،بحیث لا یمکن أن ینالها لوحده،بل بالتعاون مع أبناء

نوعه الذين يتصفون بالغرائز ذاتها،بما فيها حبّ الذّات و الحريه.

فتفرض عليه طبيعه المجتمع أن يضحّى بقسط من حريته فى هذا السبيل مقابل المنافع التى يحصل عليها من الآخرين،فهو يقدم خدمه،و ينتفع بما يقدمه الآخرون من خدمات،أى أنه يتقبل، رغما عنه،الحياه الاجتماعيه التى تتصف بالتعاون.

و هذه الحقيقه تظهر جليّه لدى الأطفال و الفتيان،إذ هم فى البدايه،يحققون ما تصبو إليه نفوسهم بالرفض تاره و البكاء تاره أخرى.فيرفضون كل قانون أو عاده أو ما شاكل ذلك،و لكن مع مرور الوقت،و حسب تطورهم الفكرى يدركون أن الحياه لا تتلاءم مع الرفض و الطغيان،فيمارسون ما يمارسه الفرد فى المجتمع بشكل تدريجى،حتى يصلوا إلى ما يصل إليه الفرد فى مجتمعه، من اتّباع العادات و السنن و القانون،فهم بعد نضوجهم يألفون المجتمع.

و الإنسان بعد تقبله الحياه الاجتماعيه التى قوامها التعاون، يرى ضروره القانون الحاكم على الحياه،و هو الذى يعيّن واجبات كل فرد من أفراد المجتمع،و يضع الجزاء لكل من يخالف القانون، فإذا عمّ القانون و ساد المجتمع،عندئذ ينال كل فرد من أفراد المجتمع السعاده المطلوبه،التى طالما تمناها.

هذا القانون هو القانون العملى الذى ما برح البشر منذ نشأتهم و إلى يومنا هذا يرجونه و يرغبون فى الوصول إليه،و طالما كانوا يستلهمون منه أهدافهم و أغراضهم،و يسعون لتحقيقها،

و من الطبیعی أنه إذا کان الأمر یستحیل تحققه علی البشریه،و لم یکن مفروضا علیها،لما کانت تهدف إلیه دوما (۱).

و الله جل شأنه یشیر إلی حقیقه المجتمع البشری بقوله:

نَحْنُ قَسَمْنٰا بَیْنَهُمْ مَعِیشَتَهُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ رَفَعْنٰا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰاتٍ لِیَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِیًّا

(۲)

.

و قد أشار الذکر الحکیم إلی حبّ النفس و الأنانیّه بقوله تعالی:

إِنَّ الْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَ إِذٰا مَسَّهُ الْخَیْرُ مَنُوعاً

(۳)

.

العقل و القانون

لو تأملنا جیدا،لرأینا أن القانون الذی ما برح البشر ینتظرونه، و یطلبونه مع ما لدیهم من إدراک فطری إلهی،و إدراک للزوم إجرائه کی یضمن لهم سعادتهم،هو القانون الذی یستطیع أن یسیّر البشریه إلی السعاده دون انحیاز أو تبعیض و أن ینشر بینها الکمال،و یرسی قواعده.و من البدیهی بأن البشریه لم تدرک حتی الآن طوال أجیال متعاقبه مضت من حیاه البشریه،مثل هذا

۱- ۱) ترغب البشریه عاده و حتی الشعوب البدائیه،حسب طبعها فی أن یعیش الجمیع فی جو ملؤه الصلح و الراحه و الاطمئنان.و من الوجهه الفلسفیه،فإن الطلب و المیل و الرغبه ما هی إلا أوصاف و ارتباطات قائمه علی طرفین،کالطالب و المطلوب،و المحبّ و المحبوب و....و واضح أن لم یکن هناک محبوب،فالکلام عن المحبّ عبث. و صفوه القول إن الأمور هذه ترجع إلی إدراک نقص فی الوجود الإنسانی،فإذا تعذر الکمال،لم یکن هناک معنی للنقص.

۲- ۲) سوره الزخرف الآیه ۳۲.

۳- ۳) سوره المعارج الآیه ۱۹-۲۱.

القانون الـذی قوامه العقل،و الذی لو قدّر له أن یخرج إلی حیّز الوجود لفهمته البشـریه فی حیاتها الطویله بما تمتاز به من تعقّل و تدبّر،و لکانت التزمت به فی مجتمعاتها.

و بعباره أوضح،لو کان هناک قانون کامل عام،بحیث یسـتجیب لما تصـبوا إلیه البشریه من سعاده،و یرشدها إلیه من حیث الفطره و التکوین،لأدرکه کل إنسان بما لدیه من إمکانات عقلیه،کما یدرک ما ینفعه أو یضرّه،و لکن مثل هذا القانون لم یتحقق بعد.

و القوانین التی توضع من قبل شـخص حاکم أو أشـخاص،أو جوامع بشریه،نجدها مورد احترام و تصدیق لدی فئه،و مورد رفض و اعتراض لدی آخرین و هناک من اطلع علیها و عرفها،و آخرون لم یطّلعوا.و لن تجد وجه اشتراک فی المجتمعات البشریه-بما أنهم یشترکون فی کونهم بشر،و یتصفون بالفطره الإلهیّه-فی إدراک هذه القوانین.

الشعور المرموز،أو ما یسمی.(الوحی)

و مما تقدم یتّضح،أن القانون الذی یضمن السعاده للبشریه،لا یدرکه العقل،و بمقتضی نظریه الهدایه العامه،التی تری ضروره هذا الإـدراک فی النـوع البشـری،لاـ بـدّ من وجود جهـاز آخر فی النوع الإنسـانی یـدرک ذلـک،کی یرشـده إلی الواجبـات الواقعیه للحیاه،و تکون فی متناول ید الجمیع،و هذا الشـعور و الإدراک هو غیر العقل و الحسّ،إنه ما یسـمی ب«الوحی»و من الطبیعی أن وجود مثل هذه القوه فی البشر لا یتحتّم أن یکون فی جمیع أفراد

البشر،کما هو فی القوه المودعه فی الإنسان للتناسل،فی حین أن إدراک لذه الزواج،و التأهب له،یتحقق فی الأفراد عند بلوغهم، و شعور«الوحی»الذی لا یظهر لدی الأفراد،هو شعور مرموز،کما هو الحال فی إدراک و شعور اللذّه فی الزواج عند من لم یصل إلی سنّ البلوغ،فیبقی هذا الإدراک غیر معروف لدیه.

و الله تعالی یشیر فی خطابه عن(الوحی)بالنسبه إلی الشریعه و عجز العقل،بقوله: إِنّا أَوْحَیْنا إِلَیْکَ کَما أَوْحَیْنا إِلی نُوحٍ وَ النَّبِیِّینَ مِنْ بَعْدِهِ (۱)رُسُلاً مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ لِئَلاّ یَکُونَ لِلنّاسِ عَلَی اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (۲).

الأنبیاء و عصمه النبوه

إنّ ظهور الأنبیاء یؤید نظریه(الوحی)الذی سبق ذکره.إنّ أنبیاء الله تعالی کانوا ممن ادّعوا«الوحی»و النبوه،و فی ادعائهم هذا أقاموا الحجج و البراهین،و بلّغوا الناس ما تحتویه شریعه الله سبحانه،ألا و هو القانون الذی یمنحهم السعاده و جعلوها فی متناول أیدی الجمیع،و لما کان الأنبیاء یمتازون ب«الوحی»و النبوه، فعند ظهورهم فی کل زمن کانوا قله،فجعل الله هدایه الناس علی عاتق هؤلاء،بما أمروا من دعوه و إبلاغ،و ما ذلک إلا لتعمّ و تتم و تکتمل تلک الدعوه.

و من هنا یتضح وجوب عصمه الأنبیاء،فهم مصونون من الخطأ

۱- ۱) سوره النساء آیه ۱۶۳.

۲- ۲) سوره النساء آیه ۱۶۵.

فی تلقی«الوحی»من جانب الله تعالی،و فی حفظه،و إیصاله إلی الناس،فإنهم بعیدون کل البعد عن المعصیه و الخطأ؛لأن تلقی الوحی-کما ذکر-و حفظه و إبلاغه،یشتمل علی الأرکان الثلاثه للهدایه التکوینیه،و لا معنی بأن یکون هناک خطأ فی التکوین.

فضلا عن أن المعصیه و التخلّف عن أداء الدعوه و الإبلاغ،عمل یخالف الدعوه،و یوجب سلب ثقه الناس و اطمئنانهم،بصحه الدعوه و صدقها،و نتیجه لذلک ینتفی الغرض و الهدف الأساسی للدعوه.

و الخالق جلّ شأنه یشیر إلی عصمه الأنبیاء فی کتابه المجید بقوله: وَ اجْتَبَیْنٰاهُمْ وَ هَدَیْنٰاهُمْ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱).

و هو القائل أیضا: عٰالِمُ الْغَیْبِ فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً* إِلاّٰ مَنِ ارْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسٰالاٰتِ رَبِّهِمْ وَ أَحٰاطَ بِمٰا لَدَیْهِمْ وَ أَحْصیٰ کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً (۲).

الأنبیاء و الشرائع السماویه

إن ما حصل علیه الأنبیاء عن طریق(الوحی)و إبلاغه للناس علی سبیل الخبر و الأحکام الإلهیّه هو الدین،و اتخاذهم إیاه نهجا لهم فی سبیل الحیاه و الوظائف و الواجبات الإنسانیه،یضمن لهم السعاده (۳).

ص:۱۳۴

۱- ۱) سوره الأنعام الآیه ۸۷.

۲- ۲) سوره الجن الآیه(۲۶-۲۸).

۳- ۳) یراجع مقدمه الکتاب.

يشتمل التشريع الإلهى بشكل عام على جانبين:الاعتقادى و العملى:فالجانب الاعتقادى يحتوى على مجموعه معتقدات أساسيه،تفرض على الإنسان أن يتخذها أساسا لحياته،و هى الأسس العامه الثلاثه،التوحيد و النبوه و المعاد،و إذا أهملت إحداها لم يتحقق اتّباع الدّين.

و الجانب العملى،يتألف من مجموعه وظائف أخلاقيه عمليه تحتوى على وظائف معيّنه يتقيد بها الإنسان أمام الله تعالى و أمام المجتمعات البشريه.

و من هنا تنقسم الواجبات الفرعيه فى الشرائع السماويه،إلى قسمين:الأخلاق و الأعمال،و كل من هاتين،تنقسم إلى قسمين أيضا.

فأما الأخلاق و الأعمال التى ترتبط بالله الخالق فهى،الخلق و صفه الإيمان و الإخلاص و التسليم و الرضى،و الخشوع،و كذا الصلاه و الصوم و الفديه و غيرها،و هذه المجموعه من الأعمال تسمّى العبادات،و تعبّر عن خشوع الإنسان و عبوديته لربه.

و أما ما يتعلق بالمجتمع من الأخلاق و الأعمال،فهى الصّيفات الحسنه،كحبّ النوع،و المساعده،و العداله،و السخاء و ما يرتبط بآداب المعاشره،و المعامله و غيرها،و هذه الأعمال الخاصه هى ما تسمّى ب«المعاملات».

و من جهه أخرى فإن النوع الإنسانى يتّجه نحو الكمال بصوره تدريجيه،و المجتمع البشرى يتكامل بمرور الزمان،و أن ظهور هذا الشكل من التكامل ضرورى فى الشرائع السماويه،و يؤيد القرآن

الکریم هـذا التکامـل التـدریجی(و یمکن الوصول إلیه عن طریق العقـل)،و ممـا یسـتفاد من آیاته،أن الشـرائع اللاحقه أکمل من الشرائع السابقه،بقوله تعالی: وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ الْکِتابِ وَ مُهَیْمِناً عَلَیْهِ (۱).

و مما تبیّنه النظریات العلمیّه،و یصـرّح به القرآن الکریم،إن حیاه المجتمعات البشریه فی هذا العالم لیست أبدیّه،و من الطبیعی أن التکامـل لبنی نوعهـا لم یکن غیر متنـاه،فمن هـذه الجهه،سـتتوقف جمیع الوظائف الإنسانیه من حیث الاعتقاد و العمل فی مرحله معینه،و تبعا لهذه الحقیقه،فإن النبوه و الشـریعه أیضا یوما ما سـتصل إلی آخر مرحله من مراحل الکمال و الاعتقاد،و بثّ القوانین العلمیه،و بذلک تکون النهایه و الخاتمه لها.

و من هنا نری القرآن الکریم یوضّح هذه الحقیقه و یصرّح بأن الإسلام،هو الدین الذی اختاره لمحمد صلی اللّه علیه و آله و سلم هو آخر الأدیان السماویه و أکملها،و بأن الکتاب العزیز لا ینسخ،و أن النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم هو خاتم الأنبیاء،و الإسـلام یحتوی علی کـافه الوظـائف و الواجبـات،کمـا فی قوله تعـالی: وَ إِنَّهُ لَکِتابٌ عَزِیزٌ* لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ (۲).

و یقول أیضا: ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ (۳).

و قوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ (۴).

۱- ۱) سوره المائده الآیه ۴۸.

۲- ۲) سوره فصلت الآیه ۴۱-۴۲.

۳- ۳) سوره الأحزاب الآیه ۴۰.

۴- ۴) سوره النحل الآیه ۸۹.

الأنبياء و دليل(الوحی)و النبوه

إنّ الکثیر من علماء الیوم الذین حققوا فی موضوع(الوحی) و النبوه،قد فسّروا موضوع(الوحی)و النبوه و الأمور المرتبطه بهما، علی الأسس التی یقوم علیها علم النفس و علم الاجتماع،بقولهم أن الأنبیاء کانوا أناسا أطهارا،ذوی همم عالیه،محبّی البشریه، و لغرض تقدمها و تطورها من الناحیه المادیه و المعنویه،و کذا تزکیه المجتمعات المنحطه خلقیا،نظّموا و وضعوا قوانین خاصه،و دعوا الناس إلیها،و لما کان الناس فی ذلک الوقت لم یخضعوا بعد للمنطق و العقل،فما کان من الأنبیاء إلا أن ینسبوا أفکارهم و أنظمتهم إلی العالم العلوی کی یستطیعوا بذلک أن یجلبوا رضی الناس، و یخضعوهم لقیادتهم.و کان اعتقاد البعض منهم أن روحهم هی روح القدس و ما الفکر الذی یتجلی إلا«الوحی و النبوه»،و ما الوظائف و الواجبات التی تستنتج من ذلک إلاّ(الشریعه السماویّه)،و الکلام الذی یتضمن ذلک کان یسمی«الکتاب السماویّ».

فالذی ینظر بتأمل و إنصاف إلی الکتب السماویه،و خاصه القرآن الکریم،و کذا إلی الشرائع التی جاء بها الأنبیاء،لا یشک فی بطلان هذه النظریه،و ذلک أن الأنبیاء لم یکونوا رجال سیاسه، بل کانوا رجالا یتصفون بالصدق و الصفاء و الخلوص،و کل ما کانوا یدرکونه کانوا یتفوهون به،و کل ما کانوا یقولون به کانوا یعملون به،و ما کانوا یزعمونه هو أن هناک شعورا مرموزا،و إمدادا غیبیا، یفیض علیهم،و أنهم فی هذا الطریق یتلقون الوظائف الاعتقادیه و العلمیه من جانب الله تعالی،لإبلاغ الناس و إرشادهم.

و من هنا يتضح أن ادعاء النبوه يحتاج إلى حجه و دليل،و لا يكفى أن تكون الشريعه التى جاء بها النّبى توافق العقل،فإن صحه الشريعه لها طريق آخر للإثبات،و هو أنه على اتصال بالعلم العلوى(الوحى)و النبوه،و قد أنيطت به هذه المسئوليه من قبل الله تعالى،و هذا الادعاء يحتاج إلى دليل عند إقامته.

لذا نجد أن البسطاء و ذوى الفطره السليمه من الناس(كما يخبرنا به القرآن الكريم)كانوا يطالبون الأنبياء بالمعجزه لصدق دعواهم.

و يستنتج من هذا المنطق أن الوحى الذى يدعيه المرسل،لم يكن ليحصل عند سائر الناس،بل لا بدّ من قوه غيبيّه يودعها الله تعالى فى نبيّه بنحو يخرق به العاده.

و يتّضح أن مطالبه الناس الأنبياء بالمعجزه أمر يوافق المنطق الصحيح،و على الأنبياء لإثبات نبوتهم أن يأتوا بالمعجزه إما ابتداءً أو وفقا لما يطالب به المجتمع.

و القرآن الكريم يؤيد هذا المنطق،و يشير إلى معاجز الأنبياء إما ابتداءً أو بعد مطالبه الناس إياهم.

و تجدر الإشاره إلى أن علل و أسباب الحوادث التى حصلنا عليها حتى الآن كانت بالتجربه و الفحص،و ليس لدينا أى دليل أنها دائميه،و لن تتحقق أيه حادثه أو ظاهره إلاّ بعللها و أسبابها، و أما المعاجز التى تنسب إلى الأنبياء لم تكن مخالفه للعقل أو يستحيل إقامتها،لكنها خرق للعاده فى حين أن موضوع خرق العاده يرى و يسمع من أصحاب الرياضيات الروحيه أيضا.

عدد الأنبياء

مما ينقل فى تاريخ الماضين،أن أنبياء كثر أرسلوا و بعثوا،و يؤيد القرآن الكريم كثره الأنبياء،و يذكر أسماء بعضهم،إلّا أنه لم يصرح بعددهم.

و لم نحصل على عددهم من الروايات بصوره قطعيه،إلا أن الروايه المعروفه و التى تنقل عن«أبى ذر الغفارى»عن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم،يبين فيها أن عدد الأنبياء مائه و أربعه و عشرون ألف نبى.

الأنبياء أولو العزم،حمله الشرائع السماويه

و مما يستفاد من القرآن الكريم،أن الأنبياء كلّهم لم يأتوا بشرائع،بل أن خمسه منهم قد جاءوا بشرائع سماويه،و هم نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم،و هؤلاء هم أولو العزم، و أما سائر الأنبياء فإنهم يتبعون أولى العزم فى شرائعهم.

و قوله تعالى:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِى أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ وَ مٰا وَصَّيْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ...

(1)

.

و يقول تعالى:

وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثٰاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِيثٰاقاً غَلِيظاً

(2)

.

١- ١) سوره الشورى الآيه ١٣.و لو كان هناك غيرهم.لذكرهم تعالى فى الآيه.

٢- ٢) سوره الأحزاب الآيه ٧.

نبوّه محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم

یعتبر نبینا محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم آخر الأنبیاء الذین کانوا یمتازون بالکتب و الشرائع،و قد آمن به المسلمون.

ولد النبی محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم قبل بدء التاریخ الهجری القمری بثلاث و خمسین سنه،فی مدینه«مکه»،فی قبیله«بنی هاشم»من قریش،و هی من أشرف القبائل العربیه.

أبوه«عبد الله»و أمّه«آمنه»و قد فقد أبویه منذ أوائل طفولته، و تکفّله جده لأبیه«عبد المطلب»و سرعان ما وافاه الأجل،حتّی تعهد تربیته عمه«أبو طالب»و أسکنه معه فی داره.

ترعرع و نشأ فی بیت عمّه،و قد صحب عمّه فی سفره تجاریه إلی الشام و ذلک قبل سنّ البلوغ.کان النبی محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم أمیّا،و لکنه بعد البلوغ و الرشد،اشتهر بعقله و أدبه و أمانته،و نتیجه لذلک، جعلته(خدیجه)و التی کانت من أثری القریشیات،مشرفا علی أموالها،و إداره أمورها التجاریه.

سافر محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم للمره الثانیه إلی الشام لغرض التجاره، و بسبب نبوغه فقد نال أرباحا جمّه،و لم تمض فتره،حتی اقترحت خدیجه علیه موضوع الزواج،فوافق محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم علی اقتراحها،و بعد الزواج حیث کان فی سن الخامسه و العشرین و حتی بلوغه سنّ الأربعین،کان یمارس عمله،فحصل علی شهره فی تدبیره و أمانته و لم یکن یعبد صنما،(علما بأن الدین السائد فی ذلک الوقت هو عباده الأصنام)و أحیانا کان یعتکف للعباده.

فاختاره الله للنبوه فی الأربعین من عمره عند ما کان متفرغا

ص:۱۴۰

للعباده فی غار«حراء» (۱)و أمر أن يبلّغ،و نزلت عليه أول سوره من سور القرآن (۲)،و رجع إلی بيته فی اليوم نفسه،فرأی ابن عمه «علیّ بن أبی طالب عليه السّلام»فی الطريق،فعرض عليه الإسلام فآمن به،و بعد دخوله البيت،أسلمت زوجته خديجه.

و النبی الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلم عند بدء دعوته،واجه من الناس مواجهه عنيفه مؤلمه،حتی اضطر إلی كتمان دعوته و جعلها سريه،ثم أمر ثانيه أن يبلّغ دعوته إلی عشيرته الأقربين،و لكنها لم تجد،إذ لم يؤمن به سوی«علیّ بن أبی طالب عليه السّلام» (۳).

و بعد ذلك،أعلن النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم دعوته بأمر من الله تعالی،و ما إن أعلن النبی الدعوه حتی شاهد ردود الفعل من أهل مكه مقرونه بالأذی و التعذيب بالنسبه له و للمسلمين الذين أسلموا حديثا،مما اضطر بعض المسلمين ترك ديارهم اثر حملات الاضطهاد التی كانت تقوم بها قريش،فهاجروا إلی الحبشه،و تحصّن النبی الكريم صلی اللّه عليه و آله و سلم مع عمه«أبو طالب»و أفراد من قبيلته بنی هاشم فی «شعب أبی طالب» (۴)لمده ثلاث سنين،فی غايه من الضغط و الشدّه،فلم يتعامل معهم،و لم يعاشرهم أحد،و لم يستطيعوا فی تلك الفتره الخروج من الشعب.

۱- ۱) غار فی جبال(تهامه)علی مقربه من مكه.

۲- ۲) سوره العلق.

۳- ۳) وفقا لروايات أهل البيت عليه السّلام و لأشعار قالها أبو طالب،تعتقد الشيعه أن أبا طالب أسلم،و بما أنه كان المدافع الوحيد عن النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم كان يكتم إسلامه،كی يحتفظ بقدرته الظاهريه أمام قريش.

۴- ۴) حصار كان فی إحدی وديان«مكه».

و لم يكتف كفار مكه و عبده أصنامها،بالإيذاء و الإهانه و الاستهزاء بل كانوا يلجئون أحيانا إلى الاستماله،و الوعد بالأموال الطائله كى يصرفوا النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم عن دعوته،فقد اقترحوا عليه الرئاسه و السلطان،و لكن وعدهم و وعيدهم كان سيّان عند النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،و كان مما يزيد فى عزمه و إرادته.

و قد اقترحوا عليه مره المال الكثير و الرئاسه،فأجابهم النبى قائلا:«و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى،و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله،أو أهلك فيه».

خرج النبى من«شعب أبى طالب»حوالى السنه العاشره من بعثته و لم يمض زمن حتى توفى عمه أبو طالب،و توفيت زوجته الوفيه أيضا.

فلم يكن للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلم ملجأ،مما دعا كفار مكه إلى أن يخططوا لقتله،فحاصروا داره من كل جانب،كى يحملوا عليه فى آخر الليل،و يقطّعوه إربا إربا فى مضجعه.

و لكن الله جلّ شأنه أطلعه بالأمر،و أمره بالهجره إلى«يثرب» (1)فاستخلف عليا عليه السّلام فى فراشه،و خرج ليلا برعايه الله و عنايته من داره و اجتاز الأعداء،و اختفى فى غار يبعد عده فراسخ عن مكه المكرمه،و خرج من الغار بعد ثلاثه أيام،بعد أن يئس الأعداء من الوصول إليه،عادوا أدراجهم،إلى مكه،و عندها أكمل النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم طريقه إلى يثرب.

۱- ۱) منطقه تقرب من «المدينه».

أما أهل«يثرب»فقد آمنوا به صلى اللّه عليه و آله و سلم كبارهم و أسيادهم،فبايعوه، و استقبلوه بحفاوه بالغه،و قدموا له أموالهم و أنفسهم.

فأسس الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و لأوّل مره؛أول مجتمع إسلامى صغير، فى مدينه(يثرب)و عقد مع الطوائف اليهوديه التى كانت تستقر فى المدينه و أطرافها معاهدات،و كذا مع القبائل العربيّه القويّه المتواجده فى تلك المنطقه،و قام بنشر دعوته الإسلاميه،و عرفت مدينه«يثرب»ب«مدينه الرسول».

و على مرّ الأيام،قويت شوكه الإسلام،و استطاع المسلمون الذين عانوا من اضطهاد القرشيين أن يتركوا دورهم و مساكنهم فى مكه،فبدءوا بالهجره إلى المدينه شيئا فشيئا،و التفوا حول النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و سمّوا ب«المهاجرين»كما اشتهر أصحابه و أعوانه فى يثرب ب«الأنصار».

نال الإسلام تقدما سريعا،لكن عبده الأصنام من قريش، و الطوائف اليهوديه المستقره فى الحجاز،كانت ما تزال حجره عثره أمام هذه الحركه،فحاولوا القيام بأعمال تخريبيه لصدّ النبى و المسلمين،بمساعده المنافقين،الذين كانوا فى صفوف المسلمين، و لم يعرفوا بأىّ شكل من الأشكال،فكانوا يخلقون المشاكل،و يسبّبون المصائب،و الحوادث المستحدثه،حتى آل الأمر إلى الحرب،فنشبت الحروب المتعدده بين الإسلام و عبده الأصنام و اليهود،فكانت الغلبه غالبا لجيش الإسلام،و يقرب إحصاء تلك الحروب من ثمانين و نيف معركه بما فيها المعارك الداميه الكبرى،و الصغيره منها،و فى كل هذه المعارك،كان النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم يشارك المسلمين فى قتالهم،كمعركه

بـدر و أحـد و الخنـدق و خيبر و غيرها،و كانت الغلبه فى معظمها تتم على يـد«على عليه السّلام».فهو الوحيد الذى ما تراجع و لا فشـل فى أى معركه،و طوال هـذه المعارك التى دامت عشـر سـنوات بعـد الهجره النبويه،قتل من المسـلمين أقلّ من مائتين،و من الكفـار مـا يقرب الألـف. و نتيجه المثـابره و التضـحيه و الفـداء الـذى عرف به المهـاجرون و الأنصار خلال السـنوات العشـر بعد الهجره،عـــمّ الإســـلام(شـــبه الجزيره العربيـــه)و بعثـــت الرسائـــل إلى ملـــوك الـــدول الأـــخرى مثل (إيران)و(الروم)و(مصر)و(الحبشه)تدعوهم إلى الإسلام.

كان النبى صـلى اللّه عليه و آله و سـلم يواسـى الفقراء فى معيشتهم،فلا تختلف حياته عن حياتهم،و كان يفتخر بالفقر (١)،و كان يسـتغلّ أوقاته،فلا تمر عليه لحظه إلا و هو دائب فى عمل،و كان صـلى اللّه عليه و آله و سـلم يقسّم أوقاته إلى ثلاثه أقسام:الأول للعبـاده و ذكر الله تعـالى،الثـانى:له و لعيـاله و بيته،الثـالث:للنـاس،فكان يسـعى فى نشـر المعارف الإسـلاميه و تعليمها،و تصـحيح الأهداف و السـبل التى تؤدى إلى إصلاح المجتمع الإسلامى،و كذا السعى فى رفع حوائج المسلمين،و تحكيم العلاقات الداخليه و الخارجيه،و سائر الأمور المرتبطه بها.

و بعـد إقـامته صـلى اللّـه عليـه و آلـه و سـلم عشر سـنوات فى المـدينه،فـارق الـدنيا على اثر سـم دسّ فى طعـامه على يـد امرأه يهوديه،طرحه فى الفراش أياما،و مما جاء فى الروايات أن آخر ما تكلم به النبى صـلى اللّه عليه و آله و سـلم، وصيته فى العبيد و النساء.

١- ١) و فى روايه مشهوره يقول(ص)«الفقر فخرى».و لمزيد الاطلاع فى هذا الفصل يراجع كتاب سيره ابن هشام و السيره الحلبيه و كتاب البحار ج ۶ و غيرها.

النبیّ الأكرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و القرآن

كان الناس یطالبون النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بالمعجزه،كما كانوا یطالبون سائر الأنبیاء فكان صلی اللّه علیه و آله و سلم یؤید المعاجز التی كانت لدی الأنبیاء، و القرآن الكریم یصرح بذلك.

و تذكر للنبی صلی اللّه علیه و آله و سلم معاجز كثیره،إلّا أن البعض منها لا تتصف بالقطعیه فی روایتها،و لم تكن مورد قبول و اعتماد،و لكن المعجزه الباقیه له صلی اللّه علیه و آله و سلم و التی لا تزال حیّه هی«القرآن الكریم»كتابه السماوی.فالقرآن الكریم كتاب سماوی یشتمل علی سته آلاف و نیف آیه،و ینقسم إلی مائه و أربع عشره سوره بما فیها الطویله و القصیره.

نزلت الآیات القرآنیه الكریمه بصوره تدریجیه خلال أیام بعثته و دعوته صلی اللّه علیه و آله و سلم طوال ثلاث و عشرین سنه،و كانت(توحی)إلیه صلی اللّه علیه و آله و سلم بصور مختلفه،من سوره أو آیه أو أقل من آیه،و فی أوقات متفاوته،فی لیل أو نهار،فی سفر أو حضر،فی الحرب أو السلم، و فی أیام الشدّه أو الرخاء.

و القرآن الكریم بنفسه،یصرّح أنه معجزه و قد تحدّی العرب فی ذلك الیوم،فكان فی القمه من الفصاحه و البلاغه،هذا ما یشهد به التأریخ،و كان فی المقدمه من حیث البیان و التعبیر،یقول تعالی فی كتابه العزیز:

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ

(۱)

.

۱- ۱) سوره الطور الآیه ۳۴.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

(۱)

.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

(۲)

.

فتحداهم القرآن بهذه الآيات،قائلا إذا كنتم تظنون أنه من كلام البشر،أو من عند محمد،أو أنه قد أخذه من أحد،فأتوا بمثله.أو بعشر سور منه أو بسوره واحده من سوره،و استعينوا بأيّه وسيله شئتم لتحقيق هذا الأمر،و ما كان جواب الفصحاء و البلغاء من العرب إلا أن قالوا إنه لسحر و يعجز من مثلنا أن يأتى به (۳).

إن القرآن الكريم لم يتحدّ العلماء من جهه الفصاحه و البلاغه فحسب،بل تحداهم من جهه المعنى أيضا،و تحدّى الجن و الإنس بما يمتلكون من قدرات فكريّه خلاّقه،لأنه يشتمل على البرنامج الكامل للحياه الإنسانيه،و لو محص تمحيصا دقيقا،لوجد أنه الأساس و الأصل فى مجالات الحياه الإنسانيه كلها،بما فيها الاعتقادات و الأخلاق و الأعمال التى ترتبط بالإنسان فإنه يعالج كل جانب من جوانبها بدقه تامه،فهو من الله الحقّ،و دينه دين الحق أيضا.

الإسلام دين يستلهم أحكامه و مواده من الله الحقّ و ليس من رغبه أكثريه الناس أو من فكر شخص حاكم قدير.

۱- ۱) سوره هود الآيه ۱۳.

۲- ۲) سوره يونس الآيه ۳۸.

۳- ۳) و مما نقل عن أشهر مشاهير العرب فى القرآن فى قوله تعالى «فَقالَ إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ* إِنْ هذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ» .سوره المدثر الآيه ۲۴-۲۵.

إن الركن الأساسی لهذا القانون الشامل هو الكلمه الحقه و هو الإیمان بالله الأحد،و أن جمیع العلوم تنبثق من التوحید،و من ثمّ تستنبط الأخلاق الإنسانیه المثلی من هذه الأصول،و تصبح جزء من هذا القانون،ثمّ تنظّم و تنسّق الكلیات و الجزئیات و التی هی خارجه عن نطاق إحصاء البشر،و تدرس الوظائف التی ترتبط بها،و التی تنبع من التوحید،و تصدر منه.

فی الدین الإسلامی ارتباط و ثیق بین الأصول و الفروع علی نحو یرجع كل حكم فرعی من أیّ باب-إذا ما محص-إلی كلمه التوحید و ینتهی إلیه.

و طبیعی أن التنظیم و التنسیق النهائی لمثل هذا القانون الواسع الشامل،مع ما یمتاز به من وحده و ارتباط،خارج عن قدره شخص ضلیع فی علم الحقوق و القانون،و إن كان من أشهر مشاهیرهم، فضلا من أن الفهرست الابتدائی له لیس بالأمر الیسیر،فكیف برجل یعیش فی زمن یتصف بالحیاه البدائیه،فی خضم الآلاف من المشاكل و المصائب التی تهدّد الأموال و الأرواح و الفتن الداخلیه و الخارجیه،و فی النهایه یبقی منفردا أمام العالم أجمع.

هذا فضلا من أن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،لم یتعلّم القراءه و الكتابه عند معلم،لقد قضی ثلثی عمره و حیاته قبل دعوته (۱)فی بیئه تفتقر

۱- ۱) و فی القرآن الكریم عن النبی(ص) «فَقَدْ لَبِثْتُ فِیكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ» . سوره یونس الآیه ۱۶،و یقول أیضا: «وَ مٰا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِیَمِینِكَ إِذاً لاَرْتٰابَ الْمُبْطِلُونَ» سوره العنكبوت الآیه ۴۸. و یقول أیضا: «وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّٰا نَزَّلْنٰا عَلیٰ عَبْدِنٰا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ» .سوره البقره الآیه ۲۳.

إلی حضاره،و لم تسمع بمدنیه أو حضاره،کانوا یعیشون فی أرض صحراء قاحله،و جو مهلک،مع أتعس الظروف الحیاتیه،علما بأنها کانت تستعمر من قبل الدول المجاوره بین آونه و أخری،و مع کل هذه الظروف و الأحوال نجد القرآن الکریم یتحدّی من طریق آخر،و هو أنه أنزل بصوره تدریجیه مع ظروف متفاوته مختلفه، فی أیام الفتن و الأیام الاعتیادیه،فی الحرب و الصلح،و فی أیام القدره و أیام الضعف و غیرها،خلال ثلاث و عشرین سنه.

و لو لم یکن من کلام الله تعالی،و کان من صنع البشر،لوجد فیه تناقضا و تضادا کثیرا،فلا بدّ أن یأتی آخره أجود و أحسن من أوله،و أکثر تطورا،و هذا مما یؤیده التکامل التدریجی للبشر،فی حین نری أن الآیات المکیه و المدنیه علی نمط واحد،لم یختلف آخرها عن أوّلها،کتاب متشابه الأجزاء،یحیّر العقول فی قدره بیانه و وحده تنسیقه (۱).

۱- ۱) فی قوله تعالی شأنه: «أَ فَلاٰ یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کٰانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلاٰفاً کَثِیراً» سوره النساء الآیه ۸۲.

معرفه المعاد

الإنسان روح و جسم

إن كلمه الروح و الجسم و النفس قد كثر استعمالها فى القرآن و السنه،علما بأن تصوّر الجسم و البدن الذى يتم عن طريق الحس قد يكون أمرا بسيطا،إلاّ أن تصور الروح و النفس لا يخلو من إبهام و غموض.

إن الباحثين و المتكلمين و الفلاسفه سواء من الشيعه أو من السنه،لهم نظريات متفاوته فى حقيقه الروح،و لكن الروح و البدن من وجهه نظر الإسلام هما حقيقتان متضادتان،فالبدن يفقد خواصه الحياتيه بالموت،و يضمحل بصوره تدريجيه،و لكن الروح ليست هكذا،فإن الحياه أصاله للروح،و ما دامت الروح فى الجسم،فإن الجسم يستمد حياته منها،و عند ما تفارق الروح البدن،و تقطع علاقتها به،لا يقوى البدن على القيام بأى عمل،إلا أن الروح تستمر فى حياتها.

و مما يستنبط من تدبر الآيات القرآنيه،و كلام أهل بيت العصمه عليه السّلام أن الروح الإنسانيه غير ماديه،و لكنها تؤلف نوعا من العلاقه و الوحده مع الجسم،إذ يقول الله تعالى فى كتابه المبين:

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَکِینٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظٰاماً فَكَسَوْنَا الْعِظٰامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنٰاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبٰارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ

(۱)

.

و يتّضح من سياق الآيات،أن أوائلها تصف الخلقه الماديه بشكلها التدريجى،و أواخرها تشير إلى خلقه الروح أو الشعور و الإراده؛و تصفها بأنها خلقه أخرى،تختلف عن خلقتها الأولى.

و فى آيه أخرى فى الردّ على من يستبعد«المعاد»أو ينكره يشرح القرآن الكريم كيف أن الإنسان تستعاد خلقته بعد موته و تفتت أجزائه،و تمازجها مع أجزاء التربه،و يرجع كما كان إنسانا كاملا، يقول الله سبحانه و تعالى: قُلْ يَتَوَفّٰاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (۲).أى أن الأرواح تقبض على يد ملك الموت من أبدانكم،و تحفظ عندنا.

و يعرّف القرآن الكريم الروح بصورتها المطلقه غير الماديه، بقوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى (۳).و فى آيه أخرى من الذكر الحكيم،يتطرق إلى موضوع الأمر بقوله:

إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

(۴)

.و بمقتضى هذه الآيات أن أمر الله تعالى فى خلقته للأشياء لم يكن تدريجا،و لم يكن محددا بزمان أو مكان،و لما كانت الروح أمرا من الله إذن فهى ليست بماده،و لم يكن فى كنهها خاصه الماده التى تتصف بالتدرّج و الزمان و المكان.

۱- ۱) سوره المؤمنون الآيه ۱۲-۱۴.

۲- ۲) سوره السجده الآيه ۱۱.

۳- ۳) سوره الإسراء الآيه ۸۵.

۴- ۴) سوره يس الآيه ۸۲.

مبحث فی حقیقه الروح من منظار آخر

إن الاستدلالات العقلیّه تؤید القرآن الکریم أیضا فی موضوع الروح.کلّ واحد منا یدرک حقیقه من وجوده،و التی نعبّر عنها بال «أنا»و هـذا الإدراک موجود فی الإنسان بصوره مستمره،و أحیانا ینسـی بعض أعضاء جسـمه من رأس أو ید أو سائر الأعضاء، و حتی جسمه کلیا،و لکن یدرک ال«أنا»عند ما یکون هو موجودا.

و هذا«المشـهود»کما هو مشـهود،غیر قابل للانقسام و التجزئه،مع أن جسم الإنسان فی تغیّر و تحوّل دائم،و یتخذ أمکنه مختلفه، و تمرّ علیه أزمنه مختلفه إلاّ أنّ الحقیقه المـذکوره و هی ال(أنا) ثابته فی حقیقتها لا تقبل التغییر أو التبـدیل،و واضح بأنها لو کانت ماده،لتقبلت الماده،بما فیها الانقسام و تغیّر الزمان و المکان.

نعم إن الجسم یتقبـل کـل هـذه الخواص،و بمـا أن هـذه الخواص لهـا ارتبـاط روحی،فتنسب إلی الروح.و لکن مع تأمل و تـدبر یتجلی للإنسان،إن هـذا المکان و ذلک المکان،و هـذا الشـکل و ذلک الشـکل، و کلها من خواص البدن،و الروح منزهه عنها،و کل من هذه الصفات إنما تنتقل إلی الروح عن طریق البدن.

یسری هذا البیان فی خاصیه الإدراک و الشعور علی(العلم) و الذی هو من ممیزات الروح.و بدیهی أن العلم إذا کان یتصف بما تتصف به الماده،لکان تباعا یتقبل الانقسام و التجزئه و الزمان و المکان.

إن هذا البحث العقلی واسع مطوّل،تتبعه أسئله و أجوبه،و لا یسعه کتابنا هذا،و هذا المقدار من البحث إنما أدرج هنا علی

سبیل الإشاره،و لغرض استقصائه و استقرائه یستلزم الرجوع إلی الکتب الفلسفیه الإسلامیه.

الموت من وجهه نظر الإسلام

إن النظره العابره تفترض أن موت الإنسان فناؤه و عـدمه، و تحدیـد حیاه الإنسان بالأیام التی یعیشـها فیما بین ولادته و وفاته، فی حین نری أن الإسـلام یعتبر الموت انتقالا من مرحله حیاتیه إلی مرحله حیاتیه أخری،فللإنسان حیاه أبـدیّه لا نهایه لها،و ما الموت الذی یفصل بین الروح و الجسم إلا لیورده المرحله الأخری من حیاته،و أن السـعاده و الشـقاء فیها یعتمدان علی الأعمال الحسـنه أو السـیئه فی مرحله حیـاته قبل الموت،و یروی عن النبی صـلی اللّه علیه و آله و سـلم،ما مضـمونه،تظنون أنکم تفنون بالموت،و لکنکم تنتقلون من بیت لآخر (۱).

عالم البرزخ

و ممـا یسـتفاد من القرآن الکریم و السـنه،إن الإنسان یتمتع بحیاه مؤقته و محـدوده فی الحـدّ الفاصل بین الموت و یوم القیامه، و التی تعتبر رابطه بین الحیاه الدنیا و الحیاه الأخری (۲).

و الإنسان بعد موته،یحاسب محاسبه خاصه من حیث الاعتقاد،و الأعمال الحسنه و السیئه التی کان علیها فی الدنیا،

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۳:۱۶۱.الاعتقادات للصدوق.

۲- ۲) البحار ج ۲ باب عالم البرزخ.

و بعد هذه المحاسبه المختصره،و وفقا للنتیجه التی یحصل علیها، یحکم علیه بحیاه سعیده أو شقیّه،و یکون علیها إلی یوم القیامه (۱).

و حاله الإنسان فی عالم البرزخ تشابه کثیرا حاله الشخص الذی یراد التحقیق معه لما قام به من أعمال،فیجلب إلی دائره قضائیه کی تتم مراحل الاستجواب و الاستنطاق منه،لغرض تنظیم ملفّ له و بعدها یقضی فتره ینتظر خلالها وقت محاکمته.

روح الإنسان فی عالم البرزخ،تعیش بالشکل الذی کانت علیه فی الدنیا،فإذا کانت صالحه،تتمتع بالسعاده و النعمه و جوار الصلحاء و المقرّبین لله تعالی،و إذا کانت شقیه،فإنها تقضی هذه الفتره فی النقمه و العذاب،و مصاحبه الأشرار،و أهل الضلال.

فالله جلّ شأنه یصف حاله بعض السعداء بقوله:

وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْیٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ* فَرِحِینَ بِمٰا آتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ یَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِینَ لَمْ یَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ* یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَهٍ مِنَ اللّٰهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللّٰهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِینَ

(۲)

.

و فی وصف حاله مجموعه أخری،من الذین کانوا ینفقون أموالهم و ثرواتهم فی مشاریع غیر مشروعه فی الحیاه الدنیا، یصفهم بقوله تعالی:

حَتّٰی إِذٰا جٰاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّی أَعْمَلُ

۱- ۱) البحار ج ۲ باب عالم البرزخ.

۲- ۲) سوره آل عمران الآیه ۱۶۹-۱۷۱.

صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّهَا كَلِمَهٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(۱)

.

یوم القیامه.المعاد

ینفرد القرآن الکریم بین الکتب السماویه،بالتحدث عن المعاد و الحشر تفصیلا،فی حین أن«التوراه»لم یشر إلی هذا الیوم و هذا الموقف،و کتاب«الإنجیل»یشیر إلیه إشاره مختصره،فإن القرآن یذکره و یذکّر به فی مئات الموارد،و بأسماء شتّی،و یشرح العاقبه التی تنتظر العالم و البشریه،تاره باختصار و أخری بإسهاب.

و یذکّر مرارا أنّ الاعتقاد بیوم الجزاء(یوم القیامه)یعادل الاعتقاد بالله تعالی،و یعتبر أحد الأصول الثلاثه للإسلام و منکره (منکر المعاد)،خارج عن شریعه الإسلام و ما عاقبته إلاّ الهلاک و الخسران.

و حقیقه الأمر هکذا،بأنه إذا لم تکن هناک محاسبه و جزاء و عقاب،فإن الدعوه الدینیه بما تحتوی من أوامر الله و نواهیه،لم یکن لها أدنی فائده أو أثر،و أن وجود النبوه و الإبلاغ و عدمه سواء، بل یرجّح عدمه علی وجوده،لأن تقبل الدین و اتباع موازین الشرع، لا یخلو من تکلّف و سلب للحریّه،و إذا لم یکن اتباع الدین له أثر أو نتیجه،لن یتحمّل الناس هذا العبء و هذه المسئولیه،و لن یتخلوا عن الحریه الطبیعیّه.

ص:۱۵۴

۱- ۱) سوره المؤمنون الآیه ۹۹-۱۰۰.

و من هنا يتّضح أن أهميّه ذكر يوم الحشر و تذكّره يعادل أهميه أصل الدعوه الدينيه.

و يتضح أيضا أن الاعتقاد بيوم الجزاء من أهم العوامل التى تجبر الإنسان على أن ينتهج الورع و التقوى،و أن يتجنب الأخلاق الرذيله،و المعاصى و الذنوب،كما أن نسيانه،أو عدم الاعتقاد به، سوف يكون أساسا و أصلا لكل معصيه أو ذنب،و يقول جلّ من قائل:

إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ

(۱)

.

و مما يلاحظ فى الآيه،أن منشأ كل ضلال هو نسيان يوم الحساب.

و بالتدبّر فى خلقه الإنسان و العالم،و كذا فى الهدف من الشرائع السماويه،يتّضح الغرض من اليوم الذى سيلاقيه الإنسان «يوم الجزاء».

و نحن عند ما نتدبر الأعمال و الأفعال فى الطبيعه،نرى أن كل عمل(و الذى يحتوى على نوع من الحركه بالضروره)لا يتم إلاّ لغايه و هدف،و ليس العمل نفسه بالأصاله هو المقصود،بل أنه مقدمه لهدف و غايه فيكون مطلوبا لذلك الهدف أو لتلك الغايه، حتى فى الأعمال التى تعتبر سطحيّه مثل الأفعال الطبيعيه و الأعمال الصبيانيه و نظائرها،لو دققنا فيها لوجدنا فيها غايات

۱- ۱) سوره ص الآيه ۲۶.

و أغراضا تناسب نوع الفعل،كما فى الأعمال الطبيعيه التى تتصف بالحركه غالبا،فإن الغايه التى تسعى إليها هذه الحركه تعتبر الغايه و الهدف لها،و أما فى لعب الأطفال و ما يتناسب مع نوع اللعبه،فإن هناك غايه خياليه وهميّه،و الهدف من اللعبه هو الوصول إليها.

و فى الحقيقه أن خلقه الإنسان و العالم،من أعمال الله تعالى و هو منزّه عن أن يقوم بأعمال عبث دون هدف أو غرض،فهو الذى يخلق،و يرزق و يميت،و هكذا يخلق و يهلك فهل يتصور أن يكون خلقه هذا دون هدف معيّن،و غرض محكم يتابعه.

إذن لا ـ بد لخلق الكون و الإنسان،من هدف و غايه ثابته، و الفائده منه لا تعود إلى الله الغنى المتعال،فكل ما فيه يعود للمخلوق نفسه.إذن يجب الا ـعتراف بأن الكون بما فيه الإنسان يتجه و يسير نحو خلقه معيّنه خاصه،و وجود أكمل،لا يتصفان بالفناء و الزوال.

و إذا أمعنا النظر فى حاله الناس و وضعهم،و مدى تأثرهم بالتربيه الديتيّه،فإننا نرى أن الناس نتيجه الارشادات الإلهيّه، و التربيه الديتيّه،ينقسمون إلى قسمين،و هم الأخيار و الأشرار، و مع هذا فإننا لا ـ نجد أيّ امتياز أو فارق فى هذه الحياه،بل على العكس،غالبا ما تكون الموفقيه للأشرار و الظالمين،أما الأخيار فإنهم مبتلون بالفتن و المشاكل و الحياه السيئه و الحرمان و تحمّل الظلم.

و الحال هذه تقتضى العداله الإلهيه أن تكون هناك نشأه

أخری،حتی یجد فیها کل من الفریقین المذکورین،جزاء أعمالهم، و یحیون حیاه تناسب حالهم،و یشیر الله تعالی فی کتابه العزیز إلی هاتین الحالتین بقوله:

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا لاٰعِبِینَ* مٰا خَلَقْنٰاهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ

(۱)

.

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِکَ ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنَ النّٰارِ* أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِینَ کَالْفُجّٰارِ

(۲)

.

و یذکر سبحانه و تعالی فی آیه أخری،جمع فیها الدلیلین بقوله جلّ شأنه:

أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئٰاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ کَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَوٰاءً مَحْیٰاهُمْ وَ مَمٰاتُهُمْ سٰاءَ مٰا یَحْکُمُونَ* وَ خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِتُجْزیٰ کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ

(۳)

.

بیان آخر

قد أشرنا فی الفصل الثانی من الکتاب فی مبحث الظاهر و الباطن القرآنی،إنّ المعارف الإسلامیه فی القرآن الکریم،مبیّنه بطرق مختلفه،و الطرق المذکوره بشکل تنقسم إلی قسمین،الظاهر و الباطن.

۱- ۱) سوره الدخان الآیه ۳۸-۳۹.

۲- ۲) سوره ص الآیه ۲۷-۲۸.

۳- ۳) سوره الجاثیه الآیه ۲۱-۲۲.

و المراد من طريق الظاهر،هو البيان الذى يتناسب مع مستوى أفكار العامه،على خلاف الطريق الباطن الذى يختصّ بالخاصه منهم،و يدرك مع روح الحياه المعنويّه.

و البيان الذى يؤخذ عن طريق الظاهر مؤداه أن الله تعالى الحاكم المطلق لعالم الخلقه،فكل ما فى هذا الكون ملكه،فهو الذى خلق الملائكه التى لا يعلم إحصاؤها كى تكون مطيعه و منفّذه لأوامره، يرسلهم إلى حيث شاء من الكون،و لكل بقعه من عالم الطبيعه و ما يلازمها من نظم ترتبط بمجموعه خاصه من الملائكه موكّلين عليها.

و النوع الإنسانى من مخلوقاته و عباده الذين يجب عليهم اتباع أوامره و نواهيه،و الطاعه له،و ما الأنبياء إلاّ حمله شرائعه و قوانينه،يبعثهم إلى الناس،لبيان و إجراء تلك الشرائع و القوانين.

فالله جلّ ثناؤه،لما جعل الثواب و الأجر لمن آمن و أطاع،جعل العقاب و العذاب لمن كفر و عصى،و هو القائل، وَ لَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ وَعْدَهُ ،و لما كان عادلا،فعدالته تقتضى أن يفصل بين الفريقين فى النشأه الأخرى،و هما الأخيار و الأشرار،و أن يمتّع الأخيار بالنعيم،و للأشرار الشقاء.

و قد وعد الله تعالى بمقتضى عدله،أن يحشر الناس الذين مروا فى الحياه الدنيا دون استثناء،و يحاسبهم حسابا دقيقا فى معتقداتهم و أعمالهم،من صغيره أو كبيره،و يقضى بينهم بالحق و العدل،و فى النهايه،سيوصل لكل ذى حق حقه،و يأخذ لكل مظلوم نصيبه ممن ظلمه،و يعطى أجر عمل كل عامل،و يصدر الحكم لفريق فى الجنه و فريق فى السعير.

هذا هو البيان الظاهری للقرآن الکریم،و قد جاء مطابقا لفکر الإنسان الاجتماعی،لتکون فائدته أعمّ،و نطاقه أشمل.

أما الذین تعمّقوا فی الحقائق،و لهم القدره علی فهم المعنی الباطنی للقرآن الکریم،فهم یدرکون الآیات القرآنیه علی مستوی أرفع من العامه.و القرآن الکریم،یلمح خلال تعابیره البسیطه أحیانا بالمعنی الباطنی تلمیحا.

فالقرآن الکریم بتعابیره المختلفه،یذکر إجمالا أنّ الطبیعه بجمیع أجزائها،و الإنسان أحدها،فی سیرها التکوینی(نحو الکمال)تصیر إلی الله تعالی،و سیأتی الیوم الذی تنتهی حرکتها و سیرها،و تفقد إنّیتها و استقلالها کلیا.

و الإنسان هو جزء من أجزاء هذا الکون،فإن طریق کماله الخاص یتم عن طریق الشعور و العلم،مسرعا فی طریقه إلی الله تعالی،و الیوم الذی یختتم به هذا المسیر،سیشاهد عیانا حقانیه الله الأحد،و سیری أن القدره و الملک و کل صفه من صفات الکمال تنحصر فی ذاته القدسیه،و من هذا الطریق،ستتجلّی له حقیقه الأشیاء کلها.

و هذا هو أول منزل و موقف من العالم الأبدی،فإذا کان الإنسان فی هذه الدنیا،بإیمانه و عمله الصالح،أوجد ارتباطا و اتصالا بالله تعالی و استأنس به،و بالمقربین من عباده،سیحظی بسعاده لا توصف،و سیکون فی جوار الله سبحانه،و یکون قرین الصالحین فی العالم العلوی،و إذا ما کان ممن تربطهم علاقه وثیقه بهذه الدنیا الدنیئه،و لذائذها الزائله،فقد قطع اتصاله بالعالم العلوی،

و لم تقم بينه و بين خالقه رابطه أو اتصال و لا مع المقربين من عباده،فإنه سيحاط بعذاب دائم،و خزی أبدی.

صحيح أن الأعمال الحسنه و السيئه للإنسان فی هذه الدنيا تزول و تذهب،لكن صور الأعمال هذه تستقر فی باطنه،و أينما رحل فهی معه،و تكون مصدر حياته الآتيه سواء فی السعاده أو الشقاء.

و كل ما ذكر يمكن استنتاجه من الآيات التاليه:

يقول جلّ من قائل: إِنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الرُّجْعىٰ (۱).

و يقول: أَلاٰ إِلَی اللّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (۲).

و يقول: وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ (۳):

و يقول:يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ* اِرْجِعِی إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَهً مَرْضِيَّهً* فَادْخُلِی فِی عِبٰادِی* وَ ادْخُلِی جَنَّتِی (۴).

و يخاطب الله سبحانه يوم القيامه بعض أفراد البشر،بقوله:

لَقَدْ كُنْتَ فِی غَفْلَهٍ مِنْ هٰذٰا فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ

(۵)

.

و فی تأويل القرآن الكريم،و الحقائق التی تنبع منه الآيات،يقول جلّ اسمه:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِی تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ

۱- ۱) سوره العلق الآيه ۸.

۲- ۲) سوره الشوری الآيه ۵۳.

۳- ۳) سوره الانفطار الآيه ۱۹.

۴- ۴) سوره الفجر الآيه ۲۷-۳۰.

۵- ۵) سوره ق الآيه ۲۲.

قَبْلُ قَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنٰا مِنْ شُفَعٰاءَ فَيَشْفَعُوا لَنٰا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِی كُنّٰا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ

(١)

.

و يقول تعالى:

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّٰهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ

(٢)

.

و يقول تعالى شأنه:

يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاٰقِيهِ

(٣)

.

و يقول تعالى ذكره:

مَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ اللّٰهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ لَآتٍ

(۴)

.

و يقول تعالى اسمه:

فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ.فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

(۵)

.

و یقول سبحانه:

یَا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلَی رَبِّکِ رَاضِیَهً مَرْضِیَّهً فَادْخُلِی فِی عِبَادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی

(۶)

.

۱- ۱) سوره الأعراف الآیه ۵۳.

۲- ۲) سوره النور الآیه ۲۵.

۳- ۳) سوره الانشقاق الآیه ۶.

۴- ۴) سوره العنکبوت الآیه ۵.

۵- ۵) سوره الکهف الآیه ۱۱۰.

۶- ۶) سوره الفجر الآیه ۲۷-۳۰.

و يقول سبحانه و تعالى:

فَإِذٰا جٰاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرىٰ* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسٰانُ مٰا سَعىٰ* وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ* فَأَمّٰا مَنْ طَغىٰ* وَ آثَرَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ* وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ

(١)

.

و يتعرض القرآن الكريم لحقيقه جزاء الأعمال قائلا: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢).

استمرار الخلقه و تعاقبها

إن عالم الخلقه الذى نشاهده،له عمر محدود،و سيأتى اليوم الذى يفنى فيه و يزول،كما يؤيد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى: مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى (٣).

و هل خلق عالم،و هل كان هناك إنسان،قبل ظهور عالمنا هذا و البشر الذى يعيش فيه حاليا؟و هل بعد زوال و فناء هذا العالم بما فيه،و الذى يخبر به القرآن الكريم سينشأ عالم آخر و سيخلق بشر،فهذه أسئله لا نجد جوابها فى القرآن الكريم إلاّ تلميحا، لكن الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت عليهم السّلام،تجيب بإيجاب عن هذه الأسئله (۴).

۱- ۱) سوره النازعات الآيه ۳۴-۴۱.

۲- ۲) سوره التحريم الآيه ۷.

۳- ۳) سوره الأحقاف الآيه ۳.

۴- ۴) البحار ج ۱۴:۷۹.

معرفه الإمام

معنى الإمام

تطلق كلمه الإمام أو القائد على شخص يقود جماعه أو فئه، و يتحمل عبء هذه المسئوليه،فى المسائل الاجتماعيه أو السياسيه أو الدينيه،و يرتبط عمله بالمحيط الذى يعيش فيه،و مدى سعه المجال للعمل فيه أو ضيقه.

إن الشريعه الإسلاميه المقدسه(كما اتضح فى الفصول السابقه)تنظر إلى الحياه العامه للبشر من كل الجهات،فهى تصدّر أوامرها لإرشاد الإنسان فى الحياه المعنويه،و كذا فى الحياه الصوريّه من الناحيه الفرديه،و تتدخل فى إداره شئونه،كما تتدخل فى حياته الاجتماعيه و القياديه(الحكومه)أيضا.

و على ما مرّ ذكره،فإن الإمام أو القائد الدينى فى الإسلام، يمكن أن يكون مورد نظر من جهات ثلاث:

الأولى: من جهه الحكومه الإسلاميه.

الثانيه: من جهه بيان المعارف و الأحكام الإسلاميه المعنويّه.

تعتقد الشيعه بأن المجتمع الإسلامى يحتاج إلى الجهات الثلاث التى سبق ذكرها،احتياجا مبرما،و الشخص الذى يتصدّى لقياده الجهات الثلاث،بما فيها قياده المجتمع،يجب أن يعيّن من قبل الله و الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم،علما بأن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أيضا يعيّن الإمام بأمر من الله تعالى.

إن الإنسان بما یمتاز به من مواهب إلهیه،یـدرك جیـدا و من دون تردّد،إن أی مجتمع متآلف،فی أیّه بقعه أو مملكه أو مدینه أو قریه أو قبیله،و حتی فی بیت واحد یتألف من عده أفراد،لن یستطیع أن یعیش و یستمرّ فی حیاته دون قائد أو ناظر علیه،فهو الذی یجعـل الحیـاه نـابضه،یحرّك عجلاـت اقتصادهـا،یحفّز كـل فرد مـن أفراد المجتمع لإنجـاز وظیفته الاجتماعیه.فـالمجتمع الفـاقد لقائد،لا یستطیع أن یستمر فی حیاته،و فی أقل فتره ینهار قوامه،و یسیر نحو الهمجیه و التحلل الخلقی.

فعلی هذا،الشخص الذی یتولی قیاده مجتمع(سواء أ كان كبیرا أم صغیرا)و یعیر اهتماما لمنصبه و مقامه،و یبدی عنایته لبقاء ذلك المجتمع،نجده یعیّن خلفا له فیما لو أراد أن یغیب عن محل عمله (سواء أ كانت الغیبه مؤقته أم دائمه)و لا یتخلی عن مقامه ما لم یعین أحـدا،و لا یترك بلاده،أو بقعته دون ناظر أو حارس علیها أو قائد لها،لأنه یعلم جیدا،أنّ غضّ النظر عن هذه المهمه و عدم استخلاف أحـد،یؤدّی بمجتمعه إلی الزوال و الاضـمحلال،كمـا لو أراد ربّ البیت أن یسافر عـده أیام أو أشـهر،فإنه یختار أحد أفراد أسـرته(أو غیرهم)مكانه،و یلقی إلیه مقالید الإداره فی البیت،و هكذا الرئیس لمؤسـسه أو المدیر لمدرسه،أو التاجر لمحله،و هو یشـرف علی موظفین أو صـنّاع یعملون تحت أمرته،فلو قـدر أن یترك محـل عمله لساعـات قلیله فـإنه یختار أحـدهم و یعیّنه مكانه،كی یتسنّی للآخرین الرجوع إلیه،فی المشكلات أو المعضلات،و قس علی هذا...

ص: ۱۶۴

الإسلام دين قوامه الفطره،و ذلک بنصّ القرآن الحکیم و السنه النبویّه،و هو نظام اجتماعی،یدرکه کل من له إلمام بهذا الدین، و من لیس له صله به.و العنایه الخاصه التی قد بذلها الله جلّ و علا،و نبیّه الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم لهذا الدین الجامع،لا ینکرها أحد،و لا یسعنا مقارنتها مع أی أمر آخر.

فالنبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم کان لا یترک المجتمع الذی یدخل فی الإسلام،أو المجتمع الذی قد سیطر علیه الإسلام،و کذا کل بلده أو قریه کانت تقع تحت أمره المسلمین،دون أن یرسل إلیها والیا أو عاملا،مباشره،کی یدیر شئون تلک المجتمعات أو البقاع،و کان هذا دأب النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،فی الجهاد،فعند ما کان یرسل کتیبه إلی مکان ما،کان یعین قائدا لها،و کان یعین أکثر من قائد أحیانا،کما حدث ذلک فی حرب(مؤته)إذ عیّن صلی اللّه علیه و آله و سلم أربعه،فإذا ما قتل الأول، خلفه الثانی من بعده،و إذا ما قتل الثانی،خلفه الثالث...و هکذا.

و قد أبدی الإسلام بموضوع الخلافه و الاستخلاف عنایه تامه، فلم یتغافل عن هذا الموضوع،و متی ما أراد النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،أن یترک المدینه،کان یستخلف أحدا.و فی الوقت الذی أراد الرسول الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم الهجره من مکه إلی المدینه،عیّن علیا خلیفه له فی مکه،للقیام بالأعمال الخاصه به لفتره قصیره،کأداء الأمانات إلی أهلها،و قد أوصی صلی اللّه علیه و آله و سلم لعلی علیه السّلام أن یقوم بأداء الدیون و ما یتعلق بشئونه الخاصه،بعد وفاته صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و وفقا لهذه القاعده،فإن الشیعه تدّعی أنه لا یتصوّر أن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم قبیل وفاته لم یوص لأحد یستخلفه فی شئون الأمه من

بعده،أو أنه لم یعین شخصا یقوم بإداره الدوله الإسلامیه.

و لیس هناک من شک،و الفطره الإنسانیه تقرّ،بأن نشوء مجتمع ما یرتبط بمجموعه من عادات و تقالید مشترکه تقرّها أکثریه ساحقه لذلک المجتمع،و کذا یرتبط بقاؤها و دوامها بحکومه عادله تتبنّی إجراء تلک العادات و التقالید إجراء کاملا،و هذا الأمر لا یخفی علی الشخص اللبیب أو یغفل عنه،فی حین أنه لیس هناک مجال للشک فی الشریعه الإسلامیه،بما فیها من دقه و نظام،و لما کان یبدیه النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم من احترام و تقدیر لتلک الشریعه،إذ کان یضحّی بما فی وسعه فی سبیلها،أن یهمل الموضوع أو یترکه.علما بأن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،کان نابغه زمانه،فی قوه تفکره،و فراسته و تدبیره،(فضلا عن مستلزمات الوحی و النبوه و ما تتبعها من تأییدات).

و کما نجد فی الأخبار المتواتره عن طریق العامه و الخاصه،فی کتب الأحادیث و الروایات(باب الفتن و غیرها)،إنه صلی اللّه علیه و آله و سلم کان ینبئ بالفتن و المحن التی ستلاقیها الأمه الإسلامیه بعده،و ما یشوب الإسلام من فساد،کحکومه آل مروان و غیرهم،الذین غیّروا و حرّفوا الشریعه السمحاء،فکیف یعقل أن من یهتم بأمور تحدث بعد سنوات عدیده متأخره عن وفاته،و ما تنطوی علیها من فتن و مصائب،أن یتغافل عن موضوع یحدث بعید وفاته،و فی الأیام الأوّل بعد رحیله صلی اللّه علیه و آله و سلم؟!و لا یبدی اهتماما لموضوع خطیر من جهه، و بسیط من جهه أخری،فی حین کان یبدی اهتمامه لأبسط الأمور الاعتیادیه،کالأکل و الشرب و النوم و ما شاکل،فنجده یصدّر

الأوامر اللازمه لهذه المسائل الطبيعيه،فكيف لا يبدى اهتماما لمسائل أساسيه هامه أو أن يختار الصمت إزاءها،و لا يعيّن أحدا مكانه؟

و على فرض المحال،لو كان تعيين القائد لمجتمع إسلامى فى الشريعه الإسلاميه،منوطا بالمجتمع نفسه،لكان لزاما على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،أن يصرّح فى هذا الخصوص و يشير إليه إشاره وافيه، و يعطى الأمّه الإرشادات اللازمه،كى تصبح واعيه أمام موضوع يضمن لها تقدمها و تكاملها،و تتوقف عليه شعائر دينها.

فى حين أننا لم نجد مثل هذا التصريح،و لو كان هناك نصّ صريح لما خالفه من جاء من بعده،و ذلك ما حدث من الخليفه الأوّل،و انتقال الخلافه إلى الثانى بوصيه منه،و الرابع أوصى لابنه،أما الخليفه الثانى فقد دفع الثالث إلى منصه الخلافه بحجّه أنه أحال الأمر من بعده إلى شورى تتضمن سته أعضاء، و قد عين هؤلاء الأعضاء،و كذا كيفيه انتخابهم.

أما معاويه فقد استعمل الشدّه حتى صالح الإمام الحسن عليه السّلام، و استتب له الأمر،و بعدها صارت الخلافه وراثيه،و تغيّرت الشعائر الدينيه،من جهاد و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر و إقامه الحدود و غيرها.كل هذه قد زالت عن المجتمع الإسلامى،فاضحت جهود الشارع هباء (1).

١- ١) فيما يتعلق بموضوع الإمامه و خلافه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و الحكومه الإسلاميه،تراجع المصادر التاليه:تاريخ اليعقوبى ج ٢:٢۶-۶١-السيره لابن هشام ج ٢:٢٢٣-٢٧١. تاريخ أبى الفداء ج ١:١٢۶/غايه المرام صفحه ۶۶۴ نقلا عن مسند أحمد و غيره.

أما الشیعه فقد حصلت علی هذه النتیجه خلال البحث و الدراسه فی الوعی الفطری للإنسان،و السیره المستمره للعقلاء، و بالتعمّق و الفحص فی الأسس الأساسیه للشریعه الإسلامیه و التی تهدف إلی إحیاء هذه الفطره الإنسانیه،و بالتأمل فی الحیاه الاجتماعیه التی کان ینهجها النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و کذا بدراسه الحوادث المؤسفه التی حدثت بعد فاته،و التی عانت الأمه الإسلامیه منها عناء بالغا،و دراسه وضع الحکومات الإسلامیه فی القرن الأول،و ما لازمها من قصور عن أداء وظائفها،فإننا نصل إلی هذه النتیجه.

ثم إن هناک نصوصا کافیه قد صرّحت من قبل النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی خصوص تعیین إمام و خلیفه من بعده،و أن الآیات و الأخبار المتواتره القطعیه تشیر إلی هذا المعنی،کآیه الولایه و حدیث غدیر خم (۱)و حدیث السفینه و حدیث الثقلین،و حدیث الحقّ و حدیث

۱- ۱) و یستدل آیات من الذکر الحکیم لإثبات خلافه علی بن أبی طالب(ع)منها الآیه: «إِنَّمَا وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاٰهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکٰاهَ وَ هُمْ رٰاکِعُونَ» الآیه ۵۵ من سوره المائده. اتفق المفسرون شیعه و سنه،إن الآیه المذکوره،نزلت فی شأن علی بن أبی طالب(ع)، و تؤید ذلک المزید من الروایات عن طریق العامه و الخاصه. و مما ینقل عن أبی ذر الغفاری أنه قال:«صلّیت مع رسول الله صلی اللّه علیه و آله و سلم یوما من الأیام صلاه الظهر،فسأل سائل فی المسجد،فلم یعطه أحد فرفع السائل یده إلی السماء و قال:اللهم اشهد إنی سألت فی مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و آله و سلم فلم یعطنی أحد شیئا،و کان علی راکعا و أومی إلیه بخنصره الیمنی،و کان یتختم فیها،فأقبل السائل حتی أخذ الخاتم من خنصره،و ذلک بعین النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فلما فرغ من صلاته،رفع رأسه إلی السماء و قال:اللهم،سألک موسی،فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی* وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی* وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسٰانِی* یَفْقَهُوا قَوْلِی وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی* هٰارُونَ أَخِی* اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی* وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی» .فانزلت علیه قرآنا ناطقا: «سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ، وَ نَجْعَلُ لَکُمٰا سُلْطٰاناً فَلاٰ یَصِلُونَ إِلَیْکُمٰا بِآیٰاتِنٰا أَنْتُمٰا وَ مَنِ اتَّبَعَکُمَا الْغٰالِبُونَ» -

المنزله و حديث دعوه العشيره الأقربين و غيرها،و لكن المراد من الآيات و الأحاديث الآنفه الذكر قد أوّل و حرّف لأسباب و دواع.

۱)

-اللهم و أنا محمد نبيك و صفيك،اللهم و اشرح لى صدرى،و يسّر لى أمرى و اجعل لى وزيرا من أهلى عليا،اشدد به ظهرى. قال أبو ذر:فما أنهى الكلمه،حتى نزل عليه جبرئيل(ع)من عند الله تعالى،فقال:يا محمد اقرأ،قال النبى(ص):و ما اقرأ؟قال جبرئيل(ع):اقرأ: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ» . و من الآيات التى يستدل بها على خلافه على بن أبى طالب(ع)هى الآيه: «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» .المائده الآيه(۳). فظاهر الآيه يدل على أن الكفار كانوا يأملون فى انتهاء الدعوه الإسلاميه و زوال معالمها،و لكن الله سبحانه و تعالى قد أبدل أمنياتهم إلى يأس بالآيه المذكوره،لقد أكمل دينه و قوّم بنيانه،و ربما لم يكن الأمر هذا من الأحكام الجزئيه فى الإسلام،بل أمر ينطوى على أهميه خاصه،يعتمد عليه بقاء الإسلام و استمراره. لعلّ ظاهر الآيه هذه يرتبط بالآيه الأخيره من السوره ذاتها، «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ» الآيه ۶۷ من سوره المائده. تدل هذه الآيه على أن هناك أمرا خطيرا،انذر به الرسول الأعظم(ص)لا بد من تحققه،فإذا ما أهمل فيه،فإن رساله الإسلام و أهدافه ستتعرض للخطر،و الأمر بما ينطوى عليه من أهميه خاصه،فإن الرسول(ص)كان يخشى المعارضه من قبل المخالفين،و كان ينتظر الفرصه المناسبه لبيانه و إظهاره،لذا كان يؤجل إعلان الأمر للأمه الإسلاميه،حتى نزل الوحى من السماء،يطلب فيها ربّ العالمين من الرسول الكريم(ص)أن يبادر فى إعلانه دون تأمل و تهاون،و ألا يخشى أحدا سوى الله جلّ و علا. فالموضوع هذا لم يكن من نسخ الأحكام،لأن عدم تبليغ الأحكام الإسلاميه أو إعلان بعضها منه،لا يعنى تزلزل الكيان الإسلامى بأسره،هذا من جهه،و من جهه أخرى، فإن النبى الأكرم(ص)كان يخشى من تبيان الأحكام الإسلاميه للأمه الإسلاميه. فهذه الشواهد و القرائن،تؤيد الأخبار أن الآيات التى ذكرت،قد نزلت فى غدير خم، فى شأن على بن أبى طالب(ع)و أيّده الكثير من المفسرين من إخواننا أهل السنه. و مما يروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال:إن رسول الله(ص)دعا الناس إلى على (ع)فى غدير خم،فأخذ بضبعيه فرفعهما،حتى نظر الناس إلى بياض ابطى رسول-

۱)

-الله(ص)ثم لم يفترقوا حتى نزلت هذه الآيه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» .فقال رسول الله(ص):الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمه و رضا الرب برسالتى،و الولايه لعلى من بعدى،ثم قال:من كنت مولاه فعلى مولاه،اللهم وال من والاه،و عاد من عاداه،و انصر من نصره،و اخذل من خذله) غايه المرام البحرانى صفحه ۳۳۶. و قد ذكرت سته أحاديث عن طرق العامه،و خمسه عشر حديثا عن طرق الخاصه فى شأن نزول الآيه المذكوره.و صفوه القول،أن أعداء الإسلام الذين طالما حاولوا الإطاحه بالإسلام و قيمه،و تناولوا شتى الوسائل لهذا الغرض،باءت محاولاتهم هذه بالفشل،و قد خيّم اليأس عليهم،فأصبحوا متربصين للأمر،و بعد وفاه الرسول(ص) الذى كان يعتبر حافظا للإسلام و حارسا له،و بوفاته يتزلزل قوام الإسلام،و تنهدم أركانه.إلا أن هذه الأمنيات،فندت فى يوم غدير خم،إذ أعلن نبىّ الإسلام أن عليا خليفته و وصيه الذى سيستخلفه للحفاظ على كيان الإسلام فعرّفه للأمه،و بعد على، أنيطت هذه المسئوليه الخطيره لآل على.و لمزيد من الاطلاع يراجع تفسير الميزان، الجزء الخامس صفحه ۱۷۷-۲۱۴ و الجزء السادس صفحه ۵۰-۶۴،من مصنفات مؤلف هذا الكتاب. حديث الغدير:عند عوده الرسول(ص)من حجّه الوداع،مكث فى مكان يدعى(غدير خم)،فأمر أن يجمع المسلمون العائدون من الحجّ،فاجتمعوا،فخطب فيهم،و نصب عليا قائدا للأمه الإسلاميه من بعده،فأعطاه الولايه،و جعله خليفه للمسلمين من بعده. عن البراء،قال:كنّا مع رسوله الله(ص)فى حجه الوداع،فلما أتينا على غدير خم، كشح لرسول الله(ص)تحت شجرتين و نودى فى الناس،الصلاه جامعه،و دعا رسول الله(ص)عليا،و أخذ بيده فأقامه عن يمينه،فقال:أ لست أولى بكل امرئ من نفسه، قالوا:بلى،قال:«فإن هذا مولى من أنا مولاه،اللهم وال من والاه،و عاد من عاداه»، فلقيه عمر بن الخطاب،فقال:«هنيئا لك أصبحت و أمسيت مولى كل مؤمن و مؤمنه». البدايه و النهايه ج ۵:۲۰۸ و ج ۷:۳۴۶-ذخائر العقبى للطبرى طبع القاهره ۱۳۵۶ صفحه ۶۷- الفصول المهمه لابن الصباغ ج ۲:۲۳ و قد جاء هذا الحديث فى كل من الخصائص للنسائى طبع النجف ۱۳۶۹ صفحه ۳۱-و غايه المرام للبحرانى صفحه ۷۹،عن ۸۹ طريقا من العامه،و ۴۳ طريقا من الخاصه. حديث السفينه:عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:قال رسول الله(ص)«مثل أهل بيتى كسفينه نوح،من ركبها نجا،و من تعلق بها فاز،و من تخلّف عنها غرق».ذخائر العقبى صفحه ۲۰-الصواعق المحرقه لابن حجر طبع القاهره صفحه ۸۴ و ۱۵۰- تاريخ الخلفاء للسيوطى صفحه ۳۰۷-كتاب نور الأبصار للشبلنجى طبع مصر صفحه ۱۱۴-غايه المرام للبحرانى صفحه ۲۳۷-و قد جاء الحديث المذكور فى هذه الكتب،-

تأیید للأقوال السابقه

فی أواخر أیام النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و التی قد مرض فیها،بحضور جمع من الصحابه عنده،قال النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم:

«هلموا أکتب لکم کتابا لن تضلوا بعده أبدا».

(۱)

-بأحد عشر طریقا من العامه،و سبعه طرق من الخاصه. حدیث الثقلین:عن زید بن أرقم قال:قال رسول الله(ص):«کأنّی قد دعیت فأجبت، إنّی قد ترکت فیکم الثقلین،کتاب الله و عترتی أهل بیتی،فانظروا کیف تخلفونی فیهما،فإنهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض».البدایه و النهایه ج ۵:۲۰۹-ذخائر العقبی صفحه ۱۶-الفصول المهمه صفحه ۲۲-الخصائص صفحه ۳۰-الصواعق المحرقه صفحه ۱۴۷-و قد نقل هذا الحدیث فی غایه المرام عن العامه و الخاصه،۳۹ طریقا عن العامه،و ۸۲ طریقا عن الخاصه. و حدیث الثقلین هذا یعتبر من الأحادیث القطعیه،و روی بأسانید کثیره و بعبارات مختلفه و أنه متّفق علی صحته،سنه و شیعه،و یستفاد من الحدیث المذکور و نظائره، أمور منها: ۱-لو بقی القرآن بین الناس حتی قیام الساعه،فالعتره باقیه أیضا،أی لا یخلو زمن من وجود إمام و قائد حقیقی للأمه. ۲-لقد قدّم النبی(ص)عن طریق هاتین الأمانتین کل ما یحتاج إلیه المسلمون من الناحیه العلمیه و الدینیه،و عرّف أهل بیته مرجعا علمیا و دینیا للأمه الإسلامیه،و أیّد أقوالهم و أعمالهم تأییدا مطلقا. ۳-لا یفترق القرآن عن أهل البیت،و لا یحق لمسلم أن یبتعد عنهم،تارکا نهجهم و إرشادهم. ۴-لو أطاع الناس أهل البیت،و تمسّکوا بأقوالهم،لن یضلّوا،و سوف یکون الحقّ حلیفا لهم. ۵-کل ما یحتاج إلیه الناس من علوم و مسائل دینیه،فهی موجوده لدی أهل البیت، و کل من یتابع طریقهم،لن یضل و لن یهلک،و ینال السعاده الحقیقه،أی أن أهل البیت مصونون من الاشتباه و الخطأ،و بهذه القرینه،یتّضح أن المراد من أهل البیت و العتره، لیس کل أقرباء النبی(ص)و أولاده،بل المراد عده معدوده منهم،و هم الذین قد نالوا المقام الاسمی من العلوم الدینیّه،و لم یعتریهم الخطأ و النسیان،کی تتوفر لدیهم صلاحیه القیاده للأمه،و هم علی بن أبی طالب و الأحد عشر من ولده،فإن مقام الإمامه لهم،الواحد بعد الآخر،کما تشیر الروایات إلی هذا المعنی.

قال بعضهم،إن رسول الله قد غلبه الوجع و عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله،فاختلف الحضور بالبيت و اختصموا،فمنهم من يقول،قرّبوا يكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده،و منهم من يقول غير ذلك،فلما أكثروا اللغو و الاختلاف،قال رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم:قوموا (١).

مع ما تقدم من البحث،و مع الالتفات إلى أنّ الذين مانعوا أمر تدوين كلمه الرسول العظيم صلى اللّه عليه و آله و سلم،هم أنفسهم قد حظوا فى اليوم التالى بالخلافه الانتخابيه،و كان الانتخاب دون علم على عليه السّلام و أصحابه،فجعلوهم أمام أمر واقع،فهل هناك من شك فى أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم كان يريد تعيين على،ليجعله خليفه له من بعده.

و ما كان الهدف من المعارضه(لتدوين أمر الرسول)إلّا جعل الجو مضطربا.كى ينصرف النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم عن الأمر،و لم يكن الغرض وصف النبى بالهذيان،و غلبه المرض عليه،و ذلك لأسباب:

أولا: فضلا من أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم طوال فتره مرضه،لم يسمع منه كلام لا يليق بمقامه،و لم ينقل أحد هذا المعنى،فإنه لا يحقّ لمسلم وفقا للموازين الدينيه أن ينسب إلى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم الهذيان و الكلام العبث،علما بأنه صلى اللّه عليه و آله و سلم مصون و معصوم من قبل الله تعالى.

ثانيا: لو كان المراد من الكلام،المعنى الحقيقى له،فلا حاجه إلى ذكر العباره التى تلتها،«كفانا كتاب الله»إذ لو كان المراد نسبه الهذيان إلى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،لكفى ذكر مرضه،لا أن يؤيد القرآن، و ينفى قول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم،و هذا الأمر لا يخفى على صحابى،من

---

١ - ١) البدايه و النهايه ج ٥:٢٢٧-شرح ابن أبى الحديد ج ١:١٣٣-الكامل فى التاريخ ج ٢: ٢١٧-تاريخ الرسل و الملوك للطبرى ج ٢:٤٣٦.

أن القرآن الكريم قد فرض على الأمه الإسلاميه اتباع النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم، و أنه مفروض الطاعه،و كلامه عدل للقرآن.و الناس ليس لهم أىّ اجتهاد أو اختيار أمام حكم الله و رسول.

ثالثا: إن ما حدث فى مرض الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم،قد حدث أيضا فى مرض الخليفه الأول،عند ما كان يوصى إلى الخليفه الثانى من بعده،و عثمان حاضر يحرّر ما يملى عليه الخليفه الأول،إذ أغمى على الخليفه،و الخليفه الثانى لم يعترض عليه كما اعترض على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم (۱).

و فضلا عن هذا كله،فإن الخليفه الثانى قد اعترف فى حديث له لابن عباس قائلا (۲).إننى أدركت أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم يريد أن يوصى لعلى،إلا أن مصلحه المسلمين كانت تستدعى ذلك،و يقول أيضا، أن الخلافه كانت لعلى (۳)،فإذا ما كانت الخلافه صائره إليه، لفرض على الناس اتّباع الحق،و لم ترضخ قريش لهذا الأمر، فرأيت من المصلحه ألا ينالها،و نحيّته عنها.

علما بأن الموازين الدينيّه تصرّح أن المتخلف عن الحقّ يجب أن يعود إليه،لا أن يترك الحق لصالح المتخلف.

و مما تتناقله كتب التاريخ،إن الخليفه الأول أمر بمحاربه القبائل المسلمه التى امتنعت عن إعطاء الزكاه،قال:«و الله لو منعونى عقالا كانوا يؤدّونه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم لأقاتلنهم على منعه» (۴).

۱- ۱) الكامل لابن الأثير ج ۲:۲۹۲.

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ج ۲:۱۳۴.

۳- ۳) تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۳۷.

۴- ۴) البدايه و النهايه ج ۶:۳۱۱.

و المراد من هـذا القول،هو أن إقامه الحقّ و إحيائه واجب مهما بلغ الثمن،و بديهى أن موضوع الخلافه حقّ أيضا إلا أنه أغلى من العقال و أثمن.

الإمامه فى العلوم التشريعيه

أشـرنا فى الفصول المتقـدمه،فى معرفه النبى«الرّسول»و قلنـا، وفقا للقانون الثابت و الضـرورى للهـدايه العامه،إن أىّ نوع من أنواع الكائنات يسير نحو الكمال و السعاده المناسبه له و ذلك عن طريق الفطره و التكوين.

و الإنسـان أيضـا أحـد أنواع هـذه الكائنـات لاـ يسـتثنى من القانون العام.و يجب أن يرشـد إلى طريق خاص فى حياته،تضـمن له سعـادته فى الـدنيا و الآـخره،و ذلـك عن طريق الغريزه المتّصـفه بـالنظره الواقعيه للحيـاه،و التأمـل فى حيـاته الاجتمـاعيه،و بعباره أخرى،يجب أن يـدرك مجموعه من المعتقـدات و الوظـائف العمليه، كى يجعلهـا أساسـا له فى حيـاته ليصل بها إلى السـعاده و الكمـال المنشود،و قلنـا أن المنهـاج للحياه و هو ما يسـمى بالـدين لا يتأتّى عن طريق العقل،بل هو طريق آخر و يـدعى الوحى و النبوّه،و التى تظهر فى بعض من أولياء الله الصالحين و هم الأنبياء،و رسل السماء.

فالأنبياء قد أنيطت بهم مسئوليه هدايه النّاس عن طريق الوحى من الله تعالى فإذا ما التزموا بتلك الأوامر و النواهى، ضمنوا السعاده لهم.

يتّضح إن هذا الدليل،فضلا عن أنه يثبت لزوم مثل هذا

الإدراک بین أبناء البشر،یثبت أیضا،لزوم و ضروره وجود أفراد حفظه علی هذا البرنامج،و إیصاله إلی الناس إذا اقتضت الضروره ذلک.

و کذا یستلزم وجود أشخاص قد أدرکوا الواجبات الإنسانیه، و ذلک عن طریق الوحی،و هم بدورهم ینهضون لتعلیم المجتمع،کما یجب أن تبقی هذه الواجبات السماویه،ما دام الإنسان حیا، و تعرض علیه عند الضروره.

فالذی یتحمل عبء هذه المسئولیه،یعتبر حامیا للدین الإلهی، و یعیّن من قبل الله تعالی،و هو من یسمّی ب«الإمام»کما یدعی حامل الوحی الإلهی و الشرائع السماویّه ب«النبی»و هو من قبل الله تعالی أیضا.

یتفق أن تکون النبوه و الإمامه فی شخص واحد،و قد لا یتحقق ذلک،فکما أن الدلیل المتقدم یثبت عصمه الأنبیاء،فإنه یثبت عصمه الأئمه أیضا.

إذ تقتضی رحمه الله و عطفه أن یضع الدین الحقیقی و غیر المحرّف فی متناول أیدی البشر دوما.و لا یتحقق هذا الأمر دون أن تکون هناک عصمه.

الفرق بین النّبی و الإمام

إن تسلم الأحکام و الشرائع السماویه،و التی تتم بواسطه الأنبیاء،إنما یثبت لنا موضوع«الوحی»و هذا ما مرّ علینا فی الفصل المتقدم.و لیس فیه ما یؤید استمراره و بقاءه علی خلاف

الحافظ و الحامی الذی یعتبر أمرا مستمرا،و من هنا نصل إلی نتیجه أن لیس هناک ضروره أن یکون نبی بین الناس بصوره مستمره،لکن یستلزم أن یکون إمام بینهم،و یستحیل علی مجتمع بشری أن یخلو من وجود إمام سواء عرفوه أم لم یعرفوه،و قد أشار الله سبحانه و تعالی فی کتابه: فَإِنْ یَکْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَکَّلْنا بِها قَوْماً لَیْسُوا بِها بِکافِرِینَ (۱).

فکما أشرنا،یتفق أن تجتمع النبوّه و الإمامه فی شخص واحد، فیمتاز بالمقامین النبوه و الإمامه،(تسلم الشریعه و الحفاظ علیها و السعی فی نشرها)و قد لا تجتمع فی واحد،و هناک أدوار من الزمن خلت من وجود الأنبیاء،إلا أن هناک إمام حق فی کل عصر،و من البدیهی أن عدد الأنبیاء محدود،و لم یظهروا فی جمیع الأدوار التی مرّت بها البشریه.

یشیر الله سبحانه و تعالی فی کتابه المبین إلی بعض الأنبیاء الذین امتازوا بصفه الإمامه أیضا،کما فی ابراهیم علیه السّلام إذ یقول: وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ

(۲)

.

و کذا قوله تعالی: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا (۳).

۱- ۱) سوره الأنعام الآیه ۸۹.

۲- ۲) سوره البقره الآیه ۱۲۴.

۳- ۳) سوره الأنبیاء الآیه ۷۳.

الإمامه فی باطن الأعمال

کما أن الإمام قائد و زعیم للأمه بالنسبه للظاهر من الأعمال، فهو قائد و زعیم بالنسبه للباطن من الاعتقادات و الأعمال أیضا، فهو الهادی و القائد للإنسانیه من الناحیه المعنویّه نحو خالق الکون و موجده.

لکی تتضح هذه الحقیقه لا بدّ من مراعاه المقدمتین التالیتین:

أولا: لیس هناک من شک أو تردد فی أن الإسلام و سائر الأدیان السماویه،تصرّح بأن الطریق الوحید لسعاده الإنسان أو شقائه هو ما یقوم به من أعمال حسنه أو سیئه،فالدّین یرشده، کما أن فطرته و هی الفطره الإلهیه تهدیه إلی إدراک الحسن و القبیح.

فالله سبحانه یبیّن هذه الأعمال عن طریق الوحی و النبوه، و وفقا لسعه فکرنا نحن البشر،و بلغه نفهمها و نعیها،بصوره الأمر و النهی و التحسین و التقبیح فی قبال الطاعه أو التمرد و العصیان، یبشر الصالحین و المطیعین بحیاه سعیده خالده،و قد احتوت علی کل ما تصبو إلیه البشریه من حیث الکمال و السعاده،و ینذر المسیئین و الظالمین بحیاه شقیّه خالده،و قد انطوت علی البؤس و الحرمان.

و لیس هناک أدنی شکّ من أن الله تعالی یفوق تصورنا و ما یجول فی أذهاننا و لکنه لا یتصف بصفه البشر من حیث التفکیر.

و لیس لهذه الاتفاقیه أن یکون هناک سیّد و مسود و قائد و مقود، و أمر و نهی و ثواب و عقاب واقع خارجی سوی فی حیاتنا

الاجتماعیه.أما الجهاز الإلهی فهو الجهاز الکونی الذی یربط حیاه کل مخلوق و کائن بالله الخالق ربطا وثیقا.

و مما یستفاد من القرآن الکریم (۱)و أقوال النبی العظیم صلی اللّه علیه و آله و سلم أن الدین یشتمل علی حقائق و معارف تفوق فهمنا و إدراکنا الاعتیادی، و أن الله جلّ شأنه قد أنزلها إلینا بتعبیر بسیط یلائم تفکیرنا،کی یتسنی لنا فهمها و إدراکها.

یستنتج مما تقدم أن هناک ارتباطا بین الأعمال الحسنه و السیئه من جهه،و الحیاه الأخری بما تمتاز به من خصائص و صفات من جهه أخری ارتباطا واقعیا،تکشف عن سعاده أو شقاء.

و بعباره أوضح،أن کل عمل من الأعمال الحسنه و السیئه تولد فی الإنسان حقیقه،و الحیاه الأخرویه ترتبط بهذه الحقیقه ارتباطا وثیقا.

إن الإنسان فی حیاته یشبه الطفل،سواء أشعر بهذا الأمر أم لم یشعر،حیث تلازمه شئون تربویّه،فهو یدرک ما یملی علیه مربیّه بألفاظ الأمر و النهی،لکنه کلما تقدم فی العمر استطاع أن یدرک ما قاله مربیه،فینال بذلک الحیاه السعیده،و ما ذلک إلا بما اتّصف به من ملکات،و إذا ما رفض و عصی معلمه الذی کان یسعی له بالصلاح،نجد حیاته ملیئه بالمآسی و الآلام.

فالإنسان یشبه المریض الذی دأب علی تطبیق أوامر الطبیب فی الدواء و الغذاء،أو ریاضه خاصه،فهو إذا لم یبال إلاّ بما أملاه

۱- ۱) «وَ الْکِتٰابِ الْمُبِینِ* إِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتٰابِ لَدَیْنٰا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ» سوره الزخرف الآیه ۲-۴.

عليه طبيبه،فعندئذ يجد الراحه و الصحه،و يشعر بتحسن صحته.

و خلاصه القول،إن الإنسان يتصف بحياه باطنيه غير الحياه الظاهريه التي يعيشها،و التي تنبع من أعماله،و ترتبط حياته الأخرويه بهذه الأعمال و الأفعال التي يمارسها في حياته هنا.

إن القرآن الكريم يثبت هذا البيان العقلي،و يثبت في الكثير من آياته (۱)بأن هناك حياه أسمى و روحا أرفع من هذه الحياه للصالحين و المؤمنين،و يؤكد على أن نتائج الأعمال الباطنيه تلازم الإنسان دوما،و النبي العظيم قد أشار إلى هذا المعنى أيضا في الكثير من أقواله (۲).

ص :۱۷۹

۱- ۱) مثل هذه الآيه: «وَ جٰاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ* لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذٰا فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» سوره ق الآيه ۲۱-۲۲. و الآيه: «مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰاةً طَيِّبَةً» (سوره النحل الآيه ۹۷). «يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ» سوره الأنفال،الآيه ۲۴. و في سوره آل عمران الآيه ۳۰: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ...» . و الآيه: «إِنّٰا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتىٰ وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِي إِمٰامٍ مُبِينٍ» سوره يس الآيه ۱۲.

۲- ۲) على سبيل المثال:يقول تعالى في حديث المعراج لنبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم:«فمن عمل برضائي أمنحه ثلاث خصال:اعرضه شكرا لا يخالطه الجهل و ذكرا لا يخالطه النسيان و محبّه لا يؤثر على محبتي محبه المخلوقين،فإذا أحبّني،أحببته و افتح عين قلبه إلى جلالي و لا أخفي عليه خاصه خلقي و أناجيه في ظلم الليل و نور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين و مجالسته معهم و اسمعه كلامي و كلام ملائكتي و أعرّفه السرّ الذي سترته عن خلقي و ألبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق و يمشي على الأرض مغفورا له و اجعل قلبه واعيا و بصيرا و لا أخفي عليه شيئا من جنه و لا نار و أعرّفه ما يمرّ على الناس في القيامه من الهول و الشده.بحار الأنوار ج ۱۷:۹. عن أبي عبد الله عليه السّلام قال:استقبل رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم حارثه بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له:كيف أنت يا حارثه بن مالك؟فقال:يا رسول الله مؤمن حقا.فقال-

ثانيا: كثيرا ما يحدث أن يرشد شخص أحدا بعمل حسن دون أن يلتزم هو بذلك العمل،فى حين أن الأنبياء و الأئمه الأطهار ترتبط هدايتهم للبشر بالله جلّ و علا،و يستحيل أن يشاهد عندهم هذه الحاله،و هو عدم الالتزام بالقول أو العمل به،فهم العاملون بمبادیء الدين الذى هم قادته و أئمته و هم متّصفون بروح معنويه ساميه،يرشدون بها النّاس،و يهدونهم إلى الطريق القويم.

فإذا أراد الله سبحانه أن يجعل هدايه أمّه على يد فرد من أفرادها،يربّى ذلك الفرد تربيه صالحه تؤهّله للقياده و الإمامه، و لن تجد لسنه الله تبديلا.

مما تقدم نستطيع أن نحصل على النتائج التاليه:

۱- إن النبى أو الإمام لكل أمّه،يمتاز بسموّ روحى و حياه معنويّه رفيعه،و هو يريد هدايه الناس إلى هذه الحياه.

۲- بما أنهم قاده و أئمه لجميع أفراد ذلك المجتمع،فهم أفضل من سواهم.

۳- إن الذى يصبح قائدا للأمه بأمر من الله تعالى،فهو قائد للحياه الظاهريه و الحياه المعنويه معا،و ما يتعلّق بهما من أعمال، تسير مع سيره و نهجه (۱).

۲)

-له رسول الله،لكل شيء حقيقه فما حقيقه قولك؟فقال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى و أظمأت هواجرى فكأنى أنظر إلى عرش ربّى و قد وضع للحساب و كأنى أنظر إلى أهل الجنه يتزاورون فى الجنه و كأنى أسمع عواء أهل النار فى النار،فقال رسول الله عبد نوّر الله قلبه الوافى الجزء الثالث صفحه ۳۳.

۱- ۱) «وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا وَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرٰاتِ...» سوره الأنبياء الآيه ۷۳. «وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا» سوره السجده الآيه ۲۴. و يستفاد من الآيات المتقدمه و ما شابهها،أن الإمام فضلا عن الإرشاد و الهدايه-

أئمه الإسلام و قادته

و مما تقدم يستنتج أنه بعد وفاه الرسول العظيم صلى اللّه عليه و آله و سلم ما زال و لا يزال إمام معيّن من قبل الله تعالى فى الأمه الإسلاميه.

و هناك المزيد من الأحاديث النبويه (۱)فی وصف الأئمه و عددهم، و أنهم من قریش و من أهل بیته صلی اللّه علیه و آله و سلم،و أن منهم الإمام المهدی و هو آخرهم.

و هناك نصوص صريحه (۲)أيضا من الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى إمامه على عليه السّلام،و أنه الإمام الأوّل و هكذا روايات و أحاديث أخرى عنه صلى اللّه عليه و آله و سلم و عن الإمام على عليه السّلام بشأن الإمام الثانى،و هكذا كل إمام ينبئ بالإمام الذى يليه و يأتى بعده.

(۱)

-الظاهريه يختص بنوع من الهدايه المعنويه،و يعتبر من سنخ عالم الأمر و التجرد،فهو بواسطه الحقيقه و النور الباطنى الذى يتصف به،يستطيع أن يؤثر فى القلوب المهيأه، و أن يتصرف بها كيفما شاء،و يسيّرها نحو مراتب الكمال و الغايه المتوخاه،فتأمّل.

ص :۱۸۱

---

۱ – ۱) على سبيل المثال عن جابر بن سمره قال:سمعت رسول الله يقول:لا يزال هذا الدين عزيزا إلى اثنى عشر خليفه،قال:فكبّر الناس و ضجّوا ثم قال كلمه خفيّه.قلت لأبى: يا ابه،ما قال:قال:قال كلهم من قريش...صحيح أبى داود ج ۲:۲۰۷،مسند أحمد ج ۵:۹۲ و أحاديث أخرى بهذا المضمون. عن سلمان الفارسى قال:دخلت على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فإذا الحسين على فخذيه و هو يقبّل عينه و يقبّل فاهه و يقول:أنت سيّد ابن سيد،و أنت إمام ابن إمام،و أنت حجه ابن حجه، و أنت أبو حجج تسعه،تاسعهم قائمهم.ينابيع الموده الطبعه السابعه صفحه ۳۰۸.

۲ – ۲) يراجع كتاب الغدير تأليف العلامه الأمينى،و كتاب غايه المرام تأليف السيد هاشم البحرانى،و كتاب الهداه تأليف محمد بن حسن الحر العاملى و كتاب ذخائر العقبى تأليف محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبرى.و كتاب المناقب للخوارزمى.و كتاب تذكره الخواص لابن الجوزى.و كتاب ينابيع الموده لسليمان بن ابراهيم الحنفى.و كتاب الفصول المهمه لابن الصباغ و كتاب دلائل الإمامه لمحمد بن جرير الطبرى.و كتاب النص و الاجتهاد لشرف الدين الموسوى.و كتاب أصول الكافى الجزء الأول لمؤلفه محمد بن يعقوب الكلينى.و كتاب الإرشاد للشيخ المفيد.

و بمقتضى هذه النصوص،فإن أئمه الإسلام اثنا عشر بالترتيب التالى:

۱-على بن أبى طالب عليه السّلام.

۲-الحسن بن على عليه السّلام.

۳-الحسين بن على عليه السّلام.

۴-على بن الحسين عليه السّلام.

۵-محمد بن على عليه السّلام.

۶-جعفر بن محمد عليه السّلام.

۷-موسى بن جعفر عليه السّلام.

۸-على بن موسى عليه السّلام.

۹-محمد بن على عليه السّلام.

۱۰-على بن محمد عليه السّلام.

۱۱-الحسن بن على عليه السّلام.

۱۲-محمد بن الحسن المهدى عليه السّلام.

موجز عن حياه الأئمه الاثنى عشر

الإمام الأول:

هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب،و أبو طالب شيخ بنى إبراهيم و عمّ النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم،و قد ربّى محمدا فى حجره،و بعد أن بعث بالرساله،كان مدافعا عنه،يحميه من شرّ المشركين و خاصه قريش.

ولد على-على أشهر الروايات-قبل البعثه النبويه بعشر

سنوات،و عند ما أصاب مكه و أطرافها الجدب،كان عمره آنذاك ست سنوات،فاقترح النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم أن ینتقل من بیت أبیه«أبی طالب» إلی بیته صلی اللّه علیه و آله و سلم لیصبح فی کنفه و تحت رعایته (۱).

نال محمد بعد سنوات عده مقام النبوه،و قد أوحی إلیه لأول مره و هو فی غار«حراء»فرجع إلی بیته،و أخبر علیا بما جری علیه،فآمن علیّ علیه السّلام به (۲).

و قد دعا النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم عشیرته الأقربین إلی دینه الجدید،قائلا:

«من یؤازرنی علی هذا الأمر،یکن وصیّ و وزیری و وارثی و خلیفتی من بعدی».

فلم یستجب أحد لهذه الدعوه إلاّ علیّ،حیث قام و قال:أنا یا رسول الله،فقبل الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم إیمانه،و أقرّ بما وعده إیّاه (۳)،فهو أول من أسلم و قبل الإسلام من الرجال و آمن به،و هو لم یعبد إلاّ الله سبحانه.

کان علیّ یرافق النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم دوما،إلی أن هاجر من مکه إلی المدینه،و فی لیله الهجره،عند ما حوصر بیت النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و کان الکفار و المشرکون قد جهّزوا الحمله للهجوم علی بیت النبوه و الرساله،و قتل النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی فراشه،نام علیّ فی فراش الرسول، و خرج الرسول مهاجرا إلی یثرب (۴)،فردّ علیّ الأمانات إلی أهلها

۱- ۱) الفصول المهمه الطبعه الثانیه صفحه /۱۴المناقب للخوارزمی صفحه ۱۷.

۲- ۲) ذخائر العقبی طبعه القاهره سنه ۱۳۵۶ صفحه /۵۸المناقب للخوارزمی طبعه النجف سنه ۱۳۸۵،صفحه ۱۶-/۲۲ینابیع الموده الطبعه السابعه.

۳- ۳) الإرشاد للشیخ المفید طبع طهران ۱۳۷۷ صفحه /۴ینابیع الموده صفحه ۱۲۲.

۴- ۴) الفصول المهمه صفحه ۲۸-/۳۰تذکره الخواص طبع النجف ۱۳۸۳ صفحه /۳۴ ینابیع الموده ص /۱۰۵المناقب للخوارزمی ص ۷۳-۷۴.

حسب ما وصی به النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و توجّه إلی یثرب مع أمّه،و زوجتی الرسول و ابنته (1).

کان علی بن أبی طالب ملازما للرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم لا یفارقه، و زوّجه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم ابنته فاطمه سلام الله علیها.

لما أقام النبی عقد الأخوه و أنشأها بین أصحابه،جعل علیا أخا له (2).

کان علی علیه السّلام یشارک فی جمیع غزوات النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم عدا غزوه تبوک،إذ استخلفه الرسول فی المدینه (3)،فلم یتراجع فی جمیع تلک الغزوات عن مواجهه الخصم،و لم یخالف النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی أمر.

و قد قال النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی حقّه علیه السلام:«علیّ مع الحقّ و الحقّ مع علی» (4).

کان عمره الشریف یوم توفی الرسول العظیم ثلاثا و ثلاثین سنه،فنحّی عن منصب الخلافه،علما بأنه کان منارا لجمیع المثل الإنسانیه،ممیزا عن أقرانه و عن کل صحابه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و قد تمسک المخالفون بأعذار منها،أنه شاب لا تجربه له فی الحیاه،و أنه قد قتل صنادید العرب عند محاربه الکفار و هو فی رکاب الرسول الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم،فاستطاعوا بهذه الحجج الواهیه أن یجعلوه بمنأی و بمعزل عن الخلافه و قیاده شئون المسلمین

1- 1) الفصول المهمه صفحه 34.

2- 2) الفصول المهمه صفحه /20تذکره الخواص صفحه 20-/24ینابیع الموده ص 63-65.

3- 3) تذکره الخواص صفحه /18الفصول المهمه صفحه /21المناقب للخوارزمی صفحه 74.

4- 4) مناقب آل أبی طالب تألیف محمد بن علی بن شهرآشوب طبع قم ج 3:62،218. غایه المرام صفحه /539ینابیع الموده صفحه 104.

العامه،فانعزل عن المجتمع،و أصبح جليس داره،و شرع بتربيه الخاصه من أصحابه،و بعد مضى خمس و عشرين سنه،و هى الفتره التى حكم فيها الخلفاء الثلاثه بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم،و بعد مقتل الخليفه الثالث،اتجهت الأمه الإسلاميه إلى على عليه السّلام و بايعته بالخلافه.

كان على عليه السّلام طوال حكومته،و التى لم تدم أكثر من أربع سنوات و تسعه أشهر يسير على نهج الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و اتصفت خلافته بلون من الثوريّه إذ قام بإصلاحات أدّت بالإضرار إلى بعض المنتفعين،فنجد أعلام المعارضه ترتفع،و سيوف المعارضين تشهر، يتقدمهم طلحه و الزبير و معاويه و عائشه فجعلوا مقتل عثمان ذريعه لنواياهم السيئه،و قاموا بالأعمال المضلله.

و الإمام على عليه السّلام استعدّ للحرب للقضاء على هذه الفتنه،و قد جهزت أم المؤمنين جيشا و كان طلحه و الزبير خير من يعينها و ينهض معها بالأمر.فوقع القتال بين الطرفين على مقربه من البصره،و اشتهرت الواقعه بحرب الجمل.

و قام الإمام أيضا بحرب مع معاويه فى الحدود العراقيه الشاميه،عرفت بحرب صفّين،و استغرقت سنه و نصف السنه،و شغل بحرب مع الخوارج فى النهروان،اشتهرت بحرب النهروان.

و يمكن القول بأن معظم تلك الفتره التى حكم فيها الإمام على عليه السّلام قد صرفت لرفع الاختلافات الداخليه،و بعدها أصيب بضربه على يد أحد الخوارج فى مسجد الكوفه،و ذلک صبيحه

یوم التاسع عشر من رمضان المبارک لسنه ۴۰ للهجره،و استشهد فی الیوم الواحد و العشرین من الشهر نفسه (۱).

و التاریخ یشهد أن علیا أمیر المؤمنین علیه السّلام لم تکن تنقصه صفه من الکمالات الإنسانیه،و یؤید هذا الادعاء کل عدو و صدیق.فکان مثلا رائعا فی الفضائل و المثل الإسلامیه،و نموذجا حیا کامل لتربیه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و لا نعدو الحقیقه إذا قلنا إن الکتب التی تناولت هذه الشخصیه الفذّه سواء لدی الشیعه أو السنه و غیرهم من المحققین،لم تتناول أیه شخصیه أخری بهذا القدر فی الحیاه البشریه.

کان علی-علیه السلام-أعلم الصحابه،بل أعلم المسلمین،و هو أول من فتح باب الاستدلال الحرّ فی المسائل العلمیه،و استعان بالبحوث الفلسفیّه فی المعارف الإلهیه،و تکلم عن باطن القرآن، و وضع قواعد اللغه العربیه حفاظا علی ألفاظ القرآن الحکیم، و کان أفصح العرب بیانا،و أبلغهم خطابا(کما أشرنا فی الفصل الأول من الکتاب)و کان یضرب به المثل فی شجاعته،و لم یدع للقلق أو الخوف طریقا إلی قلبه،فی تلک الغزوات و الحروب التی مارسها و اشترک فیها.

و التاریخ الإسلامی لا یزال یحمل فی طیاته خبر الصحابه و المقاتلین فی الغزوات،و قد انتابهم الفزع و الخوف،و قد تکررت هذه الحاله فی أکثر من واقعه،کحرب«حنین»و«خیبر»و

۱- ۱) مناقب آل أبی طالب ج ۳۱۲/۳:الفصول المهمه ص ۱۱۳.تذکره الخواص ص ۱۷۲- ۱۸۳.

«الخنـدق».إذ انهزم الجيش أمـام الأعـداء،و لكن الإمـام كـان يتصـدى لحملات العـدوّ،و لم يسـلم كل من نازل الإمام من أبطال العرب و محاربيهم،و كان على العاجز عطوفا،فيترك قتله،و لم يعقّب على الفارّ من ساحه الحرب،و لم يغافل العـدوّ ساعه الهجوم عليه،و لم يقطع الماء على الأعداء.

و مما اتفقت عليه كتب التأريخ أنه عليه السلام،فى معركه خيبر،تناول حلقه الباب،و اقتلع الباب و هزه هزه ثم رمى به جانبا (۱).

و مما ينقل أيضا،إنه فى يوم فتح مكه،عند ما أمر الرسول العظيم تحطيم الأصنام،كان هناك صنم يدعى(هبل)و هو أكبر الأصنام وزنـا،و أشـدّها ضـخامه،و كـان قـد وضع فوق الكعبه،صـعد علىّ على أكتاف النبى صـلى اللّه عليه و آله و سـلم بأمر منه،و رمى ب«هبل»إلى الأرض (۲).

لم يكن له شبيه فى تقواه و عبادته،و كان الرسول صـلى اللّه عليه و آله و سـلم يردّ على الذين يحاولون النيل منه بقوله صـلى اللّه عليه و آله و سلم:«لا تسبّوا عليا فإنّه ممسوس فى ذات الله» (۳).

و ذات يوم،رأى الصحابى الجليل أبو الدرداء عليا عليه السّلام فى إحدى ضيعات المدينه فظنّ أنه ميّت لما رأى من عدم الحركه و سكون الجسم،فرجع مسرعا إلى دار فاطمه،أنبأها بالحدث، و عزّاها بوفاه زوجها،فأجابته فاطمه عليه السّلام أنه لم يمت،بل أنه

۱- ۱) تذكره الخواص صفحه ۲۷.

۲- ۲) تذكره الخواص /۲۷المناقب للخوارزمى ۷۱.

۳- ۳) مناقب آل أبى طالب لابن شهرآشوب ج ۳:۲۲۱.

مغشیّ علیه من شده خوفه من الله سبحانه فی عبادته و طاعته، و ما أکثر ما کانت تنتابه هذه الحاله.

و ما أکثر القصص و الروایات التی تشیر إلی رأفته و عطفه بالفقراء و المساکین و المستضعفین،فکان ینفق مما یحصل علی المحتاجین فی سبیل الله تعالی،و هو یعیش عیشه خشنه.

کان یهوی الزراعه،و غالبا ما کان یهتم بحفر الآبار،و عمران الأراضی الموات بتشجیرها،فکان یجعلها وقفا للفقراء و البائسین.

و کانت تطلق علی کل هذه الموقوفات،(صدقات علی)و کانت لها عائدات جمه،و کانت تقدر هذه الموقوفات ب(أربعه و عشرین رطلا ذهبا)فی السنوات الأخیره من عهده علیه السّلام (۱).

الإمام الثانی:

هو الإمام الحسن المجتبی و أخوه الحسین علیهم السّلام،ولدا أمیر المؤمنین علی علیه السّلام من فاطمه الزهراء سلام الله علیها،بنت الرسول الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و قد قال النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم مرارا أن الحسن و الحسین ولدای، و احتراما لهذا القول کان علی علیه السّلام یقول لباقی أولاده:أنتم أولادی،و الحسن و الحسین ولدا رسول الله صلی اللّه علیه و آله و سلم (۲).

ولد الحسن علیه السّلام فی المدینه السنه الثالثه من الهجره،عاصر جده الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم مده تزید علی سبع سنوات،کان یتمتع برعایه

۱- ۱) نهج البلاغه الجزء الثالث الکتاب ۲۴.

۲- ۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۲۱،۲۵/ذخائر العقبی صفحه ۶۷،۱۲۱.

جده و عطوفته،و قد توفيت أمه فاطمه سيده النساء بعد وفاه جده،بثلاثه أو سته أشهر،فتعهده والده بالتربيه.

و بعد استشهاد أبيه على عليه السّلام نال مقام الإمامه الشامخ،و ما ذلک إلا بأمر من الله العلى العليم،و عملا بوصيه الإمام على عليه السّلام،فاحتلّ مقام الخلافه ظاهرا،و عمل فى إراده المسلمين، طوال سته أشهر.

جهّز معاويه الجيش لمحاربه الحسن عليه السّلام،بعد أن قضى فتره فى الحرب ضد أبيه الإمام على عليه السّلام،و كان معاويه من ألدّ أعداء آل على بعد استشهاد الإمام علىّ،(فحارب بحجه الثأر لدم عثمان ابتداء و بعد ذلک صرّح بطلبه للخلافه)،فوجّه الجيش إلى الكوفه، حيث كان مقرّ الخلافه للإمام الحسن عليه السّلام،و استطاع أن يكسب قاده جيش الإمام بالتطميع بالمال،أو الوعد بالمقام و الجاه،فأغوى بهذا عددا من رؤساء و قاده الجيش،الذين تخاذلوا تاركين خلفهم أمامهم،متجهين نحو معاويه و ثرواته.

و فى نهايه الأمر أجبر الإمام الحسن عليه السّلام على الصلح [(۱)](#)، و أحال الخلافه الظاهريه بالشروط التى اشترطها إلى معاويه، منها أن تكون الخلافه للحسن بعد وفاه معاويه،و أن يصان شيعته و عشيرته من أىّ تعرض أو اعتداء و بهذا استطاع معاويه أن يأخذ بزمام الأمور فى الشام،ثم دخل العراق،و أعلن إلغاءه لشروط الصلح التى أبرمها بالأمس مع الإمام الحسن،و ذلک فى اجتماع

۱- ۱) إرشاد المفيد /۱۷۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۱۳۳.الإمامه و السياسه تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبه ج ۱:۱۶۳ الفصول المهمه /۱۴۵تذكره الخواص ۱۹۷.

عام للمسلمين،و مارس أقسى أنواع الاضطهاد و الشده على أهل بيت النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و الشيعه خاصه.

عاش الإمام الحسن طوال مده إمامته(عشر سنوات)حياه محاطه بالقمع،و لم يكن بمأمن حتى فى بيته مع عائله و أهل بيته، فاستشهد على يد زوجته إذ دست إليه السمّ بإيعاز من معاويه، و ذلك سنه ۵۰ للهجره النبويه.

كان الحسن مثالا فذا لجدّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و نموذجا كاملا للخلق الأبيّه لأبيه،فكان و أخوه الحسين ملازمين للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،و كان يحملهما على كتفه أحيانا.

و مما يروى عن العامه و الخاصه،أن الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم قال:

الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا،و الروايات عن الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و على عليه السّلام متوافره بإمامه الحسن بعد أبيه عليهما السلام.

الإمام الثالث:

هو الإمام الحسين(سيّد الشهداء)ثانى ولد على عليه السّلام من فاطمه بنت النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

ولد فى السنه الرابعه الهجريه،و بعد استشهاد أخيه الحسن المجتبى،وصلت إليه الإمامه بأمر من الله جلّ شأنه،و وفقا للوصيه (۱).

تعتبر مده إمامه الإمام الحسين عليه السّلام عشر سنوات،عاشها

۱- ۱) إرشاد المفيد /۱۷۹إثبات الهداه ج ۵:۱۶۸-۲۱۲.إثبات الوصيه للمسعودى طبعه طهران ۱۳۲۰ صفحه ۱۲۵.

مضطهدا.فمعاویه قد استخدم شتی الطرق و الوسائل لتصفیه أهل البیت،و کان یستعین بأعوان و أنصار له فی تحقق هذا الأمر.

فحاول طمس اسم علی و آل علی.و مهّد السبل لخلافه ابنه یزید، فهیّأ المقدمات اللازمه التی لا بدّ من اتخاذها لتشریع حکمه،و إن کانت هناک فئه معارضه لما شاهدوه من فجور یزید و فسقه.إلا أنهم لم یسلموا من غضب معاویه و سخطه،فوجّه إلیهم الضربات قاصمه.

فالحسین عاصر هذه الظروف الحالکه،و تحمّل کلّ الأذی من قبل معاویه و أتباعه،حتی جاء منتصف سنه ستین للهجره،التی مات فیها معاویه،مخلفا ابنه یزید (۱).

کانت البیعه سنّه عربیه تجری فی الأمور الهامه کالملوکیه و الإماره و ما شابه،فیتقدم الساده و کبار القوم بمدّ ید البیعه و الطاعه للملک أو الأمیر،و کان یعتبر التخلّف عن البیعه عارا، و تخلّفا عن معاهده رسمیه،و البیعه کانت معتبره فی زمن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و سیرته تؤید ذلک،هذا إذا کانت تتصف بصفه الاختیار دون الإجبار و الإکراه.

لقد أخذ معاویه البیعه من شرفاء القوم و رؤسائهم،إلا أنه لم یتعرض للحسین علیه السّلام،و لم یحمّله بیعه یزید،و قد أوصی یزید بعدم التعرض للحسین بن علی،إذا امتنع من البیعه له،فکان معاویه أکثر حنکا فی الأمور،و کان یری العقبات التی تترتب علی هذا الأمر

۱- ۱) إرشاد المفید /۱۸۲تاریخ الیعقوبی ج ۲:۲۲۶-/۲۲۸الفصول المهمه ۱۶۳.

و لكن يزيد لما كان يتّصف به من أنانيه،نسى وصيه أبيه،فأمر والى المدينه بعد وفاه أبيه معاويه أن يأخذ البيعه من الحسين،أو يرسل برأسه إليه (۱).

و بعد أن أبلغ والى المدينه بأمر يزيد،و نقله إلى الإمام الحسين عليه السّلام طلب الحسين عليه السّلام مهله لدراسه الموضوع،فخرج من المدينه فى تلك الليله،متّجها إلى مكه،و التجأ بالكعبه التى هى مأمن للمسلمين.

هذا ما حدث أواخر شهر رجب،و أوائل شهر شعبان من سنه ستين للهجره،فالحسين لما قضى ما يقارب الأربعه أشهر فى مكه، فى حاله اللجوء انتشر هذا النبأ شيئا فشيئا،حتى عمّ جميع البلدان الإسلاميه،فأيّد الحسين جمع من الأمه الإسلاميه،لما شاهدوه من ظلم و تعسّف فى زمن معاويه و ابنه يزيد.

هذا من جهه،و من جهه أخرى،فقد انهالت الرسائل الوارده من العراق،و خاصه من الكوفه إلى الحسين بن على،تطلب منه أن يتّجه إلى العراق،ليصبح قائدا لهم،و تتم على يده إزاله معالم الظلم و الجور،فكان من الطبيعى أن يشعر يزيد بخطوره الموقف.

مكث الحسين عليه السّلام فى مكه حتى موسم الحجّ،فكانت تفد جماعات من المسلمين لأداء فريضه الحج.

و علم الحسين عليه السّلام بأن هناك من أعوان يزيد و عملائه من قد وصل إلى مكه و هم يرتدون رداء الإحرام،و قد أخفوا تحته

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج:/۸۸إرشاد المفيد صفحه ۱۸۲ الإمامه و السياسه ج ۱: /۲۰۳تاريخ اليعقوبى ج ۲:/۲۲۹الفصول المهمه /۱۶۳تذكره الخواص صفحه ۲۳۵.

السلاح،لقتله حين قيامه بأداء فريضه الحج (۱).

قرّر الحسين مغادره مكه متجها إلى العراق،فوقف خطيبا (۲)بين جمع غفير من المسلمين،فأوجز فی خطبته و أعلمهم بسفره إلى العراق،و أشار باستشهاده فی هذا الطريق،و طلب العون منهم،فی سبيل أهدافه المقدّسه،و ألا يتوانوا عن نصرته و نصره الإسلام،دين الله الحنيف،و غداه ذاک اليوم،سلک طريق العراق و معه أهله و عياله،و نفر من شيعته و أصحابه.

لقد صمّم الحسين عليه السّلام على عدم البيعه ليزيد،و هو على علم بأن الطريق هذا سينتهی به إلى الاستشهاد و كان يعلم أن الجيش الأموی يتصف بالعده و العدد،و أنه مؤيّد من قبل عامه الناس و خاصه أهل العراق.

و قد جاء إليه جماعه ممن لهم صله به،فذكروا له خطوره الموقف و السفر الذی هو عازم عليه،و النهضه التی هو قائدها، فأجابهم الحسين عليه السّلام بما مضمونه،إننی لن أبايع يزيدا،و لا أقرّ بحكومه جائره،و إنی على علم بأنهم يريدون قتلی أينما أقمت، و ما تركی لهذه البقعه المكرّمه إلا لحرمه هذا المكان المقدّس(بيت الله الحرام)،و ألا تهتک حرم الله تعالى،بإهراق دمی (۳).

سار الحسين عليه السّلام إلى العراق،و فی طريقه،وصله نبأ بواسطه أحد شيعته،عن مقتل رسوله و مبعوثه إلى الكوفه،على يد والی

۱- ۱) إرشاد المفيد ۲۰۱.

۲- ۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۸۹.

۳- ۳) إرشاد المفيد /۲۰۱الفصول المهمه ۱۶۸.

یزید،و قد أمر الوالی بعد قتلهم،أن تربط أرجلهم بالحبال،و یدار بها فی شوارع الکوفه و أزقتها (۱).

فکانت الکوفه و ضواحیها،تحت مراقبه شدیده من قبل الأعداء،تنتظر قدوم الحسین،و الإشارات داله علی قتله لا محاله.و هنا أعلن الحسین علیه السّلام مصرحا بنبإ قتله دون تردد، و استمر فی سیره (۲).

حوصر الحسین علیه السّلام و من معه من قبل الجیش الأموی،علی مسافه سبعین کیلومترا من مدینه الکوفه،فی منطقه تسمی (کربلاء).فکانت تضیّق دائره الحصار علی هؤلاء،و یزداد الجیش الأموی عددا و عده،و آل الأمر إلی أن استقر الإمام مع القله من أصحابه تحت الحصار من قبل ثلاثین ألفا من الأعداء (۳).

حاول الإمام فی هذه الأیام،أن یثبت أنصاره،فأخرج من جنده من أخرج،و أمر بأن یجتمع الأصحاب،فاجتمعوا،فقال الإمام علیه السّلام فی خطاب بهم،أن القوم لم یریدوا إلا قتلی،و أنا رافع بیعتی عنکم،فمن أراد منکم الفرار،فلیتخذ اللیل له سترا،و ینجی بنفسه من الفاجعه الموحشه التی تتربص بنا.

فأمر بإطفاء الأنوار،و تفرق جمع کثیر ممن کان معه،من الذین لم تکن أهدافهم سوی الماده و القضایا المادیه،و لم یبق معه إلا روّاد الحقّ و متبعو الحقیقه،و هم ما یقارب من أربعین شخصا،و عدد

۱- ۱) إرشاد المفید /۲۰۴الفصول المهمه /۱۷۰مقاتل الطالبیین الطبعه الثانیه ص ۷۳.

۲- ۲) إرشاد المفید /۲۰۵الفصول المهمه /۱۷۱مقاتل الطالبیین ص ۷۳.

۳- ۳) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۹۸.

من بنی هاشم،و للمره الثانیه،جمع الإمام الحسین علیه السّلام أصحابه، فخطب فیهم قائلا:

«اللهم إنی أحمدک علی أن کرمتنا بالنبوه و علمتنا القرآن و فقّهتنا فی الدین،و جعلت لنا أسماعا و أبصارا و أفئده فاجعلنا من الشاکرین.

أما بعد،فإنی لا أعلم أصحابا أوفی و لا خیرا من أصحابی،و لا أهل بیت أبرّ و لا أوصل من أهل بیتی،فجزاکم الله عنی خیرا،ألا و إنی لا أظن یوما لنا من هؤلاء،ألا و إنی قد أذنت لکم فانطلقوا جمیعا فی حلّ لیس علیکم منی زمام،هذا اللیل قد غشیکم فاتخذوه جملا»

فقال له إخوته و أبناؤه و بنو أخیه و ابنا عبد الله بن جعفر،لم نفعل ذلک لنبقی بعدک!؟

قال بعضهم:ما نفعل ذلک،و لکن نفدیک بأنفسنا و أموالنا و أهلینا،و نقاتل معک حتی نرد موردک،فقبّح الله العیش بعدک.

فقام مسلم بن عوسجه خطیبا،قال:أ نحن نخلّی عنک و بما نعتذر إلی الله فی أداء حقّک،أما و الله حتی أطعن فی صدورهم برمحی و اضربهم بسیفی ما ثبت قائمه فی یدی،و لو لم یکن معی سلاح أقاتلهم به،لقذفتهم بالحجاره،و الله لا نخلیک حتّی یعلم الله أنّا قد حفظنا غیبه رسوله فیک.

أما و الله،لو قد علمت أنی أقتل ثم أحیی ثم أحرق ثم أحیی، ثم أذری،یفعل ذلک بی سبعین مره،ما فارقتک حتی ألقی حمامی (الموت)دونک،و کیف لا أفعل ذلک،و إنما هی قتله واحده،ثم هی

الكرامه التی لا انقضاء لها أبدا (۱).

وصل الإنذار إلی الإمام فی عصر یوم التاسع من محرم(أمّا البیعه أو القتال)من جانب العدو فطلب الإمام المهله لتلک اللیله لغرض العباده،و تأجیل القتال للیوم التالی (۲).

و فی یوم العاشر من المحرم سنه ۶۱ ه.ق استعد الإمام مع جمعه القلیل(لا یتجاوز عددهم تسعین شخصا،أربعون ممن جاءوا معه،و نیف و ثلاثون التحقوا بالإمام فی لیله الحرب و نهارها من جیش الأعداء،و البقیه کانوا من الهاشمیین،بما فیه ولده و أخوته و أبناء أخوته و أبناء أخواته و أبناء عمومته)استعدوا فی معسکر واحد أمام العدد الغفیر من جیش الأعداء،فاشتعلت نار الحرب.

حارب هؤلاء من الصباح الباکر حتی الظهیره،و استشهد الإمام مع سائر الفتیه الهاشمیین،فلم یبق منهم أحد،(و کان بین القتلی طفلان للإمام الحسن و طفل و رضیع للإمام الحسین علیه السّلام).

أغار الجیش بعد انتهاء الحرب علی حرم الإمام،و أشعلوا النیران فی مخیّماتهم و حزّوا رءوس الشهداء و سلبوا ما علی أبدانهم من رداء و ملابس،و ترکوا الأجساد عاریه علی الأرض، دون أن یواروهم فی التراب،ثم ساروا بأهل بیت الإمام(حرمه) زوجاته و بناته اللواتی لم یکن لهنّ مأوی مع رءوس الشهداء إلی جانب الکوفه(و لم یکن فی الأسری من الرجال سوی القلیل،منهم

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۹۹/۴:إرشاد المفید ص ۲۱۴.

۲- ۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۹۸/۴:إرشاد المفید ص ۲۱۴.

ابن الإمام و هو السجاد شاب فی سن الثانیه و العشرین،و قد اشتدّ علیه المرض،و ولده فی سن الرابعه(محمد بن علی)الإمام الباقر علیه السّلام،و کان ممن بقی أیضا الحسن المثنی ابن الإمام الحسن، و الذی کان صهرا للإمام الحسین علیه السّلام و کان قد أصیب بجراح کثیفه فی جسمه،و کان طریحا بین القتلی و قد عثروا علیه و هو فی آخر رمق من حیاته،و لم یقتل بسبب تشفّع أحد الأمراء،و کان من جمله الأسری الذین جاءوا بهم إلی الکوفه)،و نقلوهم من الکوفه إلی دمشق التی کانت مرکز حکم یزید.

و قد فضحت«واقعه کربلاء»و کذا ما قام به هؤلاء الأسری من خطب،و هم ینقلون من بلد إلی بلد،فی الکوفه و الشام و منهم زینب بنت الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السّلام و الإمام السجاد اللذان کانا من جمله الأسری،فضحت نوایا بنی أمیه،و کشفت النقاب عما کان یقوم به معاویه طوال سنوات عده،حتی أدی الأمر بیزید أن یوبّخ عماله و أعوانه فی الملأ علی هذه الواقعه المفجعه.

کانت واقعه کربلاء عاملا مؤثرا عجّل فی إباده حکومه بنی أمیه،و ساعدت علی ترسیخ مبادی الشیعه و کان من نتائجها الحروب الدامیه طوال اثنی عشر عاما!و ما لازمها من ثورات و انتفاضات،و لم یخلص أحد ممن ساهم و شارک فی مقتل الحسین و أصحابه من الانتقام و الأخذ بالثأر.

و لیس هناک أدنی شک لمن یطالع تأریخ حیاه الإمام الحسین علیه السّلام و یزید،و الأوضاع فی ذلک الوقت،و یدقّق النظر فیها بأنه لم یکن هناک سوی طریق واحد،و هو مقتل الحسین علیه السّلام و ما کانت

نتیجه البیعه لیزید إلا هتکا لحرمات الإسلام،و هذا ما لم یرض به الإمام،لأن یزید لا یحترم الإسلام،و لا یتصف بصفات تجعله یتقید أو یراعی شیئا منه،و لا یأبی من سحق و إباده جمیع المقدسات و القوانین الإسلامیه.بعد أن کان أسلافه یحترمون الشعائر الدینیه،فلم یخالفوها فی الظاهر،و ما کانوا یقومون به من أعمال کانت تصطبغ بصبغه دینیه،و کانوا یحافظون علی المظاهر الدینیه،و یفتخرون بالنبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و سائر القاده و الزعماء الدینیین الذین کانت لهم منزله لدی الناس.

و من هنا یتّضح ما یعتقده بعض مفسری الحوادث و الوقائع التاریخیه بأن الحسن و الحسین کانا یتّصفان بصفات متباینه، فالحسن علیه السّلام یحبّذ الصلح علی خلاف الحسین علیه السّلام الذی کان یرجّح الحرب و القتال،حیث أن الأول اتخذ جانب الصلح مع معاویه مع أن جیشه کان مقدرا بأربعین ألفا،و الثانی«الحسین علیه السّلام»نهض بجیشه الذی یتراوح عدده الأربعین فی القتال ضد یزید،و من هنا یتّضح سقم هذا التفسیر،لأننا نری الحسین علیه السّلام الذی لم یرضخ لحکم یزید یوما واحدا،کان یعیش مع أخیه الحسن علیه السّلام(فی حدود العشر سنوات من حکم معاویه)و لم یعلن الحرب علی معاویه.

و مما لا شک فیه،أن الحسن أو الحسین علیهما السّلام إذا کانا یریدان الحرب ضد معاویه لکان القتل نصیبهما،فضلا عن أن هذا القتل لا ینفع الإسلام و المسلمین بشیء،و لا یجد أیّ نفع أمام سیاسه معاویه،الذی کان یصف نفسه بالصحابیّ و کاتب الوحی

و خال المؤمنين،و ما شابه ذلك مما اتخذه كوسيله و ذريعه.

هذا و كان بإمكانه أن يقتلهم بأيادى مقربيهم،و يبدى حزنه، و الانتقام ممن قام بهذا العمل كما فعل مع الخليفه الثالث.

الإمام الرابع:

هو الإمام السجاد(على بن الحسين الملقب بزين العابدين و السجّاد عليه السّلام).

ولد الإمام الرابع،من شاه زنان بنت«يزدجرد ملك إيران»،و هو الولد الوحيد الذى بقى للإمام الحسين عليه السلام بعد واقعه كربلاء،إذ أن أخوته الثلاثه استشهدوا فيها.و قد شهد الواقعه، و لكنه لم يشارك فيها لمرضه،و لم يكن قادرا على حمل السلاح، فحمل مع الأسرى إلى الشام.

و بعد أن قضى فتره الأسر،ارجع مع سائر الأسرى إلى المدينه، و ما ذلك إلا لجلب رضى عامه الناس.فعند ما رجع الإمام الرابع إلى المدينه،اعتزل عن الناس فى بيته،و تفرّغ للعباده،و لم يتصل بأحد سوى الخواص من الصحابه مثل(أبى حمزه الثمالى)و(أبى خالد الكابلى)و أمثالهم،و لا يخفى أن هؤلاء الخاصه كانوا يوصلون ما يصلهم من الإمام من معارف إسلاميه إلى الشيعه و اتسع نطاق ثقافه الشيعه عن هذا الطريق،فنرى ثماره فى زمن الإمام الخامس(الإمام الباقر عليه السّلام).

و مما ألّفه و صنّفه الإمام السجّاد عليه السّلام كتاب يحتوى على أدعيه تعرف به(الصحيفه السجاديه)و تشتمل على سبعه و خمسين

ص:١٩٩

دعاء،و التی تتضمن أدق المعارف الإلهیه و یقال عنها«زبور آل محمد».

کانت مده إمامته علیه السلام خمسا و ثلاثین سنه حسب بعض الروایات الشیعیه،و دسّ إلیه السم (۱)علی ید«الولید بن عبد الملک» و ذلک بتحریض من هشام،الخلیفه الأموی،سنه ۹۵ للهجره.

الإمام الخامس:

هو الإمام محمد بن علی(الباقر)و لفظ الباقر یدل علی تبحره فی العلم،و قد منحه هذا اللقب،النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۲).

هو ابن الإمام السجّاد،ولد سنه ۵۷ للهجره،و کان عمره فی واقعه کربلاء أربع سنوات،و کان ممن حضرها،نال مقام الإمامه بعد والده،بأمر من الله تعالی،و وصیه أجداده.

و فی سنه ۱۱۴ أو ۱۱۷ للهجره(حسب بعض الروایات الشیعیه) دس إلیه السم بواسطه إبراهیم بن الولید بن عبد الملک،ابن أخ هشام الخلیفه الأموی،فقضت هذه الحادثه علی حیاته،و مضی شهیدا.

فی عهد الإمام الباقر،و علی إثر استفحال ظلم بنی أمیه،کانت تبرز ثورات متعاقبه فی کل قطر من الأقطار الإسلامیه،و تحدث الحروب.

و کان الاختلاف فی حکومه بنی أمیه ظاهرا،هذا ما کان

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:/۱۷۶دلائل الإمامه ص /۸۰الفصول المهمه ص ۱۹۰.

۲- ۲) الإرشاد للشیخ المفید ص /۲۴۶الفصول المهمه ص /۱۹۳مناقب ابن شهرآشوب.

يشغل الحکومه آنذاک،فکانت نتیجتها أن یخفّ من التعرض لأهل البیت،هذا من جهه.

و من جهه أخری،ما حدث من واقعه کربلاء،و ما أبرزت من مظلومیه أهل البیت،متمثله فی الإمام الباقر علیه السّلام،جعل المسلمین یتجهون إلی أهل البیت،و یبدون حبّهم لهم،و إخلاصهم و تعاطفهم معهم.

و هذه العوامل مجتمعه ساعدت علی أن ینصرف ذهن العامّه نحو أهل البیت،فصاروا یتجهون إلی المدینه حیث الإمام الخامس، و کانت العوامل مساعده فی انتشار الحقائق الإسلامیه،علوم أهل البیت علی ید الإمام الباقر،إذ لم یتحقق هذا لأحد من أجداده، و مما یؤید هذا الادعاء هو کثره الأحادیث التی نقلت عن الإمام الخامس،و کذا رجال الشیعه الذین تخصصوا فی شتّی العلوم الإسلامیه علی ید إمامهم،و لا تزال أسماؤهم فی کتب الرجال مدرجه (1).

ص:201

1- 1) إرشاد المفید ص 245-/253یراجع کتاب رجال الکشی،تألیف محمد بن عمر بن عبد العزیز الکشی،و کتاب رجال الطوسی،تألیف محمد بن حسن الطوسی،و کتاب الفهرست للطوسی و سائر کتب الرجال.

الإمام السادس:

هو الإمام جعفر بن محمـد(الصادق عليه السّلام)ابن الإمام الخامس،ولد سـنه ۸۳ للهجره،و استشـهد بعد أن دسّ إليه السمّ، سـنه ۱۴۸ للهجره،و ذلک بتحريض من المنصور الخليفه العباسی (وفق الروايات الشيعيه) (۱).

و فی عهد الإمام السادس،و علی اثر الانتفاضات التی حدثت فی الدول الإسلاميه،و خاصه قيام«ثوره العباسيين»ضد دوله بنی أميه للإطـاحه بهـا،و الحروب المـدمره التی أدّت إلی سـقوط الـدوله الأمويه و انقراضـها،و علی اثر کل هـذا کانت الظروف مؤاتيه و مساعده لنشـر حقائق الإسـلام و علوم أهل البيت التی طالما ساهم فی نشـرها الإمام الخامس طوال عشرين سنه من زمن إمامته، و قد تابع الإمام السادس عمله فی ظروف أکثر ملاءمه،و تفهما.

فاسـتطاع الإمـام الصـادق حتی أواخر زمن إمـامته،و التی کانت معاصـره لآخر زمن خلافه بنی أميه و أوائل خلافه بنی العباس،أن ينتهز هـذه الفرصه،لنشـر التعاليم الـدينيه و تربيه العديـد من الشخصـيات العلميه الفذّه فی مختلف العلوم و الفنون سواء فی العلوم العقليه أو العلوم النقليه.

و من أشـهر أولئک الذين تتلمذوا عند الإمام:زراره،و محمد بن مسلم،و مؤمن الطّاق،و هشام بن الحکم،و أبان بن تغلب،و هشام بن سالم،و حريز،و هشاک الکلبی النسابه،و جابر بن حيان

ص: ۲۰۲

۱- ۱) الأصول الکافی ۴۷۲/:۱دلائل الإمامه /۱۱۱إرشاد المفيد ص ۲۵۴،تاريخ اليعقوبی ج ۳: /۱۱۹الفصول المهمه /۲۱۲تذکره الخواص ۳۴۶ مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۲۸۰.

الصوفی،الکیمیائی و غیرهم.و قد حضر درسه رجال من علماء إخواننا السنه،مثل سفیان الثوری و أبو حنیفه،مؤسس المذهب الحنفی،و القاضی المسکونی و القاضی أبو البختری و غیرهم.

و المعروف أن عدد الذین حضروا مجلس الإمام و انتفعوا بما کان یملیه علیهم الإمام أربعه آلاف محدث و عالم (۱).

و تعتبر الأحادیث المتواتره عن الإمامین الباقر و الصادق،أکثر مما روی عن النبی الأکرم و العشره من الأئمه الهداه.

لکن الأمر قد تغیر فی أخریات حیاته،حیث بدأ الضغط و التشدید من قبل المنصور الخلیفه العباسی،فقد قام بإیذاء الساده العلویین و عرّضهم لأعنف أنواع التعذیب و أقساها و قتل بعضهم،مما لم یشاهد نظیره فی زمن الأمویین مع ما کانوا یتصفون به من قساوه و تهوّر.مارس العباسیون القتل الجماعی للعلویین و ذلک بسجنهم فی سجون مظلمه،و تعذیبهم حتی الموت.

کما أنهم قاموا بدفنهم و هم أحیاء،فی أسس الأبنیه و الجدران (۲).

أصدر المنصور أمرا طلب فیه إحضار الإمام الصادق من المدینه(و کان الإمام قد أحضر إلی العراق مره بأمر من السفاح الخلیفه العباسی،و قبل ذلک قد أحضر إلی دمشق بأمر من هشام الخلیفه الأموی،مع أبیه الإمام الباقر علیه السّلام).

بقی الإمام مده من الزمن تحت المراقبه،و قد عزموا علی قتله عده مرات،و عذبوه،و فی نهایه الأمر سمحوا له بالعوده إلی

۱- ۱) إرشاد المفید ص /۲۵۴الفصول المهمه ص ۲۰۴.مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۲۴۷.

۲- ۲) الفصول المهمه ص /۲۱۲دلائل الإمامه ص /۱۱۱إثبات الوصیه ص ۱۴۲.

المدينه،فرجع،و قضى بقيه عمره هناك،مراعيا التقيه،منعزلا في داره،حتى استشهد على يد المنصور الذى دسّ السلم إليه.

و بعد وصول نبأ استشهاد الإمام إلى المنصور،أمر و إليه في المدينه أن يذهب إلى دار الإمام بحجّه تفقده لأهل بيته،طالبا وصيه الإمام ليطلع على ما وصى الإمام و من هو خليفته من بعده، ليقضى عليه و يقتله في الحال أيضا.

و كان المنصور يهدف من وراء ذلك القضاء تماما على موضوع و مسأله الإمامه و التشيع معا.

و لكن الأمر كان خلافا لتآمر المنصور،و عند ما حضر الوالى وفقا للأوامر المرسله إليه،قرأ الوصيه،رأى أن الإمام قد أوصى لخمس،الخليفه نفسه،و والى المدينه و عبد الله الأفطح ابن الإمام الأكبر و موسى ولده الأصغر و حميده ابنته،و بهذا باءت مؤامره المنصور بالفشل (۱).

الإمام السابع:

هو الإمام موسى بن جعفر(الكاظم)ابن الإمام الصادق عليهم السّلام ولد سنه ۱۲۸ للهجره،و توفى سنه ۱۸۳ اثر تسميمه في السجن (۲)، تولّى منصب الإمامه بعد أبيه بأمر من الله و وصيه أجداده.

عاصر الإمام الكاظم عليه السّلام من الخلفاء العباسيين المنصور

ص :۲۰۴

۱- ۱) أصول الكافى ج ۱:۳۲۰.

۲- ۲) أصول الكافى ج ۱:/۴۷۶إرشاد المفيد ۲۷۰.الفصول المهمه ۲۱۴-/۲۲۳دلائل الإمامه ۱۴۶-۱۴۸.تذكره الخواص ۳۴۸-/۳۵۰مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۲۴. تاريخ اليعقوبى ج ۳:۱۵۰.

و الهادی و المهدی و هارون،عاش علیه السّلام فی عهد مظلم مقرون بالصعوبات،التی کان یواجهها بالتقیه،و حین سافر هارون إلی الحج،و توجه إلی المدینه،فألقی القبض علی الإمام فی الوقت الذی کان مشغولاً بالصلاه فی مسجد جدّه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم نقل إلی السجن بعد أن قیّد بالأغلال،ثم نقل إلی البصره و منها إلی بغداد و ظل ینقل به من سجن إلی سجن لعده سنوات،و فی نهایه الأمر قضی علیه بالسم فی سجن سندی بن شاهک (1)،و دفن فی مقابر قریش،و التی تسمی الیوم بمدینه الکاظمیه.

الإمام الثامن:

هو الإمام علی بن موسی(الرضا)ابن الإمام الکاظم علیهم السّلام ولد سنه ۱۴۸ للهجره(علی أشهر التواریخ)و توفی سنه ۲۰۳ ه.

نال منصب الإمامه بعد أبیه الإمام الکاظم بأمر من الله و نص أجداده،و قد عاصر هارون الرشید الخلیفه العباسی و بعده ابنه الأمین ثم المأمون.

بعد وفاه هارون الرشید،حدث خلاف بین المأمون و الأمین، أدّی إلی حروب بینهما،و کان نتیجتها مقتل الأمین و استیلاء المأمون علی عرش الخلافه (2).

---

۱ - ۱) إرشاد المفید ۲۷۹-/۲۸۳دلائل الإمامه ۱۴۸-۱۵۴.الفصول المهمه /۲۲۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۲۳-/۳۲۷تاریخ الیعقوبی ج ۳:۱۵۰.

۲- ۲) أصول الکافی ج ۱:/۴۸۶إرشاد المفید ۲۸۴-۲۹۶.دلائل الإمامه ۱۷۵-/۱۷۷ الفصول المهمه ۲۲۵-۲۴۶.تاریخ الیعقوبی ج ۳:۱۸۸.

و حتی ذلک الوقت کانت سیاسه بنی العباس بالنسبه إلی الساده العلویین سیاسه قاسیه،یلازمها القتل و الإباده،و کانت تزداد شده و عنفا،و بین فتره و أخری کان یثور ثائر من العلویین، و یقوم بالحروب الدامیه،و هذا ما کان یحدث اضطرابا و مشاکل للدوله و الخلافه آنذاک.

و مع أن أئمه الشیعه من أهل البیت،لم یکونوا علی اتصال بالثائرین،لکن الشیعه مع قله عددهم فی ذلک الیوم کانوا یعتبرون الأئمه هم الهداه إلی الدّین و مفترضی الطاعه و الخلفاء الحقیقیین للنبی الأکرم علیه السّلام،و کانوا ینظرون إلی الدوله و الخلافه العباسیه أنها تمتاز بما کان یمتاز به کسری و قیصر و أنها تساس بید فئه لا صله لها بالإسلام.و أن هذه الأجهزه التی تسوس البلاد بعیده کل البعد عما یتصف به زعماؤهم الدینیون،هذا ما کان یشکل خطرا علی الخلافه،و یهدّدها بالسقوط و الزوال.

فکر المأمون فی هذه المشاکل و الفتن،و رأی أن یبدی سیاسه جدیده،بعد أن کانت سیاسه أسلافه طوال سبعین سنه سیاسه عقیمه لا جدوی منها.فأظهر سیاسته الخادعه بأن یجعل الإمام الثامن ولی عهد له،و بهذه الطریقه سوف یقضی علی کل فتنه و مشکله،و الساده من العلویین إذا وجدوا أن لهم مقاما فی الدوله فإنهم لن یحاولوا الثوره أو القیام ضدّه،و الشیعه أیضا عند ما یشاهدون تقرّب إمامهم من الخلافه التی طالما کانوا یعتبرونها رجسا و یعتبرون القائمین بأمور الخلافه فاسقین،عندئذ سیترکون ذلک التقدیر و الاحترام المعنوی لأئمتهم الذین هم من

أهل البيت،و سرعان ما يسقط حزبهم الدينى،و لا يواجه الخلفاء خطرا من هذه الجهه (۱).

و من البديهى بعد أن يحصل المأمون على ما كان يهدف إليه، فإن قتل الإمام لم يكن بالأمر الصعب.و لغرض تحقق هذه المؤامره أحضر الإمام من المدينه إلى مرو،اقترح عليه الخلافه أولا ـ ثم ولايه العهد ثانيا،فاعتذر الإمام،و لكنه استخدم شتّى الوسائل لإقناع الإمام،وافق الإمام بشرط ألا يتدخل فى شئون الدوله و كذا فى عزل أو نصب أحد من المسئولين (۲).

هذا ما حدث سنه ۲۰۰ للهجره.و لم تمض فتره حتى شاهد المأمون التقدم السريع للشيعه،و تزايد ارتباطهم و علاقتهم بالنسبه للإمام،و حتى العامه من الناس،و الجيش و مسئولى شئون الدوله.

عندئذ التفت المأمون إلى خطوره اشتباهه،و حاول أن يقف أمام هذا التيار،فقتل الإمام بعد أن دسّ إليه السم.

دفن الإمام الثامن بعد استشهاده فى مدينه(طوس)فى إيران، و تعرف اليوم بمدينه مشهد.

كان المأمون يبدى عنايته و رعايته لترجمه العلوم العقليه إلى اللغه العربيه،و كان يقيم المجالس العلميه،التى يحضرها علماء الأديان و المذاهب،و تجرى فيها المناظرات العلميه،و كان الإمام

ص: ۲۰۷

۱- ۱) دلائل الإمامه /۱۹۷مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۶۳.

۲- ۲) أصول الكافى ج ۴۸۹/:۱إرشاد المفيد /۲۹۰الفصول المهمه ۲۳۷.تذكره الخواص /۳۵۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۶۳.

أيضا يشارك فى هذه المجالس و يشترک فى مناظره علماء الأديان و المذاهب،و قد دون العديد منها فى كتب أحاديث الشيعه (۱).

الإمام التاسع:

هو الإمام محمد بن على(التقى،و يلقّب بالإمام الجواد أو ابن الرضا أحيانا)ابن الإمام الرضا عليهم السّلام،ولد فى المدينه سنه ۱۹۵ ه.و استشهد(سنه ۲۲۰)بتحريض من المعتصم الخليفه العباسى على يد زوجته بنت المأمون،و دفن إلى جوار جده الإمام السابع فى مدينه الكاظميه.

حاز درجه الإمامه الرفيعه بأمر من الله و وصيه أجداده،و كان الإمام فى المدينه عند ما توفى أبوه الإمام الرضا،أحضره المأمون إلى بغداد عاصمه خلافته آنذاک،و الظاهر أن المأمون أبدى احترامه و عطفه للجواد،و زوجه ابنته،و أبقاه عنده فى بغداد،و فى الحقيقه أراد أن يراقب الإمام من الخارج و الداخل مراقبه كامله.

مكث الإمام التاسع زمنا فى بغداد،ثم طلب من المأمون الرحيل إلى المدينه،و بقى فيها(المدينه)حتى أواخر عهد المأمون،و فى زمن المعتصم الذى استخلف المأمون،أحضر الإمام الجواد إلى بغداد مرتين،و كان تحت المراقبه الشديده،و فى النهايه-كما ذكر-استشهد بدس السمّ إليه بتحريض من المعتصم على يد زوجه الإمام (۲).

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۵۱/كتاب الاحتجاج لأحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى طبع النجف سنه ۱۳۸۵ ه.ج ۲:۱۷۰-۲۳۰.

۲- ۲) إرشاد المفيد /۲۹۷أصل الكافى ج ۱:۴۹۲-/۴۹۷دلائل الإمامه ۲۰۱-۲۰۹.مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۷۷-/۳۹۹الفصول المهمه ۲۴۷-۲۵۸ تذكره الخواص ۳۵۸.

الإمام العاشر:

هو الإمام على بن محمد(النقى و يلقّب بالهادى أيضا)ابن الإمام الجواد عليهم السّلام،ولد سنه ۲۱۲ ه.فى المدينه،و استشهد سنه ۲۵۴ ه.(وفقا للروايات الشيعيه)بأمر المعتزّ الخليفه العباسى (۱).

عاصر الإمام سبعا من خلفاء بنى العباس:المأمون و المعتصم و الواثق و المتوكّل و المنتصر و المستعين و المعتزّ.

و فى عهد المعتصم سنه ۲۲۰ ه.عند ما استشهد أبوه فى بغداد بالسم الذى دسّ إليه،كان الإمام الهادى فى المدينه،نال منصب الإمامه بأمر من الله تعالى و وصيه أجداده،فقام بنشر التعاليم الإسلاميه حتى زمن المتوكّل.

أرسل المتوكل أحد الأمراء إلى المدينه لإحضار الإمام من هناك إلى سامراء حاضره حكومته و ذلك سنه ۲۴۳ اثر وشايه بعض الأعداء.و كتب إلى الإمام رساله يظهر فيها احترامه و تقديره له، مطالبا إياه فيها بالتوجه إلى العاصمه (۲).

و بعد وصول الإمام إلى سامراء لم يكن هناك ما يلفت النظر من تضييق على الإمام فى بدايه الأمر.إلا أن الخليفه سعى فى

۱- ۱) أصول الكافى ج ۴۹۷:۱-/۵۰۲إرشاد المفيد /۳۰۷دلائل الإمامه ۲۱۶-/۲۲۲ الفصول المهمه ۲۵۹-/۲۶۵تذكره الخواص ۳۶۲ مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۴۰۱. ۴۲۰.

۲- ۲) إرشاد المفيد ۳۰۷-/۳۱۳أصول الكافى ج ۵۰۱/:۱الفصول المهمه /۳۶۱تذكره الخواص /۳۵۹مناقب ابن شهرآشوب ج ۴۱۷/:۴إثبات الوصيه ص /۱۷۶تاريخ اليعقوبى ج ۳:۲۱۷.

اتخاذ شتی الطرق و الوسائل لإیذاء الإمام،و هتک حرمته،فقام رجال الشرطه بتفتیش دار الإمام بأمر من الخلیفه.

کان المتوکل أشدّ عداء لأهل البیت من سائر خلفاء بنی العباس، و خاصه بالنسبه للإمام علی بن أبی طالب علیه السلام،و کان یعلن عداءه و تنفره منه،فضلا عن الکلام البذیء الذی کان یتفوه به أحیانا و کان قد عین شخصا یقلد أعمال الإمام علی علیه السّلام فی مجالسه و محافله،و یستهزیء و ینال من تلک الشخصیه العظیمه.

و أمر بتخریب قبه الإمام الحسین و ضریحه و الکثیر من الدور المجاوره له،و أمر بفتح المیاه علی حرم الإمام و قبره،و أبدلت أرضها إلی أرض زراعیه کی یقضوا علی جمیع معالم هذا المرقد الشریف (۱).

و فی زمن المتوکل أصبحت حاله الساده العلویین فی الحجاز متدهوره و یرثی لها،حتی أن نساؤهم کانت تفتقر إلی ما یسترها، و الأغلبیه منهن کانت تحتفظ بعباءه بالیه،یتبادلنها فی أوقات الصلاه لأجل إقامتها (۲)و کان الوضع لا یقلّ عن هذا فی مصر بالنسبه إلی الساده العلویین.

کان الإمام الهادی صابرا متحملا لکل أنواع هذا الاضطهاد و الأذی و بعد وفاه المتوکل جاء کل من المنتصر و المستعین و المعتزّ إلی منصه الخلافه،و قتل الإمام بأمر من المعتزّ الخلیفه العباسی.

۱- ۱) مقاتل الطالبیین ۳۹۵.

۲- ۲) مقاتل الطالبیین ۳۹۵-۳۹۶.

الإمام الحادی عشر:

هو الإمام الحسن بن علی(العسکری)ابن الإمام الهادی ولد سنه ۲۳۲ ه.و فی سنه ۲۶۰ ه.(وفقا لبعض الروایات الشیعیه) دسّ إلیه السم بإیعاز من المعتمد الخلیفه العباسی،و قضی نحبه مسموما (۱).

الإمام العسکری جاء إلی مقام الإمامه بعد أبیه بأمر من الله تعالی و حسب ما أوصی به أجداده الکرام.و طوال مده خلافته التی لا تتجاوز السبع سنین کان ملتزما بالتقیه،و منعزلا عن الناس حتی الشیعه،و لم یسمح إلا للخواص من أصحابه بالاتصال به، و مع کل هذا فقد قضی زمنا طویلا فی السجون (۲).

و السبب فی کل هذا الاضطهاد:

أولا: کان قد وصل عدد الشیعه إلی حدّ یلفت الأنظار،و صار هذا الأمر واضحا جلیا للعیان،و أیضا صار أئمه الشیعه معروفین أکثر،فعلی هذا کانت الحکومه آنذاک تتعرض للأئمه أکثر من ذی قبل و تراقبهم،و کانت تسعی للإطاحه بهم و إبادتهم بکل الوسائل الخفیه.

ثانیا: قد اطلعت الدوله العباسیه أن الخواص من الشیعه تعتقد أن هناک ولد للإمام الحادی عشر،و طبقا للروایات التی تنقل عن

---

۱ - ۱) إرشاد المفید /۳۱۵دلائل الإمامه /۲۲۳الفصول المهمه ۲۶۶-۲۷۲.مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:/۴۲۲أصول الکافی ج ۱:۵۰۳.

۲- ۲) إرشاد المفید /۳۲۴أصول الکافی ج ۱:/۵۱۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۴۲۹ و ۴۳۰.

الإمام الهادی،و کذا من أجداده،یعرفوه ب(المهدی الموعود)و قد أخبر عنه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (1)بموجب الروایات المتواتره عن الطریقین عند العامه و الخاصه،و یعتبرونه الإمام الثانی عشر لهم.

و لهذا السبب کان الإمام الحادی عشر أکثر مراقبه من سائر الأئمه،فصمّم خلیفه ذلک الزمان أن یقضی علی موضوع الإمامه عند الشیعه بکل وسیله تقتضی بها الضروره،و بهذا یغلق هذا البحث الذی طالما کان مثارا لإزعاجهم.

و لما سمع المعتمد الخلیفه العباسی بمرض الإمام العسکری أرسل إلیه الأطباء مع عدد من القضاه و من یعتمد علیهم کی یراقبوا الإمام عن کثب و ما یجری فی داره،و بعد استشهاد الإمام و وفاته،فتشوا البیت بدقه،و فحصوا الجاریات اللواتی کن یخدمن فی بیت الإمام بواسطه الممرضات(القابلات)،و بقوا یبحثون عن خلف للإمام لمده سنتین حتی استولی علیهم الیأس (2).

1- 1) یراجع صحیح الترمذی ج 9 باب ما جاء فی المهدی/صحیح أبی داود ج 2 کتاب المهدی/صحیح ابن ماجه ج 2 باب خروج المهدی.کتاب ینابیع الموده/کتاب البیان فی أخبار صاحب الزمان لمؤلفه محمد بن یوسف الشافعی/کتاب نور الأبصار لمؤلفه الشبلنجی/کتاب مشکاه المصابیح لمؤلفه محمد بن عبد الله الخطیب/کتاب الصواعق المحرقه تألیف ابن حجر/کتاب إسعاف الراغبین لمؤلفه محمد الصبان/ کتاب الفصول المهمه/صحیح مسلم/کتاب الغیبه تألیف محمد بن إبراهیم النعمانی /کمال الدین تألیف الشیخ الصدوق/إثبات الهداه لمؤلفه محمد بن حسن الحرّ العاملی/بحار الأنوار لمؤلفه العلامه المجلسی ج 51،52.

2- 2) أصول الکافی ج 505/1:إرشاد المفید 319.

دفن الإمام الحادی عشر بعد وفاته فی داره فی مدینه سامراء بجوار مدفن أبیه.

و لا ـ یخفی أن أئمه أهل البیت طوال حیاتهم علّموا و ربّوا العدید من العلماء و المحدثین،إذ یصل عددهم المئات،و مراعاه للاختصار لم نستعرض فهرست أسماء هؤلاء و مؤلفاتهم و الآثار العلمیه التی ترکوها،و شرحا لأحوالهم (۱).

الإمام الثانی عشر:

اشاره

هو الإمام المهدی الموعود(و یذکر بإمام العصر و الزّمان غالبا) ابن الإمام الحادی عشر العسکری،اسمه یطابق اسم النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم ولد فی سامراء سنه ۲۵۵ أو ۲۵۶ ه.

و کان یعیش تحت رعایه والده حتی سنه ۲۶۰ ه.حین استشهاد والده،و کان مختفیا عن أنظار العامه،و لم ینجح أحد بلقائه و الاتصال به إلا الخواصّ من الشیعه.

و بعد استشهاد والده،أنیطت به مهمه الإمامه،و بأمر من الله تعالی،اختار الغیبه،و لم یظهر للعیان إلاّ لنوابه الخواص و فی موارد استثنائیه (۲).

ص: ۲۱۳

۱- ۱) یراجع کتاب رجال الکشی و رجال الطوسی و فهرست الطوسی و سائر کتب الرجال.

۲- ۲) بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۲-۳۴-۳۳۶.کتاب الغیبه تألیف محمد بن حسن الطوسی الطبعه الثانیه صفحه ۲۱۴-۲۴۳.کتاب إثبات الهداه ج ۶ و ۷.

السفراء

عيّن الإمام المهدی علیه السّلام عثمان بن سعید العمری نائبا خاصا له و الذی کان من أصحاب جدّه و أبیه و کان ثقه أمینا،و کان الإمام یجیب علی أسئله الشیعه عن طریق هذا النائب الخاص.

و بعد عثمان بن سعید استخلف ابنه محمد بن عثمان،و بعد وفاه محمد بن عثمان العمری،استناب أبو القاسم حسین بن روح النوبختی.

و بعد وفاه حسین بن روح النوبختی أصبح علی بن محمد السمری نائبا خاصا للإمام المهدی علیه السّلام. و فی أواخر حیاه علی بن محمد السمری إذ لم یبق من حیاته سوی أیام قلائل(سنه ۳۲۹ ه) صدر توقیع من الناحیه المقدسه،فیه إبلاغ لعلی بن محمد السمری بأنه سیموت و یودّع هذه الحیاه بعد سته أیام،و بعدها تنتهی النیابه الخاصه،و تقع الغیبه الکبری،و ستستمر حتی یأذن الله تعالی بالظهور (۱)و حسب هذا التوقیع تنقسم غیبه الإمام إلی قسمین:

الأول:الغیبه الصغری،بدأت سنه ۲۶۰ ه.و انتهت فی سنه ۳۲۹، و استمرت حوالی سبعین عاما. الثانی:الغیبه الکبری،و التی بدأت سنه ۳۲۹،و ستستمر حتی یأذن الله تعالی.و یروی عن النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم فی حدیث متفق علیه(لو لم یبق من الدنیا إلا یوم واحد لطول الله ذلک الیوم حتی یبعث فیه رجلا من أمتی و من أهل بیتی یواطئ اسمه اسمی یملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت جورا و ظلما) (۲).

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۳۶۰-/۳۶۱الغیبه تألیف الشیخ الطوسی ص ۲۴۲.

۲- ۲) الفصول المهمه صفحه ۲۷۱.

بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر العامه

و کما أشرنا فی بحث النبوه و الإمامه،وفقا لقانون الهدایه العامه الجاریه فی جمیع أنواع الکائنات،فالنوع الإنسانی مجهّز بحکم الضروره بقوه(قوه الوحی و النبوه)ترشده إلی الکمال الإنسانی و السعاده النوعیه،و بدیهی أن الکمال و السعاده لو لم یکونا أمرین ممکنین للإنسان الذی تعتبر حیاته حیاه اجتماعیه، لکان أصل التجهیز لغوا و باطلا،و لا یوجد لغو فی الخلقه مطلقا.

و بعباره أخری،أن الإنسان منذ أن وجد علی ظهر البسیطه کان یهدف إلی حیاه اجتماعیه مقرونه بالسعاده و کان یعیش لغرض الوصول إلی هذه المرحله،و لو لم تتحقق هذه الأمنیه فی الخارج، لما وعد الإنسان نفسه بهذه الأمنیه.فلو لم یکن هناک غذاء لم یکن هناک جوع،و لو لم یکن هناک ماء،لم یکن عطش و إذا لم یکن تناسل،لم تکن علاقه جنسیه.

فعلی هذا و بحکم الضروره فإن مستقبل العالم سیکشف عن یوم،یهیمن فیه العدل و القسط علی المجتمع البشری،و یتعایش أبناء العالم فی صلح و صفاء و مودّه و محبّه،تسودهم الفضیله و الکمال.

و طبیعی أن استقرار مثل هذه الحاله بید الإنسان نفسه، و القائد لمثل هذا المجتمع سیکون منجی العالم البشری،و علی حد تعبیر الروایات سیکون(المهدی).

و نجد الأدیان و المذاهب المختلفه القائمه فی العالم مثل الوثنیه، و الیهودیه و المسیحیه و المجوسیه،و الإسلام تبشّر بمصلح و منج

للبشريه،و إن اختلفت فی تصوره.و ما حدیث النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم، المتفق علیه(المهدی من ولدی)إلّا إشاره إلی هذا المعنی.

بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر الخاصه

فضلا عن الروایات المتزایده عن الطریق العامه و الخاصه، و التی تروی عن النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و أئمه أهل البیت علیه السّلام فی ظهور المهدی علیه السّلام و أنه من سلاله النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و مع ظهوره،سیؤدّی بالمجتمع البشری إلی کماله الواقعی و الحقیقی،و سیمنحها الحیاه المعنویه (۱)، فإن هناک روایات متضافره أخری تشیر إلی أن المهدی هو ابن الإمام الحسن العسکری علیه السّلام(الإمام الحادی عشر)بلا فصل (۲)و بعد الغیبه الکبری سیظهر،و یملأ الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا.

---

۱ - ۱) و علی سبیل المثال قال أبو جعفر(ع):إذا قام قائمنا،وضع الله یده علی رءوس العباد فجمع به عقولهم و کملت به أحلامهم،بحار الأنوار ج ۵۲ صفحه ۳۲۸ و ۳۲۶.قال أبو عبد الله(ع):«العلم سبعه و عشرون حرفا فجمیع ما جاءت به الرسل حرفان فلم یعرف الناس حتی الیوم غیر الحرفین،فإذا قام قائمنا أخرج الخمسه و العشرین حرفا فبثّها فی الناس،و ضمّ إلیها الحرفین حتی یبثّها سبعه و عشرین حرفا»بحار الأنوار ج ۵۲ صفحه ۳۳۶.

۲ - ۲) و علی سبیل المثال أیضا:قال علی بن موسی الرضا(ع)فی حدیث:إلی أن قال،الإمام بعدی محمد ابنی و بعد محمد ابنه علی و بعد علی ابنه الحسن و بعد الحسن ابنه الحجه القائم المنتظر فی غیبته،المطاع فی ظهوره،لو لم یبق من الدنیا إلّا یوم واحد لطوّل الله ذلک الیوم حتی یخرج فیملأ الأرض عدلا کما ملئت جورا،و أما متی فقد حدثنی أبی عن أبیه عن آبائه عن علی أنه قیل یا رسول الله متی یخرج القائم من ذریتک فقال:مثله مثل الساعه لا یجلیها لوقتها إلا هو ثقلت فی السموات و الأرض لا یأتیکم إلّا بغته.بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۱۵۴.صفر بن أبی دلف قال سمعت أبا جعفر محمد بن الرضا(ع)یقول(الإمام بعدی ابنی علی،أمره أمری و قوله قولی-

يعترض مخالفو الشيعه بأنه وفقا لاعتقاد هـذه الطائفه،يجب أن يكون عمر الإمام الغائب ما يقرب من اثنى عشر قرنا،فى حين أن الإنسان لا يستطيع أن يعمّر هكذا عمر.

الجواب:الاعتراض هذا مبنى على الاستبعاد،و أن العمر الطويل كهذا يستبعد،لكن الذى يطالع الأخبار الوارده عن الرسول الأعظم فى خصوص الإمام الغائب،و كذا عن سائر أئمه أهل البيت(ع)سيلاحظ أن نوع الحياه للإمام الغائب تتصف بالمعجزه خرقا للعاده،و طبيعى أن خرق العاده ليس بالأمر المستحيل و لا يمكن نفى خرق العاده عن طريق العلم مطلقا.

لذا لا تنحصر العوامل و الأسباب التى تعمل فى الكون فى حدود مشاهدتنا و التى تعرّفنا عليها،و لا نستطيع نفى عوامل أخرى و هى بعيده كل البعد عنا و لا علم لنا بها،أو أننا لا نرى آثارها و أعمالها،أو نجهلها.من هذا يتضح إمكان إيجاد عوامل

(۲)

-و طاعته طاعتى،و الإمام بعده ابنه الحسن،أمره أمر أبيه و قوله قول أبيه و طاعته طاعه أبيه،ثم سكت،فقلت له يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟فبكى بكاء شديدا ثم قال:إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر-بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۱۵۸. قال موسى بن جعفر البغدادى سمعت أبا محمد الحسن بن على يقول:كأنّى بكم و قد اختلفتم بعدى فى الخلف منى أما أن المقرّ بالأئمه بعد رسول الله و المنكر لولدى كمن أقر بجميع أنبياء الله و رسله ثم أنكر نبوّه محمد رسول الله و المنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء لأن طاعه آخرنا كطاعه أولنا و المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا أما أن لولدى غيبه يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله-بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۱۶۰.

فی فرد أو أفراد من البشر بحیث تستطیع تلک العوامل أن تجعل الإنسان یتمتع بعمر طویل جدا قد یصل إلی الألف أو آلاف من السنوات،فعلی هذا فإن عالم الطب لم ییأس حتی الآن من کشف طرق لإطاله عمر الإنسان.

و هذا الاعتراض،من الذین یعتقدون بالکتب السماویه کالیهودیه و المسیحیه و الإسلام وفقا لکتبهم السماویه.و یقرّون المعجزات و خرق العادات التی کانت تتحقق بواسطه أنبیاء الله تعالی،یثیر الإعجاب و الاستغراب.

و یعترض مخالفو الشیعه من أن الشیعه تعتبر لزوم وجود الإمام لبیان أحکام الدین و حقائقه،و إرشاد الناس و هدایتهم،فإن غیبه الإمام تناقض هذا الغرض،لأن الإمام الذی قد غاب عن الأنظار و لا توجد أیه وسیله للوصول إلیه،لا یترتب علی وجوده أی نفع أو فائده،و إذا کان الله سبحانه یرید إصلاح البشریه بواسطه شخص،فإنه قادر علی خلقه عند اقتضاء الضروره لذلک،و لا حاجه إلی خلقه قبل وقته و قبل الاحتیاج إلیه بآلاف السنوات.

الجواب:إن مثل هؤلاء لم یدرکوا حقیقه معنی الإمامه،و اتضح فی مبحث الإمامه،أن وظیفه الإمام و مسئولیته لم تنحصر فی بیان المعارف الإلهیه بشکلها الصوری،و لم یقتصر علی إرشاد الناس من الناحیه الظاهریه،فالإمام فضلا عن تولیه إرشاد الناس الظاهری،یتّصف بالولایه و الإرشاد الباطنی للأعمال أیضا و هو الذی ینظّم الحیاه المعنویه للناس،و یتقدّم بحقائق الأعمال إلی الله جلّ شأنه.

بديهى أن حضور أو غيبه الإمام الجسـمانيه فى هذا المضمار ليس له أى تأثير،و الإمام عن طريق الباطن يتصل بالنفوس و يشرف عليها،و إن بعد عن الأنظار و خفى عن الأبصار،فإن وجوده لازم دائما،و إن تأخر وقت ظهوره و إصلاحه للعالم.

الخاتمه:

البلاغ المعنوى للشيعه

البلاغ المعنوى للشيعه الموجه للنـاس كافه،يتلخص عن كلمه واحـده و هى«اعرفوا الله»و بتعبير آخر،اسـلكوا طريق معرفه الله كى تسعدوا و تفلحوا،و هـذه هى العبـاره الـتى قالهـا النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى بـدايه دعوته:«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

كى يتضح هذا البلاغ نقول مجملا:

نحن البشـر بحسب الطبع،نهوى الكثير من شئون الحياه، و لذائذها الماديه،كالأكل و الشرب و الألبسه الفاخره،و الصور و المناظر الخلابه و الزوجات الحسـناوات و الأصدقاء المخلصين، و الثروات الطائله،أما عن طريق القدره و السياسه،و المقام و اتساع السلطه و الحكومه،أو القضاء على كل ما يخالف مأربنا.

و لكننـا نـدرك جيـدا مع مـا أوتينـا من فطره إلهيه،إن هـذه الأمور و اللذائـذ كلها خلقت لأجل الإنسان،لا أن الإنسان خلق لها،و يجب أن تكون هـذه فى طلب الإنسـان،لا الإنسان يسـعى فى طلبها،و إذا ما كان الهـدف الغائى و النهائى هو الغريزه و الشـهوات فهذا هو منطق الحيوانات و الأنعام،و ما القتل و الفتك و الإطاحه بسعاده

الآخرين إلا منطق الذئاب،و أما منطق الإنسان فيبتنى على العقل و العلم فحسب.

إن منطق العقل،و الالتفات إلى حقيقتنا،يدعونا إلى اتّباع الحق،لا اتباع هوى النفس،إن أنواع الشهوات و حبّ الذات و الأنانيه،تعتبر حسب منطق العقل الإنسانى جزء من عالم الطبيعه و ليس لها أىّ استقلال،و على خلاف ما يتصوره الإنسان من أنه هو الحاكم للطبيعه و الكون،و يظن أن الطبيعه الطاغيه يجب أن تكون أداه طيّعه له.

إن منطق العقل يدعو الإنسان إلى التفكر و التعلق فى هذه الحياه الغابره كى يتضح أن الوجود و ما فيه لم يكن ليوجد من تلقاء نفسه،بل أن الكون و ما فيه يستلهم وجوده من منبع و مصدر غير متناه.

و لكى يظهر جليا فإن الجمال و القبح و الكائنات الأرضيه و السماويه و التى تظهر بصورها الواقعيه المستقله فى نظر الإنسان،ما هى إلا حقائق ظهرت تلك إلى الوجود بوجود حقائق أخرى،و ما ظهورها إلا ظهور تلك الحقائق و ليست حقائقها من أنفسها،و كما أن الواقعيات و القدرات العظيمه التى كانت تتمتع بالوجود أمس لم تصبح إلا أسطوره،فكذلك الواقعيات اليوم أيضا،و النتيجه أن كل شىء فى حدوده و عند نفسه لا يتجاوز الأسطوره؟

إن الله جلّ و علا هو الحقيقه التى لا تزول،و كل ما فى الوجود يستمد وجوده منه،و لو لا وجود الله لما ظهر إلى الوجود.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵
هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱
قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.